



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة وهران 2 محمد بن احمد
كلية علوم الأرض والكون

مذكرة

مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الجغرافيا و التهيئة العمرانية
تخصص: المدن: الحركية المجالية والديناميكية الحضرية

Option : Villes : mobilités spatiales et dynamiques urbaines

الشبكة العمرانية لإقليم توات بولاية ادرار، آليات التنظيم والأداء المجالي

**Le réseau d'agglomérations au Touat dans la wilaya d'Adrar:
mécanismes d'organisation et fonctionnement spatial**

من إعداد:
محمد عبد الكريم

لجنة المناقشة

رئيسا	جامعة وهران 2	أستاذ التعليم العالي	طراش سيدي محمد
مشرفا	جامعة وهران 2	أستاذ محاضر أ	عثمان طيب
ممتحنا	جامعة وهران 2	أستاذ محاضر أ	يوسف بدر الدين
ممتحنا	جامعة وهران 2	أستاذ محاضر أ	معاشو حاج محمد

وهران 2016

الله

شكر و تقدير

يطيب لي وأنا اخط كلمات رسالتي هذه، أن أتقدم بالشكر والامتنان من الدكتور عثمان طيب لتكرمه بمتابعة هاته الرسالة وتقديمه الملاحظات القيمة، والآراء السديدة الصائبة التي أثرت على جوانب عملي هذا، خلال فترة إشرافه ومتابعته له، واعترف له بفضل المتابعة وتذليل الصعوبات التي اعترضت طريقي حتى خرجت بالصورة التي هي عليها. فجزاه الله عني كل خير.

وأتقدم بالشكر والتقدير من أعضاء لجنة المناقشة: طراش سيدي محمد، يوسف بدر الدين و معاشو حاج محمد. لتكرمهم بالموافقة على مناقشة هذا العمل.

كما أتقدم بوافر شكري إلى كافة أساتذة قسم الجغرافيا والتهيئة العمرانية بجامعة وهران 2.

عبد الكريم

إهداء

إلى والدي برا و وفاء

إلى إخوتي محبة واعتزازا

إلى خلاني أملا وتواصلا

إلى فؤاد خصني حبا و وجدا

إلى كل من تعلم و جد باحثا

اهدي هذا الجهد المتواضع.

عبد الكريم

مدخل عام

مقدمة عامة:

هناك عدة مجالات من الحياة البشرية لغاية الوصول إلى تناسق استخدام واستغلال المجال بجميع مكوناته من اجل الوصول إلى خدمة وتوفير الراحة والاستقرار. فظهور أولى التجمعات السكنية القديمة كان لغرض الحماية من العوامل الطبيعية القاسية وسرعان ما تحول إلى دور تجاري خدماتي. ففي صحراء الجزائر تجسد تجمع السكان من خلال مجتمعات قصورية ظهرت على شكل نقاط للحياة وسط كثبان الرمال والتلال. فالقصور الصحراوية تعكس طبيعة وواقع العمران بالمنطقة كما تعبر عن الذاكرة الحية للشعوب التي استوطنتها. والمستخلص إن نمو وتوسع هاته المجتمعات كان نتاج تأثير عدة عوامل اقتصادية، اجتماعية و سياسية. واكبته عدة تحولات سواء كانت مجالية أو وظيفية.

ولقد قطن الإنسان منطقة توات منذ القديم ونظرا للظروف القاسية بها فقد استطاع التأقلم وذلك من خلال إنشاء مدن ذات طابع خاص ومميز. تمثلت أساسا في "القصر" المشكل من المساكن الطينية داخل أسوار القصبات إضافة إلى واحة النخيل القريبة والمحيطة بها. يمارس من خلالها القصور نشاطه الزراعي معتمدا على الفقاقير كمصدر لمياه السقي. تشكل إقليم توات من قصور فاق عددها 140 قصرا أدت عدة عوامل على ظهورها؛ فمنها ما انشأ من خلال نقاط التقاء القوافل التجارية العابرة للصحراء ومنها ما انشأ على يد رجال الدين والمتصوفة.

فالبنية المجالية لتوات تتميز بوجود شبكة عمرانية متكاملة بين شبكة قديمة تأثرت خلال الفترة الاستعمارية وأخرى ناتجة عن تراكمات سياسية واقتصادية خلال فترة الاستقلال تهيكل فيما بينها على أساس علاقات وظيفية وتبادلات تجارية وتنظيم إداري سبق هذا كله العلاقات المجالية القديمة التي عرفت المنطقة والتي نشأت من خلال المبادلات التجارية و العلمية والحركات المرابطية. إضافة إلى التنظيم المحلي المهيكّل من قبل هيئات التسيير المحلية من خلال الممارسات الدينية والاجتماعية.

الإشكالية:

جعل الإنسان الصحراء مكانا للاستيطان¹، فانشأ بها أماكن استقرار وظيفية وبيئية بامتياز بتكيفها مع المناخ واستحدث من خلالها نظاما للتبادل وحقق انسجاما في الوظائف الاجتماعية والاقتصادية التي تضمن له البقاء والتأقلم مع محيطه. وبالتالي فإن العمران في الصحراء له جذور تاريخية عميقة جدا. فولاية ادرار التي تتوضع بالجنوب الغربي و تأخذ حيزا كبيرا من الصحراء الجزائرية. تركزت بها الأجناس المختلفة وتجلت بها المظاهر العمرانية والتمدن وكانت مألوفة من خلال القصور منذ مئات السنين. ازدهرت هاته القصور ولعبت دور محطات للقوافل التجارية التي كان مسرحها الفسيح وادي مسعود. وبذلك امتلكت ذاكرة حضرية غنية وجذور أصيلة من خلال ما يعرف بالقصور الصحراوية. يتركز العمران في كتل رئيسية تتفرع إلى مراكز صغيرة مشكلة شبكة محلية من القصور القائمة على نشاط الفلاحة في اطار الواحة والفقاقير والآبار كمصدر للماء.

اذ تشرف اكبر القصور على من دونها و التي تكون عادة محيطة بها و قريبة منها. تطورت هاته القصور الرئيسية إلى مجتمعات ذات بعد تاريخي مرتبطة بدورها بعالم تجارة القوافل قديما والنشاطات التجارية حديثا وبالإشراف الديني والاجتماعي وكذا بالنظام السياسي والإداري القائم. تجلى ذلك التنظيم المحلي من خلال تلك الشبكة القصورية الناتجة عن التوزيع والامتداد الطولي للمجمعات التواتية وتوضعها على امتداد الطريق الوطني على شكل نقاط متقاربة. قد تعود اسباب هذا التوضع الى عوامل طبيعة المنطقة وتراكيبها المرفولوجية من جهة وقد تعود الى عوامل تاريخية من جهة اخرى وقد نرجعها الى طبيعة الاجناس التي استوطنتها فما هي مجمل هاته العوامل التي فرضت هذا التوضع الطولي للمجمعات بالمنطقة ؟

عرفت منطقة ادرار كغيرها من مناطق الوطن تغيرات كبيرة على مستوى الشبكة العمرانية، والتي يغلب عليها الطابع القصورى. تشكلت هذه الشبكة وانتظمت عبر التاريخ في ثلاث أقاليم هي: توات، قورارة وتيديكلت. كان لحركة القوافل التجارية العابرة للصحراء دورا أساسيا في تحديد بنية كل إقليم من حيث العلاقات المحلية، الاجتماعية والاقتصادية واكسبه خصوصيات تميزه عن غيره. يعتبر إقليم توات أهم حلقة في الشبكة العمرانية المكونة لهذه الكتل الثلاث و يضم أكبر عدد من المجمعات القصورية المكونة لولاية ادرار.

¹ - الاستيطان : "عملية انشاء وتعمير تتضمن تغيرا في الظروف الطبيعية القائمة وإنشاء مظاهر وسلوكيات اجتماعية واقتصادية وإنتاجية وعمرانية مستوحاة من البيئة المستوطنة ابتداءيا." مقدم مبروك. مدخل منوغرافي للمجتمع التواتي الجزء الاول دار هومة الجزائر 2008 ص39

فتحليل شبكة القصور بإقليم توات واليات انتظامها في السابق وحاليا يتلخص من خلال تسليط الضوء على التطور والنمو الكبيرين للمجمعات القصورية التواتية بفعل مختلف الديناميكيات الديموغرافية وعمليات التحضر المتسارعة التي مست المجمعات فما هي اثار هاته الديناميكيات على قصور توات ؟

ولعل بعض القرارات السياسية كالترقية الإدارية التي أحدثتها الدولة بعد الاستقلال كان لها الفضل في ظهور مجمعات حضرية و شبه حضرية وتحول بعض المجمعات الريفية إلى شبه ريفية فمختلف التقسيمات التي عرفتها الولاية كان لها تأثير بشكل أو بآخر على شبكة المجمعات العمرانية داخل الإقليم. اذن كيف تنتظم هاته الشبكة ؟

هذا وبالرجوع إلى تاريخ توات الذي يوضح لنا الفسيفساء البشرية والاجتماعية التي تتماثل من خلال الحركة الصوفية التي أسست لنفسها مراكز من خلال الزوايا التي أصبح لها تأثير واسع رسم مجال الإقليم وتنظيمه. فالتنظيمات الإدارية المختلفة بداية من الفترة الاستعمارية و توات بعد الاستقلال. تمحضت عنها مراكز جديدة مجسدة الأدوار الوظيفية، الإدارية و الاقتصادية على مستوى مجالها. وبالتالي تغير التقليد المعروف بسيطرة الزوايا وسلطتها المحلية والوظيفية بادرار عموما وتوات خصوصا. فكيف يمكن تحليل هذا التأثير بالنسبة لإقليم توات ؟

شهدت شبكة الطرق توسع كبيرا بعد الاستقلال بادرار. كما كان لهاته الشبكة خصوصية في توات بما انها تمثل المحور الاساسي المتمثل في الطريق الوطني رقم (06) الذي يمتد بشكل طولي ويأتي تدعيم الطرق الولائية والبلدية كاداة لتنفيذ علاقات الترابط بين المجمعات بالمنطقة فمختلف العوامل الفاعلة فيه تضمنها تلك الاستنتاجات التي تخص المجال الصحراوي (تباعد المسافات بين المجمعات). فكيف يمكن تفسير الدور الذي لعبته الطرق في تنظيم المجال بتوات؟

من جهة أخرى عرفت القصور طفرات في الإطار المورفولوجي وبدت التحولات المحلية منذ دخول الاستعمار الى المنطقة. الذي عمل على نقل السلطة من القرى التقليدية فأقام مراكز إدارية من اجل بسط سيطرته على المنطقة.(عثمان.ط 2010). ثم زاد حجم التحولات استجابة لتطور الأنسجة العمرانية من خلال الأنماط المستحدثة والتوسع خارج نطاق القصباء بعد الاستقلال وتعاقب مختلف السياسات؛ التنظيمية (التقسيمات والترقيات الإدارية) و التنموية (المخططات والمشاريع الاقتصادية) ناهيك عن مختلف البرامج الإسكانية التي تم تسطيرها بالمنطقة، إذ تعكس

التوسعات العمرانية وتيرة النمو التي تشهدها التجمعات السكانية نتيجة تضافر عدة عوامل اقتصادية وبشرية في آن واحد والتي أدت إلى بروز أشكال وأنماط عمرانية جديدة.

تعتبر الوظيفة الزراعية المحسدة في الواحة إحدى دعائم الشبكة العمرانية بتواتر إلا أنها عرفت تراجعاً بفعل عمليات التحضر ونمو النشاطات الاقتصادية الأخرى وكذا البرامج الريفية التنموية المتمثلة في الاستصلاح الزراعي. إذ عرف النظام التقليدي تقلصاً كبيراً بعد هجرة اليد العاملة وتردي منسوب مياه الفقاقير باعتبارها نظام السقي الأساسي بالواحة وضمحلل العديد منها لعدم توفر الصيانة والمتابعة الدائمة واللجوء إلى المصادر الجديدة (الآبار العميقة). كيف انعكس هذا التحول الوظيفي على الشبكة العمرانية في تواتر؟

وإذا كانت الديناميكية الحضرية التي عرفها إقليم الدراسة قد أحدثت كذلك أداءاً وظيفياً للمراكز من خلال ما احتوته من خدمات عامة وتجهيزات وخلقت على مستواها شبكة تبادلات كبيرة كيف يتم هذا الأداء مجالياً في ظل التحولات الاقتصادية - الاجتماعية؟ كما تقتضي دراسة الأداء الوظيفي بتواتر تحليل بعض مجالات النفوذ البارزة بالإقليم ففي ظل التحولات المحلية والوظيفية للمراكز العمرانية ارتسمت مجالات جديدة وتوسعت أخرى واندرج البعض منها. إذ يمكن مقارنتها استناداً إلى بعض المؤشرات الخدمية العمومية (التجارية، الصحية، الدينية، التعليمية و التكوينية) فما هي حدود نفوذها الوظيفي و مستوياتها المحلية؟

كما أن شبكة النقل تعتبر أداة تربط الأدوار الإقليمية وتفاعل من الأداء الجغالي بين المراكز وما حولها من التجمعات ومن ثم خلق ديناميكية وحركية مجالية من خلال تلك الشرايين التي تغذيها خطوط النقل وتمدها بالحركة والنشاط الدائم. فضرورة الاستفادة من الخدمات العامة والتجهيزات تعكسها اشتداد عمليات تنقلات القصوريين اليومية فهل شبكة النقل المحلية تعكس طبيعة وحجم التنقلات داخل إقليم تواتر؟

الهدف من الدراسة :

نهدف من خلال هذا العمل إلى دراسة التوزيع الجغرافي للتجمعات القصورية المكونة لإقليم تواتر وتحديد علاقاتها الهيكلية للمجال بالاعتماد على البحث الكمي والنوعي للمعطيات المتعلقة بالموضوع سواء أكانت قطاعية أو متعددة. كذا محاولة التعرف على آليات تطور تلك الشبكة العمرانية للإقليم وكذا معالجة وتحليل مختلف التحولات الجغالية و الاجتماعية والعمرانية.

المنهجية المتبعة في البحث:

قصد الإحاطة بموضوع البحث، انتهجنا عدة خطوات وهذا من اجل الإلمام بجميع العناصر الأساسية:

بداية قمنا بالبحث النظري للموضوع ومختلف المقاربات التي تسير في اتجاهه من خلال قراءات لأبحاث جامعية ومراجع ومدخلات وكتب ومذكرات فاستندنا على عدد من الدراسات الأكاديمية التي نال مضمونها تحليلا لمنطقة الصحراء و ادرار خصوصا سواء بشكل قطاعي أو عام. تنصدر هاته الدراسات تلك الأطروحة التي تقدم بها (يوسف.ب 2012) تحت عنوان " الديناميكيات الحضرية الحركية والنقل في الجنوب الغربي (ولاية ادرار وبشار)" تناولت التنظيم المحلي والديناميكيات الحضرية من منظور تحليلي فكان اهتمام الباحث منصبا حول أهم الديناميكيات الحضرية في كل من ولاية ادرار وبشار وتحليل عوامل ذلك لاسيما من خلال (النقل والحركية المحلية) وانعكاساتها على تنظيم المجال بالولايتين من خلال مختلف الأقاليم المدروسة (الساورة، التوات، التيديكلت، القورارة). أما الدراسة الثانية فهي تتمثل في أطروحة أعدها (عثمان. ط 2010) تحت عنوان " الاستصلاح الزراعي والديناميكيات الريفية بتوات، قورارة و تيديكلت " فتضمنت العديد من المحاور التي أبرزت مختلف التحولات المحلية، الاجتماعية و الاقتصادية التي شهدتها الأقاليم الثلاثة انطلاقا من مختلف الاستنتاجات الإحصائية و إبراز تبعات مختلف السياسات التنموية الفلاحية عامة والاستصلاح خاصة. كذلك جاءت الدراسة التي قام بها (كوزمين 2005) تحت عنوان " الديناميكيات والتحويلات المحلية في الصحراء الجزائرية نحو مقارنة جديدة مبنية على الملاحظة" التي جاءت بشكل عام تضمنت المجال الصحراوي وتحولاته بفعل مختلف الديناميكيات الحضرية والديموغرافية من خلال دراسته لجميع ولايات الجنوب الجزائري لإعطاء تحليل موحد واستنتاج مختلف العلاقات بين المجال والديناميكية القصورية بها. إضافة إلى الدراسة الأخيرة التي قامت بها (ف.شطوف 2015) تحت عنوان "ديناميكية التعمير بقصور قورارة (ولاية ادرار)" التي أوردت مقارنة تحليلية لديناميكية التعمير بالمنطقة شملت مختلف التحولات السوسيو محلية التي عرفتها الواحات والقصور إضافة إلى محاولة جادة لتصنيف تلك القصور بالاعتماد على الدور الوظيفي والأحجام السكانية لها.

بالإضافة إلى العديد من الدراسات الأخرى التي لها صلة متقاربة مع موضوع البحث والتي تم الاستناد إليها نذكر منها تلك الدراسة التي قام بها فرج محمود فرج " إقليم توات خلال القرنين 18 و 19 م " الذي أعطى إطلالة تاريخية لإقليم توات خلال القرنين 18 و 19 م فتناول الإقليم من خلال تاريخ

التكوين وكذا التنظيم الاجتماعي المميز له إضافة إلى التنظيم القطاعي الذي عرفه معبرا عن التنظيم الإداري آنذاك. كما نذكر الدراسة التي قام بها (تياقة.ص 2006) "النمط المعماري للمدينة الصحراوية ووظيفته الاجتماعية مقارنة أنثروبولوجية لقصر تنطيط ادرار" رسالة ماجستير في علم الاجتماع (أنثروبولوجيا). قدم الباحث إطلالة عن المجموعة الصحراوية من خلال قصر تنطيط باعتباره أقدم القصور و برز كعاصمة لتوات لفترات طويلة، وان كانت الدراسة في مجملها اتسمت بالتحليل السوسيولوجي إلا أنها لم تخلو من تقديم للطابع العمراني القديم منه والمستحدث وإبراز الفوارق و الميزات.

كما تم الاعتماد على بعض الدراسات والقراءات وكذا المخطوطات التي تناولت مجال الصحراء عموما ومنطقة توات خصوصا منها من جد في التعمق في تاريخ المنطقة وظروف نشأة التجمع البشري بها ومنها من تناولت المنطقة بقليل من الوصف والتحليل حول نظام السقي (الفقارة) من جهة، القصر و الواحة من جهة اخرى فالمنطقة حظيت ببعض الاهتمام سواء من طرف الباحثين القدامى على غرار ابن خلدون و الحسن الوزان. اضافة الى المؤرخين المحليين؛ محمد بن عبد الكريم البكري، احمد الادريسي الطاهري، البداوي من خلال المخطوطات. وكذا من طرف الباحثين في عصرنا على غرار (جون بيسون و مارك كوت) و نذير معروف وبن جليلد عابد وغيرهم. من خلال ما اورادوه من مختلف الدراسات التي تناولت المجتمع الواحي؛ مقوماته و مختلف التحولات التي شهدتها المحلية والاجتماعية.

إضافة إلى المعطيات المستقاة من مختلف المصالح الإدارية؛ مديرية السكن، مقاطعات السكن بالدوائر، مديرية النقل، البلديات، الديوان الوطني للإحصائيات، الأشغال العمومية، الوكالة الوطنية العقارية وديوان الترقية والتسيير العقاري وكذا جمع للخرائط الطبوغرافية والمخططات التوجيهية للتهيئة والتعمير للبلديات.

كما اعتمدنا على الملاحظة والزيارات لبعض المراكز العمرانية قصد اجراء التحقيق الميداني فارتكزت الدراسة على جملة تحقيقات تتضمن أسئلة تم طرحها على السكان من اجل الإلمام بجميع المعطيات المتعلقة بالسكن، السكان وكذا حركيتهم وتنقلاتهم. مرحلة التحقيقات، مرحلة ضرورية لفهم الشبكة العمرانية، آليات انتظامها والأداء المحلي بالاعتماد على 350 استمارة تضمنت خصائص الأسر، خصائص المسكن، إضافة إلى طبيعة التنقلات السكانية. فشملت التحقيقات جميع بلديات اقليم توات 12. اعتمدنا في تقسيمها حسب البلديات على مجموع عدد الاسر لكل

بلدية فبالنسبة لبلدية ادرار فوزعت 80 استمارة للتحقيق تليها بلدية رقان بـ 60 استمارة وكذا بلدية زاوية كنته بـ 40 استمارة ثم تأتي باقي البلديات الاخرى حسب مجموع الاسر لكل منها. تجدر الاشارة الى ان اختيار العينة كان عشوائيا. بمحطات النقل وكذا بعض الاماكن العامة بالمركز العمرانية. كما عمدنا الى تبيان دور المؤسسات الصحية بالإقليم ونفوذها المجالي من خلال مستشفى رقان وادرار وكذا بعض الزوايا البارزة في المنطقة (الزاوية الكبيرة بادرار ، الزاوية بمقر بلدية زاوية كنته و الزاوية القرانية بركان).

وفي الاخير عمدنا الى تحليل المعطيات المستخرجة من الاستبيان الميداني وتحريرها في جداول ثم ترجمة معطياتها في أشكال بيانية وخرائط قصد تسهيل المعالجة والاستنتاج وهذا بالاعتماد على التحليل الإحصائي والوصفي وكذا الإطالة التاريخية. عقب هذا العمل كله تأتي مرحلة التحرير والكتابة، التي تم سردها في خمسة فصول متتالية :

خُص الفصل الأول بدراسة وفهم المنطق الطبيعي والعمراني والتاريخي الذي قامت عليه هاته القصور بإقليم توات في الماضي فجات الدراسة في مباحث عدة؛ بداية تناولنا الخصائص الطبيعية العامة لإقليم توات ثم عمدنا إلى تبيان طبيعة الاستيطان البشري بالإقليم، كما حاولنا إبراز مختلف عوامل ظهور القصور و المكونات المحلية لها، وظيفتها وكذا تنظيمها.

أما الفصل الثاني فتطرقنا فيه إلى تحليل الشبكة العمرانية لإقليم توات وجاءت الدراسة في عدة مباحث؛ شملت خصوصيات الشبكة العمرانية القصورية والعوامل التي تتحكم في انتظامها لاستنتاج وتفسير التنظيم المجالي لإقليم توات وبالتالي إبراز مختلف التغيرات التي شهدتها قديما وحديثا، كانعكاس للترقيات الإدارية المستحدثة والنمو الديموغرافي وانتشارا للظاهرة الحضرية بالمنطقة.

أما الفصل الثالث فقد جاء لإبراز التحولات المحلية التي مست القصور في الحاضر من خلال التوسعات المحلية بفعل برامج السكن المتعددة كاستجابة لمختلف المخططات التنموية.

اعتمدنا لتبيان حجم وطبيعة التوسعات بالمنطقة على اربع أمثلة؛ تناول أولها مدينة ادرار و التحولات المحلية التي عرفتتها عبر مختلف المراحل وكذا مركز بلدية زاوية كنته التي شهدت توسعا كبيرا وتحولا مجاليا من خلال مختلف البرامج السكنية انطلاقا من النواة الأولى القصر، إضافة إلى مجموعة تخطيط أين أصبح الطريق الوطني محور لتوسعها المجالي بعد ما كانت القصور القديمة تعبر عن النواة الأولى لهذا التوسع وأخيرا أدرجنا التحول المجالي لقصر سيدي يوسف ببلدية فونغيل كمثال عن

التوسع المجالي الذي مس مختلف قصور توات؛ فتوسع القصر بدءاً بالخروج من النسيج القديم الذي أصبح شبه مهجور باتجاه التوسعات الحديثة التي طبعتها مختلف التجزئات وبرامج السكن الريفي.

أما الفصل الرابع فتحدثنا فيه عن التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي مست قطاعات عدة بعد الاستقلال لخصتها المشاريع التنموية التي برمجتها الدولة لتنمية المنطقة وإدراجها في المجال الوطني وباعتبار النشاط الاقتصادي بتوات ضعيف، ارتكز على النشاط الفلاحي الذي عرف التوسع من خلال محيطات الاستصلاح المختلفة بعدما كان منحصر في الواحة، إضافة إلى النشاط الصناعي الذي لا زال ضعيفا فظهر في تركيزات خاصة أهمها بالمنطقة الصناعية بمركز الولاية والمنطقة الصناعية بركان وجمع سبع وأخيرا استعرضنا سلسلة من الخدمات والتجهيزات المتوفرة بتوات وكذا إبراز تنوعها وتوزعها بالمنطقة.

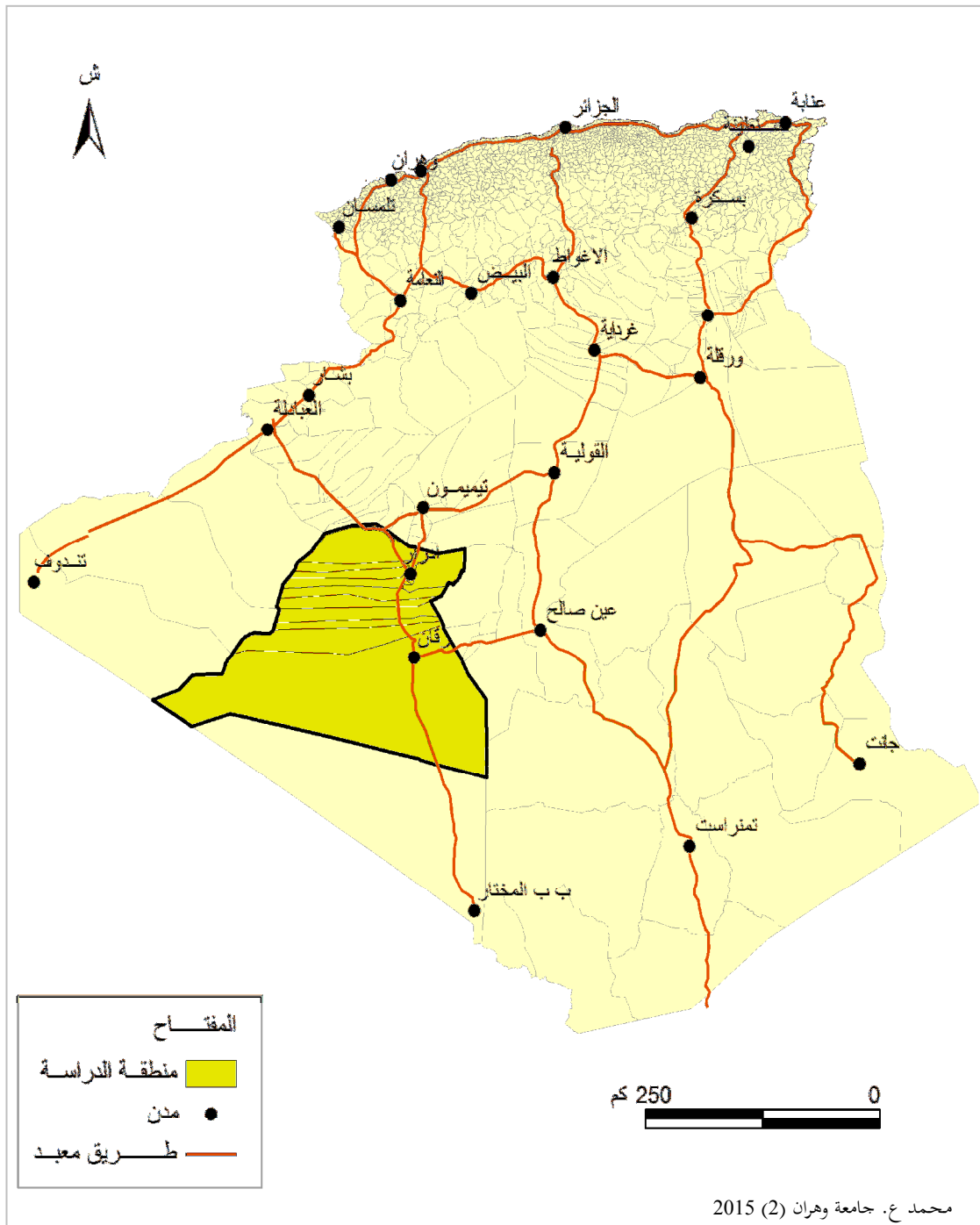
أما الفصل الخامس فتحدثنا فيه عن الأدوار التي تلعبها بعض المراكز الرئيسية في هيكلية المجال وتنظيمه فاستعرضنا الأداء الفعال من خلال نفوذ المركز وعلاقاته المتبادلة مع القصور المحيطة به باستعمال بعض المؤشرات الخدماتية والتجهيزات التي نذكر منها الصحية، التعليمية، التجارية والدينية لتقودنا إلى رسم مجالات نفوذها داخل الإقليم. كل هذا ما هو إلا ترجمة لحجم تنقلات الساكنة باتجاه المركز أو باتجاه باقي القصور.

تحديد منطقة توات واصل تسميتها:

يتوضع الإقليم في قلب الولاية ادرار ويعتبر مركزا حيويا، لما يمتاز به من توسط للموقع وتركزا عمرانيا معتبرا. يتكون الاقليم من خمس دوائر تضم اثنا عشر بلدية ؛ تساييت، سبع، بودة، ادرار، تيمي، تمنطيط، فنوغيل، تامست، زاوية كنتة، انجزمير، سالي و رقان، احتوت ما يزيد عن 140 قصرا تتوزع على امتداد وادي مسعود من الشمال الى الجنوب. يحد الإقليم شمالا بقورارة، ومن الجنوب الشرقي بتيديكلت ومن الجنوب بتانزروفت .

يقع إقليم توات في الجنوب الغربي من الجزائر، وتبعد أقرب نقطة منه عن العاصمة بحوالي 1500 كلم جنوبا. من الناحية الجغرافية يمتد الاقليم من قصر عريان الراس بتساييت شمالا إلى رقان جنوبا، يحده من الناحية الشمالية العرق الغربي الكبير، ومنطقة تينكورارين¹ وكذا وادي الساورة وعرق الراوي ومن الناحية الغربية وادي مسعود. يحد الإقليم من الناحية الجنوبية الغربية عرق شاش (صحراء تانزروفت) ومن الشرق هضبة تادمايت و الجنوب الشرقي سبخة مكرغان. فإقليم توات بهذا التحديد ينحصر فلكيا بين خطي طول 2.30 و 3.30 درجة غربا و دائرتي عرض 26.7 و 28.5 درجة شمالا.

¹ - تينكورارين تعني باللغة الامازيغية المعسكرات وهكذا يسميها ابن خلدون وهي منطقة مأهولة بالسكان يوجد بها ما يزيد عن تسعين قصرا. الحسن الوزاني . وصف أفريقيا ج2. نقلا عن الصديق حاج احمد. التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن 11-14 هـ/17-20م ص31 وتعرف بمنطقة "القورارة" عاصمتها تميمون.



الخريطة رقم (1): الحدود الإدارية لمنطقة الدراسة

اختلفت الروايات حول تسمية هذه المنطقة الممتدة من تساييت شمالا إلى رقان جنوبا والتي تضم كل نطاق وادي مسعود بمسافة بلغت 60 كلم عرضا و 220 كلم طولاً.¹

ترجع بعض التسميات إلى روايات لمؤرخين محليين وأخرى لمؤرخين آخرين خارج الإقليم من بين هذه الروايات رواية عبد الله الأنصاري التي يربطها بإحدى القبائل الصحراوية «...والملمثون هم قبائل الصحراء بالجنوب... ومنهم لمتونة وتوات...»² وأخرى للمؤرخ السوداني السعدي الذي ربطها بمرض سلطان مالي كنكان موسى³ حيث أصيب بمرض في رجله أثناء مروره بالمنطقة وهو في طريقه إلى البقاع المقدسة فبقي اسم المرض يميز المكان⁴. أما مارتان (MARTIN) الذي اهتم بتاريخ المنطقة في دراساته فقد أشار إلى أن الفرنسيين يستعملون كلمة (oasis) أي واحات، تعبيرا عن المناطق العامرة وان الكلمة المركبة أصلها إغريقي مقطوعها الأول (oa) يتطابق مع المصطلح البربري (Oua) بصيغة الجمع مفردة توات (Touat) بمعنى واحه الماء وهو المصطلح الذي ذكرته أيضا دراسة فرنسية، حيث ذكرت أن (Oua) (وا) (Ouah) يعني مكان الاستراحة. وأشار آخر إلى أنها مشتقة من (Ouat) والجمع (Ouatin) والتي تعني كلمة متعب مستلهما هذه الفرضية من رواية مارتان بالنسبة للأولى و واتان (WATIN) بالنسبة إلى الثانية. ورجح رأي مارتان لأنه حسبه أكثر دقة لان دراسة واتان أعادت أصل الكلمة زمنيا إلى القرن الثالث للهجرة وهو لا يتطابق مع تاريخ المنطقة التي كانت موجودة قبل التاريخ، وربطها آخر بقبائل التوارق الذين منحوها هذا الاسم⁵.

الروايات المحلية بدورها اختلفت فمحمد بن مبارك ارجع أصل تسميتها إلى كلمة أعجمية أطلققتها قبائل لمتونة على هذا الإقليم عند لجوئها إليه في منتصف القرن السادس الهجري⁶ أما محمد بن عمر المبروك فلقد ذكر أن سبب تسميتها بهذا الاسم وهو الغرض الذي دفعه لتأليف مخطوطه حولها فيذكر فتح القائد عقبة بن نافع لبلاد المغرب ووصوله إلى ساحله ثم عودته التي سلك فيها

¹ - فرج محمود فرج. 1977. إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر ص2

² - عبد الله الأنصاري في كتابه فهرس الرصاع نقلا عن فرج محمود فرج. ص2

³ - كنكان موسى (1307-1332م) سلطان مالي بلغت في عهده اوج قوتها حل بتوات بوفد كبير فيه العبيد والذهب. كعت محمود. التاريخ والفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس. نقلا عن فرج محمود فرج. ص34.

⁴ - عبد الرحمان السعدي. 1981. تاريخ السودان. طبعة هوداس باريس ص21

⁵ - حسب رواية ماندوفيل (Mandeville) الذي رأى أن التوارق أطلقوها على مجموعة من الواحات بوادي الساورة ووادي مسعود. احمد العماري. نقلا عن هرياش زاجية. الوضع الاقتصادي في إقليم توات من خلال مخطوط الغنية في القرنين 12 و 13هـ/ 18 و 19م. ص11

⁶ - فرج محمود فرج. 1977. تاريخ توات خلال القرنين 18 و 19م. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. ص2

طريق سلجماسة¹ ودرعة أين وصلت خيله توات .. وذلك في سنة اثنتين وستين للهجرة النبوية فسألهم عن هذه البلاد يعني عن توات وعن ما يسمع ... ويفشى عنها من الضعف هل تواتي لنفي المجرمين من عصاة المغرب. يعزله بها أو يجليه... "فأجابوه بأنها تواتي فتغير اللفظ على لسان العامة بضرب التخفيف وأصبح يعرف باسم توات².

تعريف آخر ربطها بالإتاوات والمغارم التي فرضها الموحدون على أهل المنطقة في سنة 518هـ/1124م حيث بعثوا عاملهم المسعود بن ناصر ليقبضها فذكروا له عدم وجود الذهب والفضة بأرضهم وطلبوا منه تعويض قيمتها بالرطب والعنب وسائر ثمار الكروم التي تم أخذها وبيعها قرب تلمسان، فعظمت مصلحة الطرفين ليعود في العام الموالي ليقبض مثلها فعرف بها أهل هذا القطر أي أهل الإتاوات بعد حذف المضاف الذي أقيم المضاف إليه في مقامه فأصبحت تنعت بتوات³. وهو الاسم الذي سرى تداوله في كامل أرجاء هذا القطر الصحراوي. وقيل أيضا أن زناتة عندما نزلت بهذه المنطقة رأت أنها تواتي للسكنى⁴ وتلائم للإقامة بها وهي نفس الرواية التي وردت في كتاب نسيم النفحات الذي ذكر فيه مسألة المقام ودفع الإتاوات وحدد أنها سميت بهذا الاسم لأنها تواتي للعبادة أي تليق بها، فكل من قدم إليها من الأولياء منقطعاً للعبادة وجد فيها ضالته لأنها تواتيه للعبادة⁵ والتقرب إلى الله.

ذكر بدوره نذير معروف أن هذه التسمية قد ترتبط باللفظ البربري المغرب "تيط" (Tit) الذي يعني العين مثلما هو الأمر مع تسمية تيطوان (Titwan) والأمثلة كثيرة في الشعر الأندلسي الذي عرب هذه الكلمة التي تعني العين السوداء (Tit - kahlata)⁶. لتشير آخر واحد الروايات وصاحبها الأستاذ أحمد بوساحة حيث يرى أن كلمة توات تطلق على الأماكن المنخفضة في اللهجات البربرية ويورد مثالا عن ارتباط هذا الاسم بجسم الإنسان بمنطقة تقع تحت القفص الصدري تعرف بهذا الاسم وتسمى "توات"⁷.

¹ - سلجماسة: إقليم يمتد على طول وادي زيز ابتداء من الحنك من المضيق القريب من مدينة فاسلون وأسسها بني مدرار الخوارج في أواسط القرن الثاني للهجرة (منتصف القرن الثامن الميلادي) ويسكنها قبائل بربرية زناتية وصنهاجية وهوارية وهي مركز تجاري مهم. الحسن الوزان "وصف إفريقيا" الجزء الثاني. نقلا عن الصديق حاج أحمد. التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن 11-14 هـ/17-20م ص31

² - محمد بن عمر المبروك. نقل الرواة في من أبداع في قصور توات. خزنة كوسام. الورقة 4

³ - محمد بن عبد الكريم البكراوي درة الأقاليم. المكتبة الشعبية بتمنيط. الورقة 3

⁴ - محمد بن عبد الكريم البكراوي المرجع نفسه.

⁵ - مولاي أحمد الطاهري الإدريسي. نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات. خزنة كوسام. ادرار. الورقة 26

⁶ - MAROUF Nadir. Lecture de l'espace oasien. Ed, Sandbad, Paris 1980 p18

⁷ - الصديق حاج أحمد. التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن 11-14 هـ/17-20م دار الثقافة لولاية ادرار، الطبعة الأولى 2003 ص29

الفصل الأول:

توات: إقليم صحراوي، فرضية الحياة
البشرية به تحققت بتفاعل مكونات المجال
الواحي

الفصل الاول: توات: إقليم صحراوي، فرضية الحياة البشرية به تحققت بتفاعل مكونات المجال الواحي

مُتَكِدِّمًا:

يحتوي إقليم توات على مجموعة من التجمعات السكانية المتواجدة على طول امتداد الطريق الوطني رقم (6)، تعرف بالمجمعات القصورية أو القصور، التي تمثل أماكن الاستقرار البشري بالمنطقة. رسمت شواهدنا فن العمارة المعبر عن طبيعة الأجناس التي سكنتها واوحت بالتواجد العمراني الحضري قديما وحديثا. يقول عنها "مارك كوت": هذا الصنف من المدن يخضع من جهة إلى مناخ قاحل ومن جهة أخرى إلى مساحات خالية؛ هذان الطرفان يكسبانها خصوصية كبيرة. نشأت هذه المدن من وظيفة المحطات على المحاور الكبيرة للقوافل التجارية في العصور السالفة، وأخذت شكل المدينة-الواحة، لأن الماء والنخيل يشكلان قاعدتها الأساسية¹. مثلما كانا يشكلان قاعدة الملتقى تلك القوافل.

فهاته المدن أو القصور مرتبطة بالتاريخ بشكل أساسي لقد نشأت وتطورت مع التراكمات التاريخية والحركات البشرية وأيضا بالبيئة المحلية ذات الطابع الصحراوي الجاف والذي فرض على هاته التجمعات شكلها و مورفولوجيتها وكذا طريقة عيش ساكنيها. لهذا فإننا في هذا الفصل من الدراسة عمدنا إلى فهم المنطق الطبيعي والعمراني والتاريخي الذي قامت عليه هاته القصور في الماضي لاستنتاج ومعرفة كيفية استغلال المجال وبالتالي تنظيمه.

1- خصائص توات الطبيعية: دورها في توضع شبكة القصور وتوزيعها الجغرافي

إن الانبساط الذي يبدو للناظر إلى الأرض في منطقة توات ليس بالغالب على شكل السطح، بيد انه تتواجد إضافة إلى الأسطح المستوية منخفضة ومرتفعات معبرة عن الأشكال الأرضية التي تتصف بها المنطقة، والتي تقودنا معرفتها إلى تقنين الخصائص الأرضية التي تميز المنطقة. الخريطة رقم (02).

اذ تشرف هضبة تادميت على سهل تيديكلت من الجنوب و سطح منبسط مكون من رواسب تعود إلى القاري المحصور (البيني)، بحيث يرتفع جرفها بحوالي 50 إلى 60 م. تتميز الهضبة بتكوينية جيولوجية للكريتاسي السفلي، كما أنها ذات سطح منبسط ذو مظهر بنيوي حمادي مع تواجد

¹ - مارك كوت اختيار فضاء، اختيار مجتمع، مجلة معالم المدينة وتنظيمها الحضري، العدد رقم 03، دار النشر مارينور، سنة 1999، ص 226.

لحجارة سوداء، يسمى هذا السطح بالرق. ارتفاع الجرف الكبير (يفوق 50م) أعطاها طابع الحواف المجددة بسبب التعرية، ويبلغ متوسط ارتفاعها 250م وذلك بميل خفيف باتجاه شرق غرب على امتداد حوالي 100كم. وهي تحتوي على عدد كبير من المنخفضات على شكل سبخات أغلبها مغمورة بالرمال. تتعرض هضبة تادميت لعمليات التعرية والحث الريحي بشكل دائم.

كما يعد سهل تيديكلت بمثابة قاعدة لهضبة تادميت في الجنوب، بينما محاصر بصحراء تانزروف من الجنوب، إذ يتراوح ارتفاعه ما بين 200 إلى 500م ويتربع على مساحة معتبرة من إقليم تيديكلت، تتخلله بعض المنخفضات على شكل سبخات ذات مساحات متفاوتة. يعود تكوين السهل للحت الريحي في عصور غابرة فهو مستقر الرواسب التي بدورها كونت تربة صالحة للزراعة، مما ساهم بشكل كبير في تواجد الواحات في تلك المنطقة. فمكوناته عبارة عن حجر رملي وطين وتعتبر تربته تربة القاري المحصور (البيني).

كما نجد السبخة على شكل سطح (سهلي) فسيح، تتواجد في المناطق الأكثر انخفاضاً ذات تربة مالحة ولون داكن نوعاً ما، يأخذ في الاصفرار باتجاه الهوامش الرملية بينما يظهر السطح مزركشا بقشور ملحية ناصعة البياض. تكونت السبخات في الزمن الرابع وقد يعود أصل تكوينها إلى رسوبيات بحرية لبحيرات عذبة في العصور المطرة أو طين بحيري وتراكم ريحي. فتتكون في العموم من رواسب طينية مشبعة بالأملاح ولهذا تسمى أحياناً (بالمسطحات القلوية). وأملاح السبخات خليط من كلوريدات الصوديوم و البوتاسيوم والصوديوم وكبريتات الكالسيوم (الجبس).

تعد السبخات غير صالحة لجميع أنواع الزراعة وذلك بسبب ارتفاع نسبة الملوحة بها وضيق مساماتها، لكن إذا تراكمت الرمال بها تتكون تربة متزنة تتأقلم معها بعض النباتات من بينها الأعشاب الحشنة ويكثر النمو النباتي نوعاً ما على هوامش السبخة. و ترجع الملوحة الزائدة في السبخات إلى الطبقات الجيولوجية غير النفوذة التي تدنوها. مشكلة حوض تحصر فيه مياه التساقطات أثناء مواسم الأمطار كما تساهم الحرارة المرتفعة في تبخير مياهها.

في منطقة الصحراء تتجمع الرواسب ذات المصدر الريحي والمائي الممارسين على الصخرة الأم والتي تحملها الرياح مشكلة كثبان رملية متجانسة تشغل على مسافات طويلة قد تبلغ مئات الكيلومترات. في معظم الحالات تكون ثابتة، حيث يحيط بإقليم توات مجموعة من العروق الرملية؛ العرق الشرقي الكبير، العرق الغربي الكبير، عرق الراوي وعرق شاش. فالكثبان الرملية الممتدة من عرق شاش تمتد من الناحية الغربية لمنطقة توات.

1-1-1- الموارد المائية:

كان ولازال الماء مصدر للحياة وللنشاط البشري على ارض ما. فالواحات الصحراوية تتواجد كلها على منابع المياه المتوفرة، حيث اعتبر الماء العنصر الأول لوجود حياة في بيئة طبيعتها قاسية. ويمكن تقسيم الموارد إلى مصادر سطحية وأخرى جوفية.

1-1-1. مصادر الماء السطحية:

تكاد تنعدم مصادر المياه السطحية في المنطقة وهذا عائد إلى قلة التساقط أو انعدامه باستثناء السبخات، والتي تمتلئ في الشتاء بالمياه ثم تعود وتجف في الصيف. ضف إلى ذلك أنها ذات تصريف داخلي جعل مياهها المتجمعة من مسيلات الحوض السفحي أثناء سقوط الأمطار تتحمل بالأملاح المتحللة في المياه والمنفصلة عن الصخور الكلسية المحيطة بالسبخة والمتواجدة في الحوض السفحي وتعتبر هاته المياه غير صالحة للاستغلال الفلاحي ولا للاستهلاك البشري. تجدر الإشارة إلى إن في الماضي وجدت شبكات تصريف سطحية في منطقة توات والآن تعرف بالأودية الجافة والتي كان مصدر مياهها الأمطار.

- وادي مسعود : وهو اتحاد لواد قير مع وادي زوزفانة بمنطقة فيقيق ويتجه جنوبا ليأخذ اسم وادي الساورة ثم يتجه غربا فجنوبا بأراضي المنطقة فيسمى وادي مسعود ويكون سبخة بتسفاوت وتمنيط ويتجه بعد ذلك نحو رقان ليضمحل في صحراء تانزروفت.

1-1-2. حوض جوفي: اساس وجود هذه الواحات

لقد استقر الإنسان الأول في منطقة توات الكبرى (توات ، قورارة ، تيديكلت) بعد وجود الماء الذي اعتبر كشرط أول لوجود حياة بالمنطقة. فوجود الحوض الجوفي (continental intercalaire) الذي يعد أكبر احتياطي للمياه في الجزائر والذي تربع على قلب الصحراء. حيث تحدد معالمه من السطح بالأطلس الصحراوي شمالا و صحراء تانزروفت جنوبا، وعرق الراوي وعرق شاش. استغل الحوض كمصدر للمياه عن طريق حفر الآبار و الآبار العميقة.

يمتد الحوض الجوفي المحصور(CI) على مساحة 1100.000 كلم² ومخزون مائي قدر بـ 60.000 مليار م³ إي منسوب قابل للتحديد بـ 2000م³/ثا، بينما تقدر الموارد المائية الجوفية القابلة للاستهلاك إلى غاية 2010 في حدود 150 م³/ثا أي ما يعادل 5 مليار م³. ضف إلى ذلك إلى إن التدفق لهذا الحوض يأخذ اتجاهات رئيسية من الجنوب نحو الشمال والشمال الشرقي.

ظهر الحوض الجوفي البيني (المحصور) في فترة لم تشهد حركات تكتونية شديدة في العصور المطرة من الزمن التطابقي في مرحلة القاري البيني وذلك بين فترتين رسويتين طغى فيها البحر على اليابس (Transgression marine) وسمي بهذا الاسم لأنه محصور بين طبقتين جيولوجيتين، كما يعتبر سطحه نفوذ من الكريتاسي العلوي وقاعدته غير نفوذة، مما أعطاه شكل الغطاء المائي الجوفي الحر (nappe libre) وسمي كذلك بالاليان (Albien) ويعتبر الحجر الرملي + الطين عنصرا تكو ينته الرسوبية.

تعتبر مياه التساقطات المتسربة إلى جوف الأرض المصدر الوحيد لتغذية الحوض المائي الجوفي المحصور. وهذا التسرب يشمل جميع أشكال السطح من هضاب (هضبة تادميت) وسهول (سهل تيديكلت) وسبخات وحتى العروق الرملية.

تأخذ محاور الصرف للحوض الجوفي (C1) اتجاهات مختلفة أهمها من الجنوب الغربي الجزائري نحو الجنوب الشرقي متجهة بذلك إلى جنوب تونس وكذا من الشمال الغربي نحو الجنوب الغربي وهذا يتجلى في منطقة توات والذي يساعد بالضرورة على التصريف الجيد لمياه الفقاقير.

1-2- خصائص مناخ الإقليم:

يسود المناطق الصحراوية وخاصة إقليم توات المناخ الصحراوي القاري الجاف والذي يتميز بارتفاع معدل التبخر مقارنة بمعدل التساقط، بالإضافة إلى انه يكتسي طابع قاس يصعب التأقلم معه بشراً كانوا أو نباتاً. هاته المميزات ناتجة عن تراكيب عناصره مثل الحرارة والتساقط وكذا الرطوبة الجوية، هاته العناصر المختلفة قد تكون مرتبطة بعوامل مناخية عامة نذكر منها الإشعاع الشمسي والرياح وقد ترجع إلى عوامل محلية كطبيعة التربة ودرجة الحرارة وقلة الغطاء النباتي. بينما تتصف الواحات بمناخ محلي (Micro climat) والذي تنخفض به درجة الحرارة نسبياً وذلك بسبب نسيم البساتين الرطب.

يغلب على المناخ الصحراوي ارتفاع لدرجة الحرارة على العموم ، قد تختلف من مكان إلى آخر وكذا من شهر إلى آخر وحتى بين الليل والنهار، فنجد في الصيف درجات مرتفعة حيث بلغ المتوسط الأقصى 37°م بينما تنخفض في فصل الشتاء حيث بلغ المتوسط الأدنى 12°م.

كما ان الرياح هي العامل النشط في المناطق الصحراوية لاتسام حركتها بالديمومة والقوة بالإضافة إلى عدم وجود معيقات لهاته الحركة، والتي تثير الرمال والأتربة المفككة مشكلة زوابع رملية تساهم في جفاف النبات. يسود منطقة توات وما جاورها رياح ذات توترات مرتفعة والتي تمثلها الرياح الشمالية والشرقية بالإضافة إلى الرياح الجنوبية والجنوبية الغربية والتي تعرف برياح السير يكو - رياح تهب من الصحراء الكبرى لإفريقيا - تكون جافة وحارة ومحملة بالأتربة إذ تخلف خسائر كبيرة بالمحاصيل الزراعية وتساهم بشكل كبير في عمليات الترميل. و لإيقاف تلك العمليات اعتمد تقنية مصدات الرياح المشكلة من جريد النخيل (افراق) فتعتمد التقنية على التجديد السنوي وهذا حسب حجم التراكيمات الرملية فنجدها على قمم العروق القريبة من المباني والبيوت على غرار العرق الذي يتوضع بالجهة الشمالية لقصر تيلولين و قصور سالي وغيرها.

2- الاستيطان البشري بتوات

اختلفت أشكال الاستيطان البشري لتوات فحسب مختلف الدراسات التي قام بها الباحثون حتى توصلوا إلى أن المنطقة سكنها الإنسان الأول بالكهوف والمغارات. كما استوطنتها شعوبا عدة؛

الجيتول¹ من أصل بيض من حوض البحر المتوسط في القرن 6 ق م. هذا فضلا عن الرومان الذين استعملوا طريق توات أثناء مرورهم إلى فغيغ وبلاد السودان في تلك الفترة².

كما عرفت المنطقة توافد القبائل الزناتية بنهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني الميلادي للمناطق التواتية. ليستوطنوا بها فخطوا القصور والفقاقير وقد كان قدومهم واستيطانهم على حافة واد قير. ويشير بعض المؤرخين المحليين³، إن زناتة قدموا من "سلحماسة" إلى توات على ثلاثة عشر مرحلة للاستيلاء على قصوره وكان معسكرها أول مرة في بودة وفي المرحلة الأخيرة وجدوا "واد قير" قد جف فسكنوا على شرافته ونزلوا بقصور توات "بودة - تيطاف - تسابيت - وأولاد إبراهيم - تسفاوت - تليلان". ثم نشطت الهجرات الزناتية في هذه المناطق خاصة بعد سقوط دولتهم مما دفع بهم إلى النزول للصحراء حفاظا على أنفسهم وهربا من بطش المرينيين ومآزرة إخوانهم في الجنوب ضد غيرهم من المعتدين عليهم من الأصل الزناتي.

كما أن لزنانة دورا كبيرا في تأسيس القصور على خلاف الجيتول الذين سكنوا الكهوف والمغارات ومباني طينية ونحتو في الجبال بيوتا في غاية البساطة لم يبق لها اثر اليوم، فيمكن القول ان زناتة هم المؤسسون للقصور الصحراوية وما هي عليه اليوم من شكلا هندسيا ومعمارا فنيا و أداء وظيفيا. كما احدث العرب تغييرا بلا شك فجاءت الهجرات العربية الإسلامية فيما بعد واليهود من بعدهم أضفوا بعض التعديل والزيادة في الشكل لا في الجوهر. واستقروا على ضفاف وادي مسعود واستعملوه مرعى لمواشيهم. وهذا ما أكده اغلب المؤرخين، حيث يقول محمد بن عمر البداوي "...قلت وتوات هذه هي قصور وافرة عديدة على حافة واد كبير ينحدر من ناحية المغرب و عليه قصور توات"⁴. وهنا يقصد واد ملوية. ونفس الشيء يقوله ابن خلدون: " وينبع من هذا النهر فوهة نهر كبير ينحدر ذاهبا في القبلة مشرقا بعض الشيء ويقطع الشرق على سمته إلى أن ينتهي إلى بودة ثم بعدها إلى تمنظيط ويسمى إلى هذا العهد "قير" وعليها قصورها ثم يمر إلى أن يصب في القفار ويفوض في رمالها وعلى موضع مغاصه قصور ذات نخيل تسمى رقان وفي شرق بودة مما وراء العرق

¹ - الجيتول: تسمية أطلقها الرومان على القبائل الساكنة في الصحراء مثلما أطلقوا كلمة البربر على كل من هو خارج إقليم الحضارة البربرية.

² - حاج احمد الصديق ، التاريخ الثقافي لإقليم توات من ق 11 هـ إلى ق 14 هـ . (ق 17 م . 20 م) ، دار الثقافة لولاية ادرار، سنة 2003، ص24

³ - فرج محمود فرج. إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر 1977 ص3

⁴ - محمد بن اعرم البداوي، نقل الروايات عن من أبدع قصور توات .تحقيق، قومي احمد، مرجع سبق ذكره، ص37.

قصور تسايت من قصور الصحراء. وفي شرق تسايت إلى ما يلي الجوف قصور تينكورارين تنتهي إلى ثلاثمائة أو أكثر وتنتهي من المغرب إلى المشرق وفيها أمم من زناتة"¹.

هذا وعرف الإقليم التواتي هجرات يهودية مبكرة ويذكر يعقوب اوليل (JACOUB Oleil) أن المنطقة شهدت ثلاث هجرات أولها في القرن الثاني الميلادي وانطلقت من السرانيك (Cyrenaique) بليبيا. أما الهجرة الثانية فقد انطلقت من الموصل في القرن 6 م. أما الهجرة الثالثة فكانت من الجهة الشمالية الغربية وانطلقت من الأندلس في القرن 7 م ومرت بالمغرب عبر السوس ودرعة و تافيلالت لتصل أخيرا إلى توات في القرن 10 م².

إضافة إلى اليهود شهد الإقليم هجرات عربية متتالية مع الفتح الإسلامي لبلاد المغرب ثم شهدت موجات هجرات القبائل الهلالية التي عبرت سكانه عبر التاريخ نتيجة استيطانها بإقليم توات. فان الإسلام كان دينا حضاريا والعرب حاملين لواءه في الإقليم فأسسوا مراكز عمرانية وتجمعات حضرية على أسسه المقدسة المتمثلة في الزوايا والأضرحة.

3- ظهور القصور في الصحراء (إقليم توات)

تأثر المجال في الصحراء عموما وفي توات خصوصا وارتسمت بقع الحياة به عبر التاريخ بدرجة كبيرة من خلال عدة عوامل فإضافة إلى المقومات الطبيعية (منابع المياه، ضفاف الوديان) تأتي عادات الهجرة و حركة التجارة كلها عوامل شكلت مجال توات.

3-1- توات محور التبادلات التجارية

تبلور دور القوافل التجارية التي جابت الصحراء في تشييد قصور في صحراء قاحلة على طول مساراتها وشكلت من خلالها محاور اتصال شمال/جنوب، شرق/غرب.

إذ تميز الإقليم التواتي بموقعه داخل صحراء المغرب العربي وحاز مركزا وسطا. هذا الموقع جعل منه منطقة عبور لقوافل التجارة والمسافرين والحجاج القادمة من كافة الاتجاهات والعبارة للصحراء في نصفها الغربي وبفضل هذا الموقع أصبح الوصول إليه مرحلة حتمية من مراحل سير تلك القوافل وخاصة المتجهة من و إلى تمبكتو (Tombouctou). وقد احتل موقع توات هذه الأهمية التجارية

¹ - أبو زيد عبد الرحمان ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مقدمة بن خلدون، دار الكتاب اللبناني، ط2، بيروت، 1989.

² - حاج احمد الصديق ، التاريخ الثقافي لإقليم توات من ق 11 هـ إلى ق 14 هـ . (ق 17 م . 20 م)، دار الثقافة لولاية ادرار، سنة 2003، ص38-39

داخل الصحراء منذ وقت مبكر فأغلبية القوافل التجارية والمسافرين وخاصة المنطلقة من والى جنى و تمبكتو وبرنو تسلك الطرق المؤدية إلى توات. الملاحظ أن غالبية الطرق الصحراوية التي تستخدمها القوافل المسافرة من والى توات كانت عبارة عن مجاري للأودية الجافة، ومن مميزات هذه الطرق أنها أماكن صالحة لنمو الأعشاب التي تعتمد عليها الإبل في غذائها أثناء مسيرها الطويل. وكانت الطرق الصحراوية الرئيسية التي تتفرع من توات تجتمع في اتجاهين: أما شمالي أو جنوبي. وكان الاتجاه الأول يربط توات بأسواق شمال المغرب العربي ويتشكل من طرق رئيسية ثلاث، تتفرع بدورها إلى طرق ثانوية: الأول شمالي شرقي تسلكه القوافل المتجهة إلى المنيع، غرداية والشرق الجزائري كذلك إلى بلاد السوف الزاب وغدامس، طرابلس بليبيا وجنوب تونس. أما الثاني وهو الوسط الشمالي فكان يخترق العرق الغربي الكبير حتى يصل إلى مجرى واد الناموس كانت تستخدمه قوافل عين الصفراء وافلو وسعيدة والوسط الجزائري والطريق الثالث وهو الشمال الغربي الذي كان يتبع مجرى واد الساورة وتسلكه القوافل المتجهة إلى الغرب الجزائري (وهران، تلمسان) وأسواق سلجماسة وتافيلالت ومراكش وفاس بالمغرب الأقصى. أما الاتجاه الجنوبي فكان باتجاه أسواق السودان الغربي وكان بدوره يتشكل من ثلاث طرق: الأول جنوبي شرقي وكان يخرج من جنوب إقليم تيديكلت (عين صالح بالضبط) ويخترق أرض التوارق والطريق الثاني وهو الوسط الجنوبي وكان يخرج من قبلي بتيديكلت وتسلكه القوافل المتجهة نحو تمبكتو ويعد من أقدم الطرق التي تسلكها القوافل أثناء سيرها نحو أسواق السودان الغربي¹.

3-2- الحركة الصوفية ودورها في نشأة التجمع البشري بتوات

على الرغم من أن العوامل الطبيعية والمناخية التي تميز إقليم توات هي عوامل طاردة للسكان أكثر منها جاذبة لهم ومساعدة على استقرارهم وممارسة أنشطتهم، فهناك قصور وتجمعات كان وراء إنشائها القبائل العربية المهاجرة لبلاد المغرب (الصحراء) على غرار القصور التواتية القديمة التي تحمل اسم زناتي (بربري) فان بعض القصور انشأت من طرف القبائل العربية ومن المتصوفين والزهاد. فيحمل القصر أو التجمع اسم عربي وعادة يأخذ في أوله لفظ "زاوية" وتنسب إلى مؤسسها مثل: (زاوية الرقاني، زاوية سيدي البكري، زاوية سيدي عبد القادر، زاوية بلال، زاوية كنته،....) فهيكلت

¹ - فرج محمود فرج مرجع سابق ص 78-79.

الحركة المرابطية المجتمع التواتي (يوسف ب. 2012) وساد نفوذها مجال توات من خلال الممارسات الدينية، الاقتصادية والاجتماعية المهيكلة من قبل مؤسساتها المتمثلة في الزوايا.

كما تعتبر الزوايا مؤسسات دينية ذات طبيعة اجتماعية روحية، عُرفت بأنها نقطة إشعاع لرؤساء الطرق الصوفية، اذ يجتمع فيها المريدون لتلقي الأوراد والذكر وهي مأوى لطلبة القرآن والعلم والزوار الذين يقصدونها للاستفتاء والصلح بين المتخاصمين. وكثر هذا النوع من الزوايا ابتداء من القرن العاشر الهجري، زاع صيتها وصار لها شأن عظيم ووجود اجتماعي قوي. وأصبحت هي المجال الحيوي لتكوين المتصوفة وتربية النفس بمنهج فكري وعقائدي خاص بكل طائفة أو طريقة دينية، كما تعد مكانا للعبادة والزهد وتلقي الأوراد ومكانا للضيافة. أما عن أهل توات فتعرف الزاوية على أنها مسجد خاص بطائفة دينية من الصوفية أو ضريح لأحد الأولياء الصالحين، تتصل به غالبا مقبرة يدفن فيها بعض من لهم علاقة بالطريقة أو أقارب الولي الصالح¹.

وذهب الكثير من الباحثين والمؤرخين إلى أن الزاوية كانت في الأصل رباط تحول مع مرور الزمن لزاوية، وقد اكتظت تلك الرباطات بالنخبة من أبناء المسلمين، وأصبحت ابتداء من القرن الرابع الهجري تعرف تحولا كبيرا، فلم تعد مهمتها تقتصر على العبادة والجهاد كما كانت فيما مضى، بل أصبحت مؤسسة تعليمية يقصدها العلماء للتدريس بها وتأليف الكتب، والرسائل القيمة في مختلف العلوم والمعارف، أي منبع ومنهل فكري وديني قائم بذاته وبعد انقضاء الجهاد تحول بعض تلك الرباطات إلى زوايا وغادرها حينئذ بعض المتصوفة لإنشاء مراكز شبيهة بها قصد نشر العلم والمعرفة، ومحاربة الجهل وإيواء المرابطين المتفرغين للعبادة، لتكون مبعثا لأنوار الشريعة والطريقة، فكان لهم ذلك كما أرادوا، ومن بين الأسباب التي أوحى بفكرة إنشاء الزاوية، رغبة الشيخ الصوفي المريني في الاجتماع بمريديه وتلاميذه وهو ما لا يتسنى له في الرباط، حيث توجد مختلف شرائح المجتمع.

نشأت الزوايا بتوات على يد رجال عُرفوا بالعلم والتقوى والصلاح والدارس لتاريخها في المنطقة ونشاطها بالإقليم يجده عريق عراقة الإقليم نفسه. فتاريخ الزوايا يرجع إلى تاريخ نشأة المنطقة التواتية بأقاليمها الثلاث (تيديكلت- توات- قورارة). والأدلة على ذلك كثيرة ويتجلى في أن اسم الزاوية قد أطلق على الكثير من القصور وهذا أكبر دليل على العناية التي كان يوليها السلف لهذه المؤسسة.

¹ - محمد باي بلعالم: أهداف نشأة الزوايا وواقعها في المنطقة، الملتقى الوطني الأول للزوايا بادرار، أيام 1، 2، 3 ماي 2000م، ص01.

لقد تجلّى دور الزوايا محليا و اقليميا؛ فمثلت المراكز العلمية والتربوية والنقاط التصوفية الاشعاعية فهي قبلة المورد ومدرسة المتعلم وإقامة الضيف ومصدر الفتوى والأحكام وفض الخصام وعقد قران الزواج وزيادة الترابط بين الساكنة. فعملت بشكل جلي على الاشراف على المجتمع القصورى بكل ما تقتضيه مجالات الحياة الاجتماعية، الاقتصادية والثقافية.

اما عن مجلس البلدة ويمثل هيئة محلية اسندت لنفسها تسيير امور القصر الداخلية والخارجية ويكون عملها عادة مرتبط بشيوخ الزوايا وتوجيهاتهم. تشكلت الجماعة من مجموعة وجهاء القوم وشيوخ القبائل. اما عن مهامها فهي هيئة تشريعية وأداة تنفيذية داخل البلدة؛ سواء في تحديد الملكيات العقارية وضبط العقود العرفية اضافة الى تسيير شؤون الفقارة من خلال تنظيم العمل الدوري للصيانة، اضافة الى تقسيم وتقنين الحصص من مياه الفقارة. كما تعمل على معاينة مخالف الاحكام العرفية داخل القصر بما تقتضيه الضرورة سواء بالجلد او النفي. تلاشى دور الجماعة شيء فشيء خاصة بعد دخول المستعمر الفرنسي الى المنطقة وتقلص نفوذها ودورها بعد نقص منسوب الفقاقير وتدهورها باعتبار ان اغلب اعضاء الجماعة كانوا يمثلون ذوي التملك الوافر لمنسوب المياه (الحبات) بعد ما كان الماء يمثل عنصر السيادة في المجتمع.

4- منظومة المجال السكني بتوات: إمكانات، تلائم وتحكم بالمجال

ارتسمت الحياة بتوات حول منابع المياه فانشأ الإنسان مأوى خاص به يتماشى وطبيعة مناخ القساوة والجفاف من مواد محلية بسيطة (الطوب والطين) وللحفاظ على حياته وضمائه لها مارس النشاط الزراعي كتخصص أولي له بالمنطقة. فالإنسان بتوات حاطت به ثلاث عوامل (الفقارة كمصدر للمياه، القصر كمكان للاستقرار، والواحة كورشة للنشاط الزراعي ومورد اقتصادي) وشكلت هاته العناصر بتفاعلها منظومة المجال السكني بتوات.

4-1- الفقارة: مصدر المياه بتوات

تتميز ولاية ادرار دون سواها من بقية مناطق الجزائر بنظام الفقارة، الذي هو عبارة عن سلسلة من الآبار تتصل ببعض وتنحدر مياهها من مستوى ارض عال إلى مستوى منخفض يشرف على تربة صالحة للزراعة وهو نظام قديم جدا تعددت الروايات في أصله ومصدره واتفقت على شيوعه

وانتشاره في أكثر من عشرين منطقة من ربوع العالم¹. غير أن ما يميز المنطقة التواتية في نظامها المائي هذا هو توارثه عبر الأجيال منذ عدة قرون وإلى الآن مع المحافظة على كثير من مقوماته وأسس بنائه، بالإضافة إلى أنه ساهم وبشكل كبير في توازنات السكان وانتشارهم داخل الإقليم ومن ثم الاستقرار واستمرار العيش إلى الآن وسط ظروف طبيعية جد قاسية.

فمصطلح (فقارة) في حدّيه اللغوي والاصطلاحي وإن كان الحديث في هذا أولاً يقتضي الوصول إلى أصل اشتقاق اللفظ. فلقد جاء في مخطوط نقل الرواة عن من أبدع قصور توات لصاحبه الشيخ سيدي محمد عمر بن محمد البداوي²، الذي عرفها بأنها آبار متعددة يفقر من جنب كل واحد إلى الآخر فيبرز مأؤه. ويبقى أن نقول أن أصل مادة فقارة الذي هو الفاء والقاف والراء (فقر) جاء عند العرب بنفس المعنى الذي يحمله لفظ الفقارة حيث يقال " فقرت البئر إذا حفرتها لاستخراج مائها . والفقير : الآبار المجتمعة الثلاث فما زادت " ويواصل القول : " وقيل هي آبار تحفر وينفذ بعضها إلى بعض وجمعه فُقُرٌّ " ونلاحظ هنا دقة الشبه بين المعنيين بل تلاقيهما إلى أبعد الحدود وهو ما يعطي لهذه الرواية وجهها متقدما من الصواب. كما إن هناك من ذهب إلى القول بأن أصل القاف هو الجيم ومنه أن الفقارة أصلها الفُجَّارة وعلة هؤلاء أن الماء تفجر من الآبار وسال على السطح³.

وما قيل عن تضارب الآراء حول أصل المصطلح يقال أيضا عن أصل اختطاط الفقارة، فنلاحظ تباينا في الآراء التي تذهب به بعيدا في الزمان والمكان والموطن الأصلي والإجماع الوحيد هنا هو أن النظام دخيل على المنطقة و سبقت إليه حضارات وشعوب مختلفة عجمية وعربية. وإذا كان الاختلاف حول أصل الفقارة ومبداها في منطقة توات لا يزال قائما إلى حد الساعة فإن الإتفاق يكاد يكون إجماعا أيضا حول نظام السقي وطريقة ابتداعه بعد الفقارة بسنوات إن لم تكن قرونا والشاهد ما نراه من وجه اختلاف بين فقارة هُنُو⁴ في تمنطيط وبين بقية فقاقير المنطقة شمالا وجنوبا

¹ - احمد جعفري، " الفُقَّارة ... نظام السقي الصحراوي العجيب " مقال منشور بمجلة "تراث " الصادرة عن هيئة أبو ظبي للثقافة والإعلام

مدينة العين / الإمارات العربية العدد 131 أغسطس 2010

² - محمد بن اعمر البداوي، مرجع سبق ذكره، ص 37.

³ - احمد جعفري، مرجع سبق ذكره.

⁴ - فقارة هنو: تعتبر اعرق فقارة في المنطقة

على الإطلاق. وهذا على اعتبار الرأي القائل بأسبقية هذه الفقارة على بقية الفقاقير الأخرى بالمنطقة¹.

يتكون نظام الفقارة من عدة أجزاء وتعتبر كل هذه الأجزاء أساسية في نقل المياه وهي:

أ. البئر الرئيسي: ويتواجد في مقدمة الفقارة وبعمر أكبر من الآبار الأخرى بحيث له قوة دفع كبيرة وتكون نظيفة وغير مهملة لأنها حديثة التكوين.



الصورة رقم (1): اجزاء من نظام الفقارة بتوات 2014

ب. الآبار الثانوية: وهي آبار تستعمل لإنجاز أغراض الخدمة والصيانة المنجزة من طرف عمال متخصصين في هذا الميدان وذلك لغرض الزيادة في المردود المائي للفقارة كون هذه الآبار معرضة للردم وتراكم الرمال بحيث تعمل على خفض من جريان المياه فالأنفاق والفقارة بالمنطقة تعاني من هذه المشاكل وذلك بسبب الظواهر الخارجية (التصحر).

¹ - لقد اختلفت الآراء حول أول من انشأ الفقارة؛ فصاحب كتاب البسيط يرجع إنشاؤها إلى الأقباط والسيد عمر المهداوي يقول: ان اليهود أول من أسس الفقارة. أما صاحب درة الأقاليم فيرجع إنشاء الفقارة إلى زناتة فيقول: " نزلت بعض القبائل البدوية فوجدوا مياه الوادي قد جفت فاخترت الوادي ثم حفروا سلسلة من الآبار أنفذوها ببعضها ووزعوا بعض أراضي الوادي" مقدم مبروك، مدخل منوغرافي للمجتمع التواتي ص 132.

ج. نفق جوفي لتحويل المياه : وهو عبارة عن طريق يربط بين آبار الفقارة وذلك لغرض تحويل المياه ونقلها إلى غاية أغيسرو ويختلف هذا النمط من فقارة إلى أخرى في الحجم وذلك تبعاً لقوة دفع الماء في الفقارة ويسمى "النفاد".

د. أغيسرو(الساقية الكبيرة): ويختلف عن الساقية حيث يقوم باستقبال المياه القادمة من النفق الجوفي ليتم توجيهها إلى القسرية عبر اغيسرو بحيث يتم من خلال القسرية توزيع المياه إلى البساتين .
هـ. القسرية: هي عبارة عن ممرات مستطيلة نحتت بعناية وحسابات دقيقة على قطعة حجر مستطيلة بحيث تسمح بتوزيع الماء على جميع المساهمين وذلك حسب الحصص المطلوبة أي كل حسب حصته من التقسيم وتوصل بالقسرية عند نهاية الساقية في أسفل الفقارة عند مدخل البساتين.

و. الساقية: وهي عبارة عن ممر للماء مصنوعة من الطين أو الإسمنت توصل الماء ما بين قسرية وأخرى وإلى الماجن.

4-2- الواحة مكون اساسي من مكونات الشبكة العمرانية التواتية

تتوضع الواحة بمحاذاة القصر، حيث تأخذ عادة اسم القصر المحاد لها. اذ تتشكل من حقول صغيرة (بساتين وجنات) التي هي في الواقع مكاسب عائلية. كما تتميز بوجود إنتاج فلاحى وحيوانى يغلب عليه محصول التمور إلى جانب بعض المحاصيل الأخرى.

تجمع الواحة في القطاع الفلاحي التقليدي قسمين أحدهما مسقي والأخر بور¹. يكون الجزء المسقي منتشراً على مساحات كبيرة حول الينابيع من المياه حيث أن المزروعات المحادية (البينية) والنخيل تكون مسقية بواسطة مياه الفقاقير أو الآبار. تجدر الإشارة إلى أن مساحة الواحة المسقية في تقلص دائم وهذا راجع لأسباب رئيسية منها؛ نقص مستوى منسوب مياه الفقاقير باعتبارها المصدر الرئيسي لمياه

السقي، هجرة اليد العاملة إضافة إلى تراكم الرمال حول الواحات نتيجة الزوابع الرملية، حيث أن هذا العامل الأخير يسبب مشكل في عملية السقي إذ يعمل على تعطيل سير المياه عبر نظام السقي المستعمل (الغمر) إضافة إلى إتلاف التربة وعدم صلاحيتها للإنتاج بسبب تواجد كميات كبيرة من الرمل بها.

¹ - البور: ارض أصبحت لا تستغل في الزراعة بسبب الترمل أو انعدام مياه السقي.

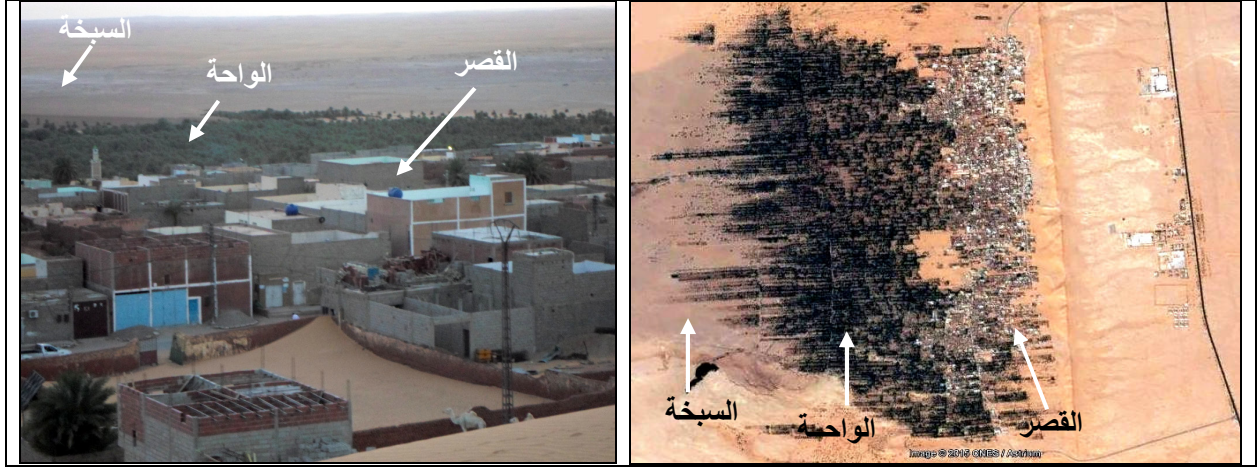


الصورة رقم (2): بساتين الواحة-تمنيط 2014 الصورة رقم (3): حدود الجنان تيطاف 2014

بينما ينحصر البور في مناطق تواجد نخيل ، حيث يظهر عندما تنعدم وتضمحل مصادر المياه وتزحف الرمال على النخيل. ينجم عن ذلك صعوبة في استغلال هاته الأراضي وصيانة النخيل مما يتسبب في تصحر الواحة بالكثبان الرملية فتصبح مهجورة تتحول بذلك إلى واحات بور. وهذا ما أدى إلى نقص المساحات الفلاحية المستغلة.

وتستغل البساتين في منطقة توات إما بالطريقة المباشرة للاستغلال. أو بالطرق الأخرى وخاصة منها الخماسة والحراسة، باعتبار الفلاحة النشاط الوحيد ومصدر القوت الأول، لجأ الناس إلى طرق الاستغلال غير المباشرة لعدم توفر معظمهم على قطعة ارض. وهذا حسب التقسيمات الاجتماعية المعروفة قديما (الشرفاء، المرابطين، الأحرار، الحراثين) حيث كانت نظم الاستغلال غير المباشرة تشمل الطبقتين الثالثة و الرابعة وخاصة هاته الأخيرة. نظرا لعدم ملكهم لأراضي زراعية. بينما انفردت الفئة الأولى والثانية(الشرفاء والمرابطين) بامتلاكها لجميع الأراضي وكذلك الى نصيب وافر من مياه الفقاقير. اندثرت هاته النظم (الحراسة، الخماسة) وغيرهما بعد توفر الأراضي الزراعية وهذا في إطار القانون رقم 83-18 القاضي بتحديد القواعد المتعلقة بميزة الملكية العقارية الفلاحية الخاصة باستصلاح الأراضي، وكذا جميع بنود السير الفعلي لعملية الاستصلاح. وكذا توفر مناصب عمل في القطاع الثاني والثالث. الشيء الذي أدى إلى تقلص النشاط الزراعي في القطاع التقليدي، وهذا ما

جسد وجود الاستغلال المباشر والذي يقضي باستغلال المالك لأرضه أو تفويض الأشغال إلى احد من عائلته.



الصورة رقم (04):توضع القصر والواحة. قصر تيلولين 2014

3-4- القصر:عمارة تقليدية وواقع تعمير جديد

يمكن الحديث عن مجمل عناصر الثلاثة المهيكلة لنظام القصر¹ بمنطقة توات فبالإضافة إلى الواحة نجد القصر القديم الذي يعبر عادة عن النواة الأولى للاستقرار و ثالثا نجد التوسعات المحادية له والمعبرة عن نتاج الحياة الحديثة وكذا تجسد مختلف البرامج المختلفة الموجهة لتحسين السكن وترقيته، بسبب تحسن مستوى المعيشة وإدخال وسائل جديدة بديلة عن الطوب والطين وجذوع النخيل كمواد أساسية في بناء المساكن التقليدية، فاغلب التوسعات استعمل في بنائها الاسمنت والخرسانة المسلحة.

1-3-4. القصر (القصة أو النسيج القديم):

استغل التواتيون المحيط في شكل تجمعات تراصفت على طول وادي مسعود في شكل سبحات في الفيافي والقفار، فالشكل العام الذي يأخذه كل تجمع في الصحراء عموما هو القصر "kasr" والذي بالتعريف هو قرية تقليدية صحراوية (معروف ن. 1980). هذا التجمع من البنايات السكنية المحمية ذو الحجم المتغير تتطور حوله واحة نخيل يعيش من اجلها وتعيش من اجله.

¹ -HADEID.M.2014 . Approche paysagère du mode de croissance spatiale des ksour de l'Atlas Saharien, de la Saoura et du Touat

فالقصر هو قرية محصنة أو بالأحرى مجموعة كتل سكنية متراسة ومتلاحمة فيما بينها، يقطنها مجموعة عائلات، كثير ما تنتمي إلى أصول عرقية واحدة وطبقات اجتماعية مشتركة وقد تكون مختلفة. يحيط بهذه التكتلات سور مدعم بأبراج ركنية (في الزوايا)، وتتخلله مزاغل وقد تخلو بعض الأسوار من ذلك، وقد تخلوا القصور من ذلك ليعوض عنه بجدران البيوت الخارجية، لتشكيل في النهاية ما يشبه السور يحيط بكل إرجاءها. قد تنسب القصور عادة إلي ولي صالح باعتباره مؤسس أو صاحب الفضل في لم الشمل مثل سيدي عبد القادر وسيدي سليمان بن علي ب (أولاد أو شن) ادرار. وقد تعود التسمية إلى الاتجاهات مثل قصر قبلي الجنوبي والقصر الزعراني الشمالي أو إلي لون مادة البناء مثل قصر الأحمر بتامست. كما قد ينسب إلى القبيلة أو الجنس المستقر به مثل قصر أولاد يعقوب، أولاد احمد أو أولاد داود بتمنطيط (ادرار)، وقد ينسب إلي الطبقة الاجتماعية مثل قصر العرب، وقصر المرابطين. وأحيانا يرفق بكلمة القصر بصفة من الصفات الدالة على موقعه أو قدمه أو حدثه أو كبره مثل القصر التحتاني والقصر الفوقاني والقصر القديم والقصر الجديد والقصر الكبير. وأحيانا يشتاق اسمه من شكله وينسب إلى أشخاص وأشياء أخرى مثل قصر تازولت (تازولت بالعربية معناها الاثمد أو الكحل الخاص بالعينين) ¹. قد تحتوي القصور بداخلها على قسبة وقصبتين محصنتين ومسجد جامع عادة ما يطلق عليه بالجامع العتيق ². كما يشمل القصر المرافق الضرورية كالرحاب وغيرها.

وظيفيا يمكن تعريف القصور على أنها تمثل الكتل العمرانية الأكثر تأقلا مع البيئة الصحراوية انطلاقا من مواد البناء واختيار الموضع إلى النمط العمراني المستعمل في الوحدات السكنية ³. ويرتبط القصر عادة، بالجانب الفلاحي ارتباطا وثيقا وغالبا ما تحيط به البساتين الخضراء (الواحة) باعتبارها مصدر اقتصادي رئيسي للسكان كما أنها تمثل حاجز منيعا للتقليل من حدة العواصف الرملية، بالإضافة إلى تكسير التيارات الهوائية وتارة يكون القصر بأطراف غابات النخيل أو حتى بعيدا عنها وذلك لكون الأراضي الزراعية ذات قيمة عالية، فيفضل استعمالها للزراعة بدلا من السكن.

¹ - محمد باي بلعالم، 2005. الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، الجزء الأول والثاني. دار هومة الجزائر. ص 23

² - ثياقة الصديق. 2006. النمط المعماري للمدينة الصحراوية ووظيفته الاجتماعية مقارنة أنثروبولوجية لقصر "تمنطيط" ادرار رسالة ماجستير في علم الاجتماع (أنثروبولوجيا) جامعة وهران.. ص 76

³ - يوجد بالقصور حلول تقنية كالتهووية الطبيعية والإضاءة والتبريد والتدفئة.

القصبة: هي تجمع سكني محصن محاط بسور مرتفع ومزود بأبراج مراقبة في الزوايا ويحيط بها خندق. ولعل هذا النمط افترضته عوامل الطبيعة وضرورة الأمن لإحباط محاولات الاختراق ونجد أن القصبة تتبع في تكوينها نظاما محكما من حيث موقع المبنى، قربها وبعدها عن المصادر المائية ووضعها فوق مرتفع صلب. وتأخذ القصبات أشكالاً فمنا المربعة وهي التي شيدها العرب ومنها ذات الشكل الدائري وهي الأقدم حسب المؤرخين وهي عبارة عن قلاع سكنها اليهود في القدم. في حين تخطيط الأحياء يشعرك بوجود تخطيط فيزيائي وميزة جغرافية طبقا لمكانة السكان.



الصورة رقم (6): السور الغربي وبرج القصبة.
تليلولين 2014



الصورة رقم (5): خندق على حواف قصبة أولاد
الحاج علي. تيطاف 2014



الصورة رقم (8): المساكن داخل قصبة الشرفاء
زاوية كنته 2014



الصورة رقم (7): زقاق وسط القصبة. زاوية كنته
2014

- الأبراج: تتوضع في زوايا القصبية. والبرج عبارة عن مبنى ذو شكل هرمي واسع في القاعدة ويضيق في الأعلى، يحتوي على سلاسل بداخله وفتحات لمراقبة العدو. وفي أسفلها مخازن لتخزين المحاصيل الزراعية والأملاك الجماعية. وتكمن الوظيفة الأساسية للأبراج من خلال الشكل المعماري الذي أخذته في مراقبة الغزاة من بعيد و الدفاع عن القصر.

- السور: وهو الحصن الذي يحيط بالمجمعات السكنية داخل القصبية، يصل ارتفاعه إلى ستة أمتار وقد يزيد عن ذلك أما سمكه فيكون بمترين (2م) في الأسفل ليتناقص كلما علا. فالسور له وظيفة رئيسية تتمثل في الدفاع والحماية كذلك لم تشمل العائلات والديار في مجال معين في ذلك الوسط الذي رسمه له الواقع الأيكولوجي.

- الخندق: يحيط بالقصبية من كل الجهات مما يصعب على العدو إمكانية غزو القصبية يفوق متوسط عمقه المترين.

- الرحبة: هي عبارة عن ساحة عمومية تتموضع وسط القصر وهي بمثابة مركز حيوي ومجال عمومي حر (عثمان ط.2010)، تحيط به البنايات المجاورة غير مغطى وتنظم مجالاته المتعددة بصفتها تؤدي إليها جميع الممرات (أزقة القصر) وهي بمثابة الموزع الحركي والمجال للقصر. تقام فيها مختلف الحفلات والأعياد القصبية الموسمية، ومرتع للأطفال والشباب ومكان لتلاقيهم اليومي لاسيما في الفترة الليلية. في السابق كانت مكان تجهيز القوافل التجارية المستعدة للرحيل ومحطة نزولها عند مجيئها.

- الأزقة: هي عبارة عن ممرات منعرجة ومسقوفة تؤدي إلى مختلف أحياء وفضاءات القصر المختلفة كالمسجد والساحة العمومية. وهي عبارة عن مجالات خطية عمومية تلعب دور المنظم و المؤدي للمساكن وهو نوعان أزقة عمومية نافذة وأزقة نصف عمومية غير نافذة مؤدية إلى الديار المنفتح عليها فقط تتخللها ثقب لإضاءة وإرشاد المارة، اتساعه لا يزيد عن متر ونصف مما يسمح بمرور حمارين محملين في آن واحد.

كما ان الزقاق كان يستعمل قديما للنوم والراحة من طرف الرجال أيام الحر الشديد ومن الأعلى يتقاسم سطحه المسكنين المجاورين اللذان يحصران هذا الحيز. هذا بالإضافة إلى الفوائد المناخية لان الأزقة تقلل من المسطحات المعرضة لأشعة الشمس كما أنها توسعة للناس إذا ضاقت عليهم منازلهم وما إلى ذلك من فوائد لصالح العام وللأزقة وظيفة بنائية لأنها تربط المباني ببعضها البعض لتكون كتلة واحدة فيتسند كل مبنى للأخر.

هذه الأدوار الوظيفية للأزقة وغيرها لم تأتي من فكر المهندسين وأنظمة المخططين ولكن من تجارب أولئك الذين يعاصرون ويعانون من البيئة ويوجدون الحلول لها فمن تراكم تجاربهم تبلورت الأعراف والتقنيات في بيئة القساوة والجفاف.

خلاصة:

شكلت القصور على طول وادي مسعود المجال العمراني والسكني للتواتيين في الواحات بتجمعات بسيطة جسدها مساكن مبنية من الطوب والطين معدة لتحدي الظروف الطبيعية، وهذا يظهر من خلال تتبع معالم المنطق العمراني الذي شكل تلك التوطنات الواحية بشكل عام و بتوات بشكل خاص والمرتبطة أساسا بطبيعة المنطقة الصحراوية والظروف التاريخية وكذا طبيعة الأجناس التي عمرتها وبرزت قصور توات بحكم موقعها وعرفت علاقات تجارية وعلمية بلغت أقصى بلاد الساحل جنوبا وتونس شرقا والمغرب الأقصى غربا وشكلت محورا للقوافل التجارية والحجيج. وعليه جسد توات ذلك الدور الإقليمي بفضل الوظائف الدينية والمذهبية، التي لعبتها الزوايا لعقود طويلة. اما محليا فبرز دورها الثقافي والعلمي والاجتماعي المهيكل للمجتمعات القصورية، كما خضع تسيير تلك المجتمعات الى هيئة محلية مثلت مجلس القصر اداة التشريع والتنفيذ وظلت هاته المؤسسات (الزوايا ومجلس الجماعة) تمثل هيئات للتنظيم المحلي لقصور المنطقة الى غاية الفترة الاستعمارية وما صاحبها من تحولات وتغيرات مست ذلك التنظيم المحلي وسياسات احدثت طفرات في الادوار الوظيفية للقصور تماشيا وأهداف الادارة الفرنسية من اجل السيطرة على المنطقة.

فإذا اردنا فهم الواقع النوعي المتعلق بالمجال السكني الذي مثله النظام الواحي من خلال عناصره؛ فمثلت الفقارة موردا للمياه بنظام هيدروليكي وطريقة تقسيم دقيقة، استغلت مياهها لري البساتين التي مثلت ورشة الاستغلال الزراعي ومصدر الكسب الرئيسي خلال فترات طويلة. الواقع الذي ارحى ظلاله على التنظيم الاجتماعي والتراتب الطبقي للسكان. اذ تتوضع البساتين مشكلة حزام اخضر حول القصبات والقصور مكان الاستقرار. التي عبرت بنيتها المعمارية عن فن العمارة الصحراوية.

أوحى النظام جملة عن وجود تخطيط فيزيائي وميزة جغرافية تكيف معها الإنسان القصور لتتحقيق التكامل البيئي.

الفصل الثاني:

توات أرخبيل من القصور: مقارنة لتحليل
الشبكة العمرانية وآليات انتظامها في
المنطقة

الفصل الثاني: توات أرخبيل من القصور: مقارنة لتحليل الشبكة العمرانية وآليات انتظامها في المنطقة

مُتَكَمِّمًا:

يتميز العمران بمنطقة توات منذ القدم بتركز كبير في الكتل الرئيسية، ويقل بالمراكز الصغيرة. تتحكم في وجود جميع هاته المراكز عوامل الطبيعة الخاصة بهذه المنطقة المطبوعة بتركز نقاط الماء العنصر الأساسي في أي استقرار في هذه المناطق الجافة. تتوجب الإجابة على تساؤلات من قبيل طبيعة النشاطات التي طالما وقفت وراء هذه التراكبات العمرانية في الماضي والمنطق المحلي الذي ينظم القصور وعلاقتها مع عالم حركة القوافل. الذي لعب دورا هاما في نشاط هذه المجالات وعمرانيتها في السابق والذي ساهم في التنظيم الإداري والوظيفي الحالي. اين تطورت تلك الشبكة القصورية وتولدت من جرائها ميكانيزمات جسدها حجم التبادلات وحركية السكان المحليين سواء بين المركز الرئيسي والقصور أو بين القصور فيما بينها (inter-ksar). ويهدف إدراك وفهم العوامل المؤثرة في التوزيع المحلي للمجمعات التواتية وتشكل تلك الشبكة القصورية اهتدينا إلى مقارنة تحليلية تمحورت حول دراسة ديموغرافية لسكان الإقليم من خلال المعطيات الإحصائية لمختلف التعدادات السكانية، وكذا فهم التوزيع المحلي وانعكاسات تأثير شبكات الطرق ودورها في تنظيم المجال في إطار تلك الشبكة القصورية بتوات.

1- شبكة القصور وهيكلية المجال تعدد العوامل وتعاقب التنظيمات

إن تنظيم مجال توات الحالي كان نتاج تراكمات تاريخية، سياسية، إدارية واجتماعية والتي أعطت الهيكلية الحالية من خلال العدد الكبير من القصور الموزعة محليا ضمن نظام شبكة قصورية. تتحكم في تنظيمها تلك العلاقات التقليدية التي ورثتها منذ قرون (شطوف. ف. 2014). تتباين تلك القصور فيما بينها من خلال عدة مؤشرات نذكر منها؛ البعد التاريخي و الرتبة الإدارية وكذا النمط الحضاري للقصر. وسنحاول فيما يلي دراسة شبكة القصور من خلال عدة مؤشرات تحليلية لإبراز دورها الأساسي في التنظيم المحلي بالمنطقة وتوضيح العوامل المتحكمة في ذلك.

1-1- القصر الوحدة المكانية الأساسية لنشأة المجمعات بتوات

عرف إقليم توات الاستيطان منذ القدم بتوافد القبائل المختلفة الأجناس، فاستطاع ساكنيه التكيف وقساوة الطبيعة وندرة الماء ليصنع التواتي لنفسه نمطا معماريا بالنسبة لمسكنه تماشى والظروف الطبيعية مشكلا ما يفوق 140 قصرا موزعة على امتداد الطريق الوطني رقم (06) من قصر عريان الراس شمالا إلى زاوية الرقاني جنوبا.

فأظهرت تلك القصبات التي بنيت تماسكا بنيويا وتجانسا وظيفيا خلال تواجدها وحيويتها واوحت على كل مميزاتها وخصائصها. ولذلك كان القصر بمثابة وحدة إدارية مستقلة له إمكاناته الاقتصادية والإدارية والدفاعية. ثم من بعد القصر تأتي المقاطعة ومن مجموع المقاطعات يتشكل الإقليم. ويورد محمود فرج محمود أن توات خلال القرنين (18-19) تكون من 10 مقاطعات هي: مقاطعة بودة (توات العليا)، مقاطعة تيمي، مقاطعة تمنطيط (عاصمة الإقليم)، مقاطعة بوفادي (أولاد الحاج)، مقاطعة تسفاوت (واحات فنوغيل)، مقاطعة تامست، مقاطعة أولاد سي حمو بالحاج (زاوية كنته)، مقاطعة انزجير (توات الحنة)، مقاطعة سالي و مقاطعة رقان¹.

وهذا التنظيم الإداري وليد النظام القبلي القديم فشيوخ القبائل أصبحوا شيوخا على القصور والمقاطعات وشكلوا مجلس البلدة (الجماعة). وشيخ أكبر المقاطعات يعتبر شيخا للإقليم وبذلك ظل مشايخ مقاطعة تمنطيط يمثلون هذا المنصب حتى بداية القرن الثامن عشر. فهل حافظ الإقليم على هذا التنظيم خاصة بعد السياسة الاستعمارية وحتى بعد الاستقلال و ما أعقبه من سياسات إدارية وتنظيمية؟

على الرغم من أن المنطقة لا تمثل تقسيما إداريا واضحا إلا أنها تشكل تقسيما مكانيا تبعا لأقاليمها الثلاثة؛ قورارة أو تينقورارين الذي يقع بالشمال وتيديكلت الذي يقع بالجنوب الشرقي و توات إقليم الدراسة والذي يتوسط الإقليمين ويزيد من ترابط المنطقة شمالا وجنوبا.

كما ان المقاطعة لا تستند إلى حاكم إداري أو قاضي وإنما تم التقسيم على أساس التجاور العمراني لمجموعة من القصور، غالبا ما تكون مقاطعات المنطقة الواحدة متجاورة. ولا تبعد الواحدة

¹ - محمود فرج محمود. إقليم توات خلال القرنين 18-19م ص20-21

عن الأخرى بأكثر من عشرين أو ثلاثين كيلومترا، وبحكم المصلحة المشتركة وحسن الجوار تحكم على المقاطعات المشتركة نوع من التعاون في السراء والضراء، ومن هنا برزت أهمية المنطقة¹. بقيت توات لعدة عقود خاضعة لتسيير المجموعات المحلية (الزوايا) التي تتعلق تبعيتها لسلطة غير مستقرة للقبائل الحاكمة في شمال إفريقيا أو لسلطة قبائل البدو الرحل التي كانت تتحكم وتراقب حركة القوافل التجارية (عثمان ط. 2010). بالموازاة كان دور الجماعة كفيل على وجود هيئة تسيير خاصة بكل قصر فهي المهتمة بشؤون القصر الاجتماعية والاقتصادية إضافة إلى توسيع العلاقات الخارجية فهي من تشرف على التوسع العقاري و تملك الأراضي وتضبط مختلف عملياتها العرفية، إضافة إلى تداول مختلف مشاكل القصر وإيجاد الحلول في قرارات دالة على الدور التشريعي والتنفيذي داخل كل قصر.

1-2- الإدارة الاستعمارية: تنظيم مجالي وتسيير إداري للمنطقة

تواكب تواجد الاستعمار بأرض توات بداية القرن العشرين (1900)، فالاستعمار حقيقة جسد بصمته بالمنطقة بالتحكم والإشراف على محاور سير القوافل من خلال إقامة نقاط للمراقبة من أجل حماية الإمدادات والمعدات بين مختلف المراكز الاستعمارية بالمنطقة شمالا وجنوبا. فيما يخص التنظيم العمراني فدخل الاستعمار نمط جديد للمباني خارج نطاق القصر، فتميزت المنشآت الاستعمارية بالتنظيم الشطرنجي إضافة إلى إدخال وسائل جديدة في البناء. فعمل بذلك على خلق توسعات عمرانية كانت بداية للتحويلات المحلية بالمنطقة خاصة بالمراكز الاستعمارية (ادرار ورقان). إما من خلال التنظيم المجالي للمنطقة وان لم يعتمد إلى إحداث تغيير جوهري إلا انه عمل على إرساء سيطرته وإدارته من خلال نظام مستحدث سمي بـ"القيادة". فالقايد يعد ممثلا للإدارة الفرنسية؛ يقوم بالختم على الوثائق المدنية ويسهر على تطبيق القوانين الفرنسية كما يعتبر همزة وصل خاصة بالنسبة للجماعة والإدارة الاستعمارية سواء من خلال نقل المطالب والشكاوي من جهة وجمع الضرائب والإتاوات من جهة أخرى. ففي منطقة توات شملت وحدات القيادة وانبثقت على مختلف المقاطعات.

كما عملت الإدارة الفرنسية على نقل عاصمة الإقليم من تمنطيط إلى ادرار التي أصبحت مركزا للقيادة الفرنسية إضافة إلى استحداث مكاتب في كل من رقان وزاوية كنته في الجنوب.

¹- فرج محمود فرج نفس المرجع السابق، ص20

1-3- التقسيمات الإدارية بعد الاستقلال: أداة فاعلة من اجل تنظيم مجال توات

بعد الاستقلال ونظرا لمجمل التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي عرفتها الجزائر حدث توقيع للمزيد من المراكز العمرانية وإعادة توزيعها وفقا لأدوارها الجديدة ومن ثم إعادة تنظيم المجال من خلال عدة سياسات متباينة لعل أبرزها التقسيمات الإدارية المتعاقبة.

وعليه فإن جميع عمليات التقسيم الإداري الذي عرفته ولاية ادرار لم تكن لتجسد لولا حتميات سياسية حملت في طياتها تغيير هيكله المراكز، فتجلت قرارات الدولة بوضوح من خلال تسطيحها لعدة تقسيمات إدارية متعاقبة تهدف من خلالها إلى التنمية الشاملة باستحداث و ترقية مراكز جديدة. لان الترقية تعمل على تقريب الإدارة من المواطن إضافة إلى استحداث مختلف الخدمات والتجهيزات للوصول إلى تنمية اقتصادية واجتماعية بالاعتماد على الإمكانيات المحلية للسكان. فبعد ما كانت ادرار تابعة إداريا لولاية الساوره ارتقت إلى صف ولاية بعد التقسيم الإداري لسنة 1974 وبالتالي حدث تغيير في المراكز وأدوارها الوظيفية وما أعقب ذلك من خلال سلسلة التدعيمات بمختلف التجهيزات والهياكل الإدارية.

لذلك من الضروري معرفة أهم التقسيمات الإدارية على مستوى مجال الدراسة لتوضيح نتائج تطبيقها وانعكاساتها على الشبكة العمرانية لإقليم توات.

الجدول رقم (01): التنظيمات الإدارية بتوات بعد الاستقلال

السنوات	1963	1974	1984	1991
دائرة	1	2	3	5
بلدية	5	5	12	12

المصدر: التقسيمات الإدارية 1963، 1974، 1984، وترقيات 1991

1-3-1. التقسيم الإداري سنة 1963:

جسده المرسوم الصادر في 16 ماي 1963 القاضي برفع عدد الولايات إلى 15 عمالة وهذا لإعادة توزيع الموارد المالية وإعادة توزيع الأدوار الوظيفية والإدارية للبلديات، حيث بلغ عددها 632 بلدية على مستوى التراب الوطني. فعملت الدولة بذلك على دمج البلديات الصغيرة وذات الموارد الاقتصادية المحدودة بالبلديات النشطة اقتصاديا و وظيفيا من اجل بعث التنمية وإحداث تكامل

فكانت ادارار دائرة تابعة لولاية الساورة ضمت بذلك خمس بلديات: ادارار، تساييت، فنوغيل، زاوية كنته و رقان.

1-3-2. التقسيم الإداري سنة 1974:

انبثق هذا التنظيم بموجب الأمر الصادر في 02 جويلية 1974 وجاء من اجل تغيير الصورة الاستعمارية وبتصحيح الاختلالات المحلية الموروثة وكذا العمل على إحداث تنمية وطنية شاملة من خلال ترقية المناطق المهمشة، خصوصا وان هذا التقسيم تزامن و توجيهات الدولة ضمن سياسة التخطيط الاقتصادي المركزي (المخطط الرباعي الثاني) و الرامي إلى استفادة جميع البلديات من الخدمات العامة. ترتب عن التنظيم 31 ولاية من أصل 15 ولاية. كما تعتبر هذه العملية ضرورية من اجل إعادة تنظيم المجال الوطني. فادرار من بين الولايات التي ارتقت اثر هذا التقسيم بعد ما كانت تابعة لولاية الساورة . مشكلة من ثلاث دوائر (ادرار، تميمون، رقان) و 10 بلديات الجدول رقم (11). وتمثل إقليم توات من خلال 5 بلديات وهي (ادارار، تساييت، فنوغيل، زاوية كنته، رقان).

1-3-3. التقسيم الإداري 1984:

مواصلة واستمرارا للأهداف التي أفرزتها التنظيمات السابقة من اجل القضاء على الفوارق المحلية وتبعا للظروف الاقتصادية والاجتماعية جاء التنظيم الإداري لسنة 1984 تطبيقا للقانون رقم 84/08 الصادر في 4 فيفري 1984. و الذي يهدف إلى تحسين التأطير الإداري للبلاد إلى آخر سلم في التقسيم برفع معتبر لعدد البلديات من 705 إلى 1540 بلدية. كما ازداد عدد الولايات أيضا من 31 إلى 48 ولاية. فانشأت ولايات جديدة خاصة بالمناطق المهمشة والمغزولة، هذا من شأنه خلق أقطاب جديدة للتنمية. وهذه الولايات الحديثة منبثقة عن دمج جزئي او عدة أجزاء من ولايات أخرى مجاورة، أو عن تقسيم ولايات أو بلديات أخرى مجاورة. فبالنسبة لولاية ادارار انجر عن التقسيم 28 بلدية.

ونظرا لمختلف التقسيمات الإدارية التي شهدتها الجزائر في إطار إعادة التنظيم والهيكلة الإدارية لولايات الوطن بعد الاستقلال (1974، 1963، 1984 سنوات التقسيم و الترقيات سنة 1991). فإقليم توات وحسب اخر الترقيات الإدارية تكون من 5 دوائر و 12 بلدية تتشكل من أكثر من 140 قصرا تتوزع اغلبها على محور الطريق الوطني رقم (06). فشهدت القصور المراقبة تطورا

وظيفيا وأصبحت مراكز رئيسية على غرار قصر بن طلحة مقر بلدية تساييت و قصر بن دراغو مقر بلدية بودة وقصر اولاد ابراهيم مقر بلدية تيمي، إضافة إلى مقرات البلديات الأخرى التي هي في الأصل قصور تم تأهيلها بمختلف التجهيزات و الخدمات المتعددة ساهمت في خلق ميكانيزمات جديدة سواء في طبيعة النشاط الاقتصادي وكذا في حركية الساكنة من خلال تنقلاتهم اليومية إلى هاته المراكز وعليه فان الاداء الوظيفي للقصور شهد أوجه جديدة فرضتها التنظيمات الإدارية والتي انعكست على الإقليم و دوره المحلي في إطار شبكة قصورية تحكمت في انتظامها عوامل نذكر منها؛ الترقية الإدارية إضافة إلى الديناميكيات الديموغرافية.

2- ديناميكية ديموغرافية بتوات: نمو مستمر وتحضر سريع

تقودنا الدراسة السكانية بمختلف معطياتها أو متغيراتها إلى إبراز وتوضيح المؤهلات الديموغرافية وعلاقتها بتنظيم المجال وتجهيته، ومدى أهمية ذلك في توزيع السكان عبر المجال الذي يعيشون فيه بحكم تأثيرهم وتأثرهم من خلال ميكانيزمات النمو الديموغرافي السريع الذي عرفته الجزائر خاصة بعد الاستقلال وتحسن ظروف المعيشة وتنامي المراكز العمرانية واتساع الظاهرة الحضرية بها. و عندما يتعلق الأمر بسكان التوات الموزعين في مجال مكون من قصور، فان أهمية الدراسة تتجلى في إدراك وفهم كل العوامل المؤثرة في ذلك، وانعكاساتها على هيكلية شبكة القصور والتنظيم المحلي، معتمدين على المعطيات الإحصائية لمختلف التعدادات من اجل توضيح سيرورة التطور. كما نحاول من خلال هذا الدراسة معرفة أهم التغيرات التي طرأت على المجال إذ يعتبر العنصر البشري المحرك الأساسي لمختلف المجالات الريفية والحضرية.

2-1- تطور السكان العام بإقليم توات:

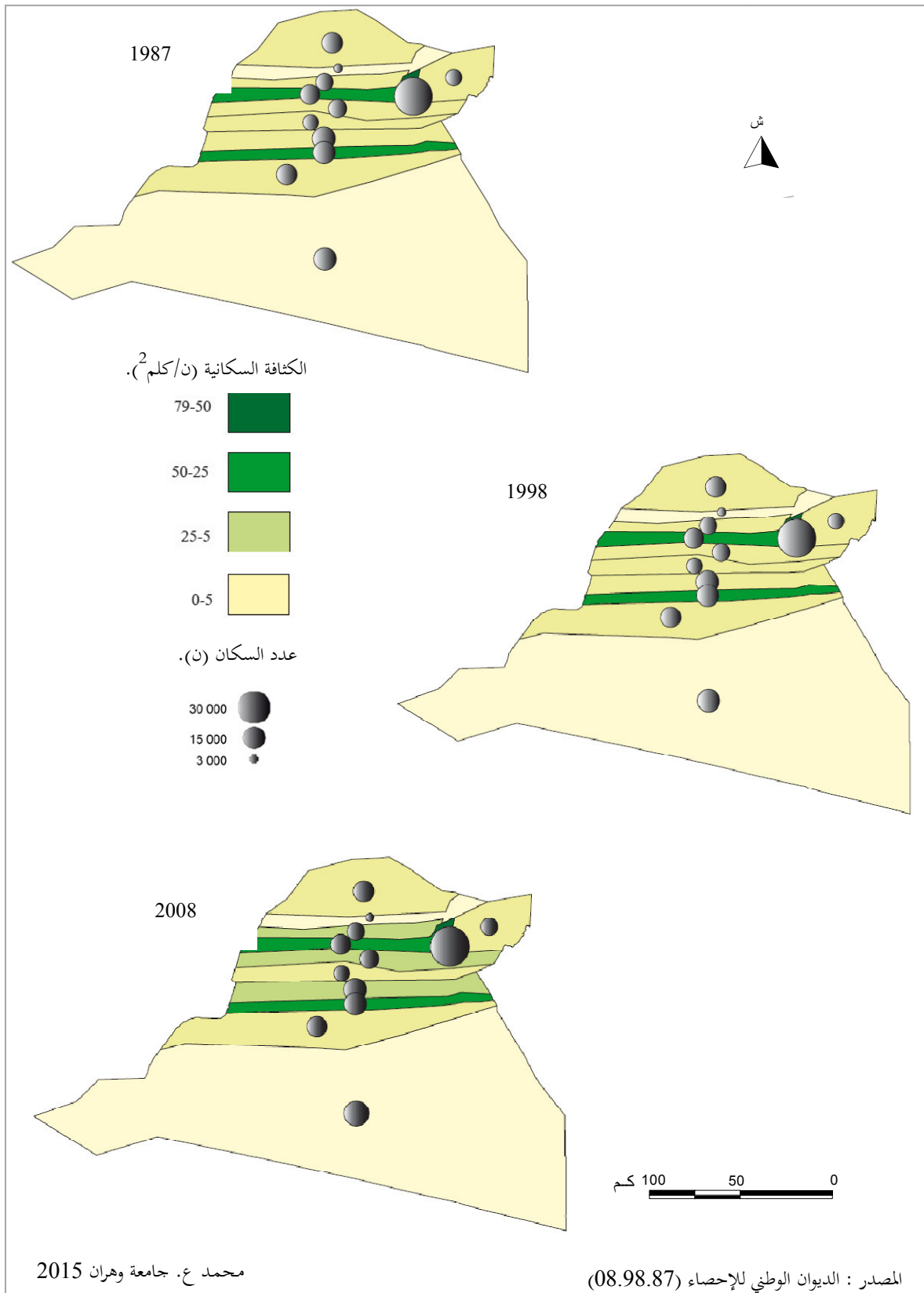
بلغ المجموع العام لسكان بلديات ادرار حسب إحصاء السكن والسكان لعام 1987 حوالي 217678 نسمة وكثافة سكانية تقدر بـ 0.50 ن/كلم². ليصل في إحصاء 1998 إلى 312228 نسمة. وهذا بمعدل نمو إجمالي قدر بـ 3.31%، حيث أن هذا المعدل يعتبر أقل من معدل النمو الوطني الذي قدر بـ 3.8% لنفس الفترة. كما قدرت الزيادة السكانية في هذه الفترة ما بين 1987 و 1998 بـ 94550 نسمة. وقد وصل عدد سكان الولاية حسب إحصائيات سنة 2008 إلى 399714 نسمة أي بزيادة تقدر بـ 87486 نسمة وبمعدل نمو 2.5%. كل هذا يفسر استمرار

التزايد في حجم السكان. وسنحاول فيما يلي تتبع تطورات النمو السكاني على مستوى بلديات إقليم توات باعتباره منطقة الدراسة والذي يمثل حوالي نصف سكان الولاية ادرار.

الجدول رقم (2): تطور سكان توات حسب التعدادات السكانية (1966-2008)

معدل النمو %				عدد السكان					
08-98	98-87	87-77	77-66	2008	1998	1987	1977	1966	
2,5	3,21	5,1	1.7	201855	156975	109705	66400	55000	إقليم توات
2,5	3,31	4,7	-	399714	312 228	217 678	137500	-	مجموع الولاية

المصدر: الديوان الوطني للإحصاء. نتائج الإحصاءات العامة للسكن والسكان (87،98:08)

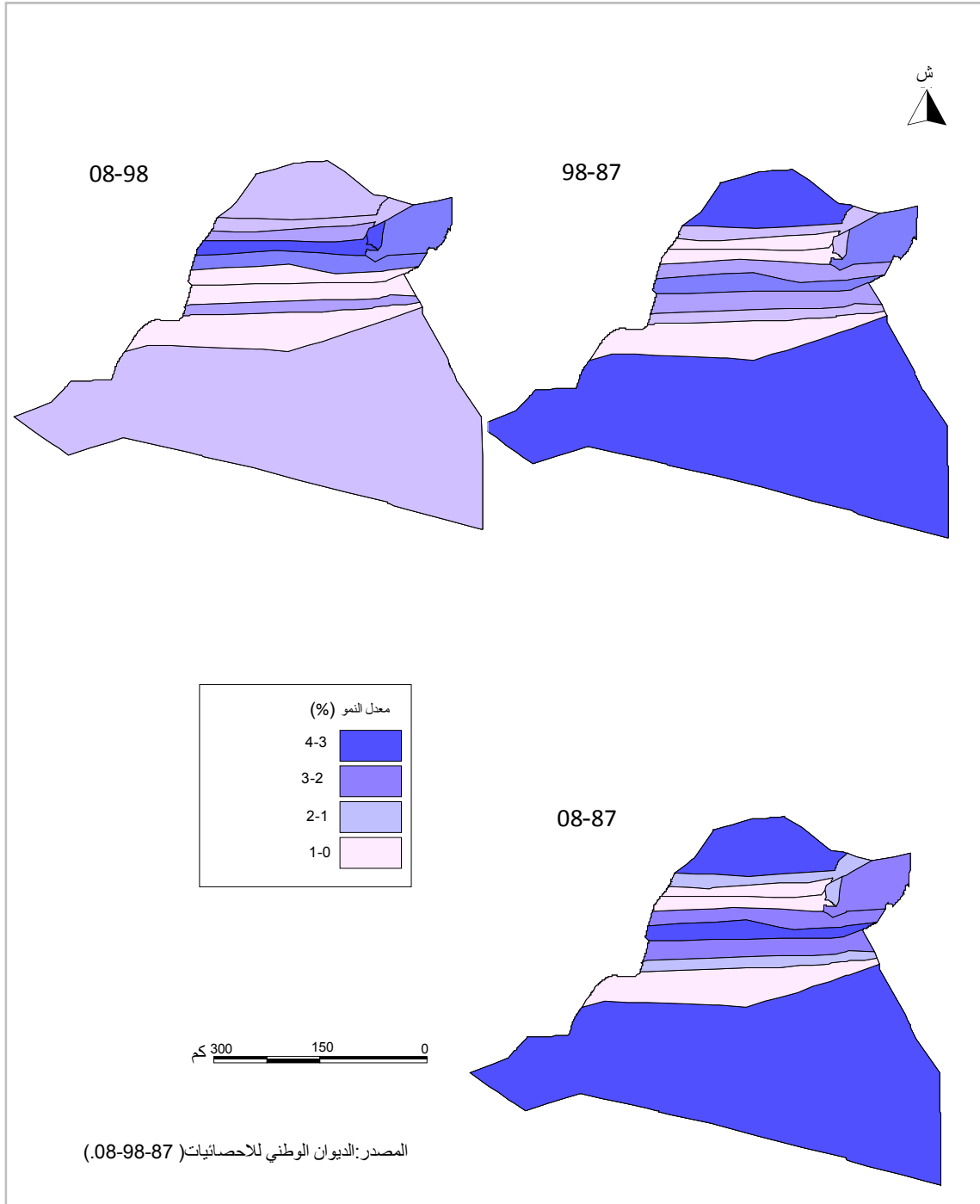


الخريطة رقم (3): تطور سكان إقليم توات خلال 1987-2008

1-1-2. ارتفاع نسبي لمعدلات النمو في الفترة ما بين 1977-1998

عرفت بلديات إقليم توات معدلات مرتفعة للنمو قبل وبعد التقسيم الإداري لسنة 1984 وما أعقبه من إعادة التنظيم الإداري والوظيفي للقصور حيث قدر عدد سكان الإقليم حسب تعداد 1987 بـ 109705 نسمة. ليتطور ويصبح 156976 نسمة سنة 1998 بزيادة سكانية تقدر بـ 47271 نسمة وبمعدل نمو قدر بـ 3.21% والذي يعتبر مقارب للمعدل الولائي المقدر بـ 3.31% في هذه الفترة. و يعلل هذا الارتفاع في معدل النمو في هذه الفترة إلى تحسن الظروف الاقتصادية والاجتماعية كتوفر الخدمات ومناصب الشغل الجديدة و الانتعاش الذي مس القطاعات الاقتصادية المختلفة.

وقد قسمت معدلات النمو في هذه الفترة بالتقريب إلى فئتين؛ الفئة الأولى يتراوح معدل نموها ما بين (0-3%) وتضم كل من بلديات: تامست رقان، تساييت، زاوية كنته، سالي، سبع. والفئة الثانية تضم 5 بلديات بمعدلات نمو أكبر من 3%. على رأسهم عاصمة الولاية بمعدل 3.78%، تمنطيط، أنجزمير، تيمي، وبودة. فهاته البلديات معدلات نموها مقاربة للمعدل الوطني او تفوقه. بمقارنة معدلات النمو لهذه الفترة فيما بينها نجد ان هناك تقارب كبير بين بلديات الإقليم.



الخريطة رقم (4): توزيع معدل النمو لبلديات توات خلال 08-87

2-1-2. تراجع معدلات النمو في الفترة ما بين 1998-2008:

في نهاية هذه الفترة بلغ عدد السكان بالإقليم حوالي 186732 نسمة بزيادة تقدر بـ 29756 نسمة بعدما كان 156976 سنة 1998 بمعدل نمو قدر بـ 2.5%. تميزت هاته الفترة على العموم بتراجع المعدلات وبرزت رقان بـ 3.59%. معدل نمو يعتبر أكبر من المعدل الولائي وهذا يعود إلى

الزيادة الطبيعية وتوفر الخدمات الصحية والاقتصادية كون مجموعة رقان شبه حضرية وكذا ازدياد الهجرة الوافدة من خلال بوابة تانزروفت او حتى من خلال تيديكلت. في حين نجد ان بلديتنا تامست وتسايت من البلديات التي حافظت على وتيرة نموها، كما أن معدلها مقارنة للمعدل الولائي المقدر بـ 2.28%. بينما عرفت البلديات المتبقية تراجعاً كبيراً في وتيرة النمو (الخريطة رقم 4)، كما نلمح بلدية تيمي بمعدل نمو ضعيف جداً بلغ 0.9%. فبالرغم من الارتفاع في عدد سكانها الذي بلغ 13215 سنة 2008 والذي كان في 1998 حوالي 11976 نسمة. وهذا يفسر الهجرة الكبيرة لسكان البلدية باتجاه مقر الولاية ادرار بحكم قربها منها واندماجها بمجموعة ادرار من الناحية الجنوبية.

2-2- كثافة سكانية ضعيفة وفوارق مجالية كبيرة

لا تنحصر دراسة الكثافة السكانية عبر بلديات مجال الدراسة في إبراز العلاقة بين حجم السكان والمساحة فقط بل هي من أهم المقاييس التي تعكس الصورة الحقيقية للتنظيم المجالي السائد بها من خلال معرفة درجة توزيع السكان عبر مساحة كل بلدية يقيمون بها ومدى الاستجابة والتفاعل القائم بينهم والمجال الذي يعيشون فيه كما تبرز أهميتها في تشخيص الاختلالات المجالية الحاصلة بين البلديات التي تضم كثافة سكانية مرتفعة وتلك التي تضم كثافة منخفضة. وان كانت الكثافة في هاته المناطق لا تعبر عن التركيز السكاني.

يمكن أن نسجل ارتفاعاً محسوساً للكثافة السكانية بالنسبة لإقليم توات، حيث نجدها تقارب 0.5 ن/كلم² سنة 1987 و 0.9 ن/كلم² سنة 2008 لكنها تبقى منخفضة جداً نظراً لشساعة المساحة، إذ تظهر القصور على شكل نقاط في بحر من الرمال و البيداء. ومن اجل توضيح التباين المجالي في توزيع الكثافة السكانية مع وجهتها التطورية عبر البلديات اعتمدنا على معطيات التعداد العام للسكان والسكن لمختلف الفترات كما يلي :

- الكثافة السكانية خلال سنة 1987 و 1998، كثافة منخفضة مع توزيع مجالي متجانس عدا بلدية ادرار.

تميز توزيع الكثافة السكانية عبر مجال الدراسة بطابع التجانس المجالي (بسبب المساحات الشاسعة للبلديات) حيث بلغ متوسطها 6.9 ن/كلم². لكن هناك بعض الاستثناءات؛ حيث تم تسجيل بلدية ادرار اكبر كثافة سكانية فاقت 69 ن/كلم² وهذا لصغر مساحتها 633 كلم وكذا لحجم سكانها الكبير 43903 نسمة عام 1998. وفي نفس الفترة برزت بلديتنا تيمي وانجزمير بقيم

للكثافة محصورة بين 1 و 4 ن/كلم2. أما باقي البلديات فقد سجلت قيما منخفضة لا تتعدى 1 ن/كلم2 وهذا لشساعة مساحتها كما أنها تضم إحجام للسكان صغيرة حسب تعدادي 87 و 98.

- الكثافة السكانية سنة 2008، استمرار التجانس وارتفاع في قيم الكثافة السكانية

نلاحظ ارتفاع محسوس في متوسط الكثافة السكانية ببلديات مجال الدراسة إذ وصل إلى 8 ن/كلم2 وقد سجلت 79.3 ن/كلم2 كأعلى قيمة لها و 0.16 كلم2 كاخفض قيمة ببلدية رقان وبالتالي الفارق كبير بين القيمتين. وهذا الارتفاع في معدلات الكثافة السكانية كان نتيجة التزايد المستمر في حجم السكان عبر جميع البلديات.

مما سبق يمكن استخلاص مايلي :

ارتفاع مستمر ومتواصل لقيم الكثافة السكانية عبر البلديات طيلة 23 سنة مع بروز ل ادرار كحالة خاصة مقارنة ببقية البلديات بتسجيلها لقيم مرتفعة للكثافة بعيدة عن الكثافة السكانية للبلديات التي تليها. إضافة إلى بقاء البلديات المسجلة لقيم مرتفعة على رتبها ضمن ترتيب البلديات في مجال الدراسة عبر كل الفترات.

2-3- توزيع لسكان القصور بالتجمعات الرئيسية والثانوية

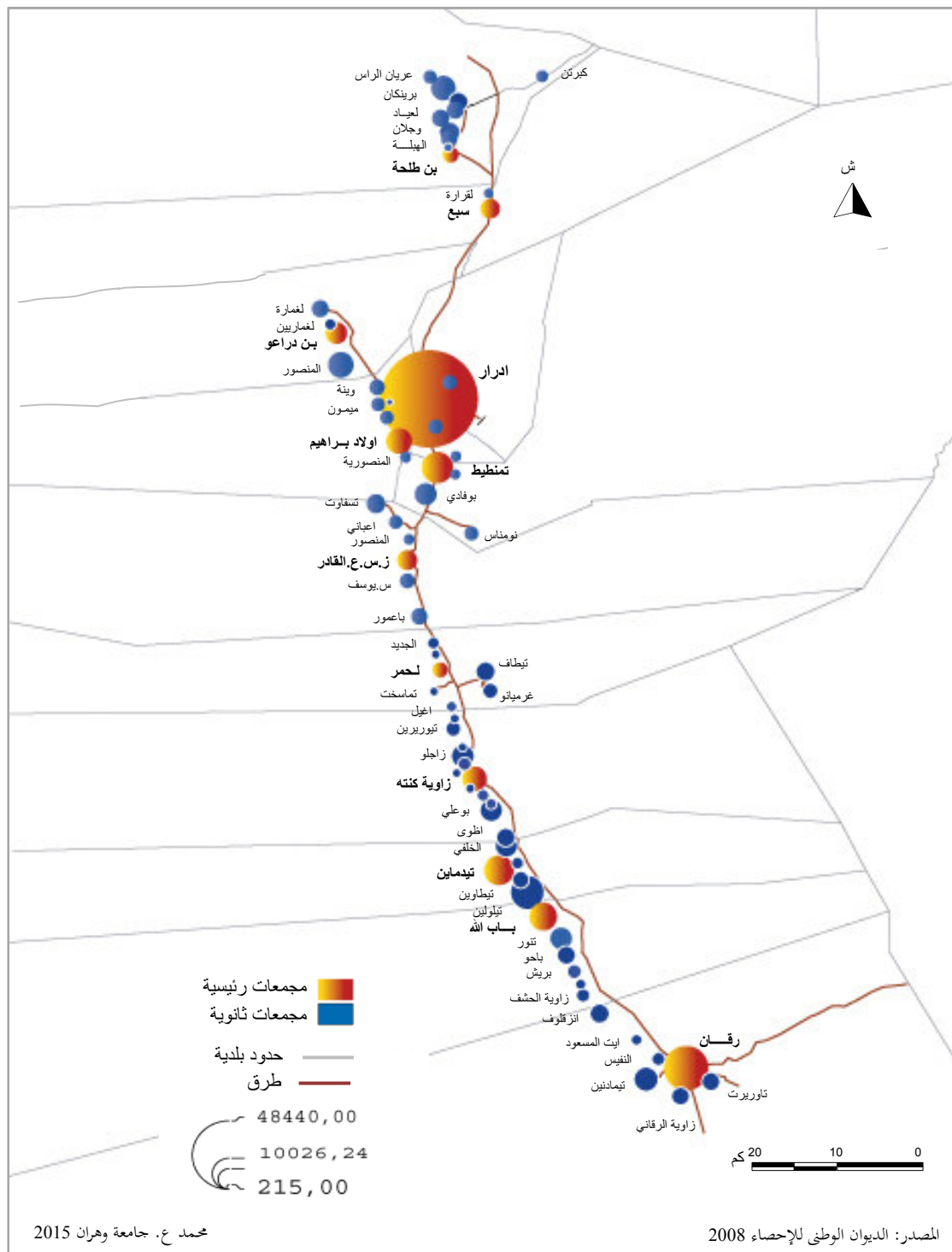
يقتضي تحليل التوزيع الجغرافي لسكان التوات من خلال تلك التجمعات المتراففة على امتداد الطريق الوطني رقم (6) والتي تمثلت في مجملها بالقصور التي تجاوز عددها 140 قصرا. والمعروف بان معظم السكان يتوزعون بنسبة كبيرة في التجمعات الرئيسية تليها التجمعات الثانوية وبنسبة اقل في منطقة التبعر.

الجدول رقم (3): تطور السكان المتجمعين بإقليم توات (1977-2008)

2008		1998		1987		1977		
%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	
89,4	180454	95,8	150353	94,5	103658	87,3	57935	إقليم توات
92,9	370 250	90,2	281730	85,8	186 733	73,2	100599	مجموع الولاية

المصدر: الديوان الوطني للإحصاء. نتائج الإحصاءات العامة للسكن والسكان (87،98،08)

* النسبة المئوية للسكان المتجمعين بالنسبة للمجموع العام للسكان.



الخريطة رقم (5): توزيع التجمعات عبر إقليم توات 2008

من خلال الجدول رقم (5) يتبين أن نسبة السكان المتجمعين بلغت 55,51% حسب إحصاء 1987 كما عرفت النسبة انخفاضا سنة 1998 و 2008 بـ 53,36% و 44,73% على التوالي، انخفاض راجع إلى النمو الكبير لسكان المناطق المبعثرة .

4-2- تطور عدد المجمعات بتوات بعد تركم عدة سياسات تنظيمية

شهد إقليم الدراسة خلال العقود التي تلت الاستقلال نمو بعض القصور منها ما ارتقت لتكون مركز بلدية، فجميع السياسات التنموية؛ الإسكانية منها والاقتصادية (الفلاحية وغيرها)، إضافة إلى التقسيمات الإدارية، كلها عوامل ساهمت في الارتقاء ببعض البلديات وما صاحبها من ارتفاع لنسب الظاهرة الحضرية وخاصة وان التجمعات التواتية يغلب عليها الطابع الريفي .

الجدول رقم (4): تطور عدد التجمعات الرئيسية والثانوية بإقليم توات

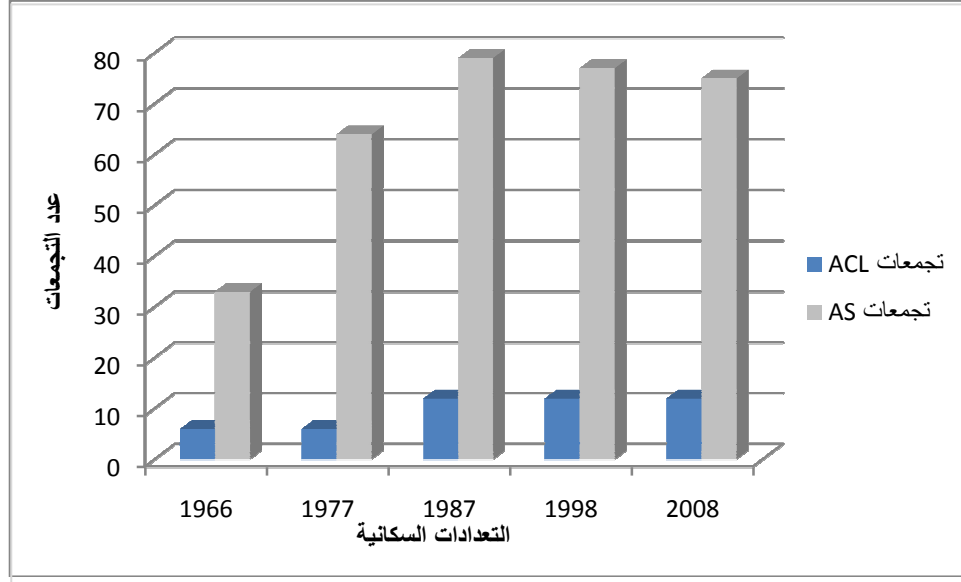
2008	1998	1987	1977	1966	
12	12	12	6	6	تجمعات ACL
75	77	79	64	33	تجمعات AS
87	89	93	70	39	مجموع الإقليم
175	178	184	133	78	مجموع الولاية

المصدر : الديوان الوطني للإحصاء، إحصاء العام للسكن والسكان 08.98.87

شهد المجموع العام للتجمعات بإقليم توات تغيرات عبر الفترات التعدادية فبعد ما كان العدد 93 سنة 1987 انخفض العدد إلى 89 تجمع سنة 1998. ثم انخفض كذلك ليصبح 87 تجمع من إجمالي 175 تجمع بولاية ادرار سنة 2008. كما يتبين من خلال الجدول أن عدد التجمعات الرئيسية بقي ثابت وهذا راجع إلى عدم إستحداث الدولة إلى اية سياسة تنظيم إداري جديدة على غرار التقسيم الإداري الأخير سنة 1984. في حين نجد أن عدد التجمعات الثانوية عرف تراجعاً؛ فحسب تعداد 1987 كان العدد 79 ليشهد تراجعاً ليصبح 77 حسب الإحصاء الموالي سنة 1998 ثم أصبح العدد 75 حسب الإحصاء الأخير سنة 2008.

وهذا راجع إلى مختلف التحولات المحلية التي عرفتتها بعض القصور فالنمو السكاني والتحضر الكبيرين، إضافة إلى التوسع المجالي بفعل البرامج السكنية. كلها عوامل ساهمت في التحام بعض

القصور ببعضها مشكلة بذلك مجتمعات حضرية على غرار مجتمعة ادرار المشكلة من (قصور تيمي - قصور بلدية ادرار) ومجمعة رقان المشكلة من قصور (تاعرايت، تينولاف، القصر الجديد، ..).



الشكل رقم (1): تطور التجمعات الرئيسية والثانوية بإقليم توات خلال (08.98.87)

2-5- التوزيع المجالي للسكان: من التشتت نحو التجمع

يتكون توات من مجموع القصور المتراسة على طول الطريق الوطني رقم (6) والمتباينة من حيث الحجم السكاني وكذا من حيث الوظيفة الادارية. الملاحظ عموما بالمنطقة ان معظم السكان يتوزعون بنسبة كبيرة في التجمعات الثانوية تليها التجمعات الرئيسية عكس القاعدة القاضية بتفوق الثانية على الاولى. أمام الأهمية الديموغرافية التي يكتسبها مجال الدراسة فانه وجب معرفة تطور هذا التوزيع حسب التجمع المجالي للسكان عبر تعدادات متتالية، الجدول رقم (7).

الجدول رقم (5): نمو الحجم السكاني بالتجمعات بتوات خلال 87-98-08

2008		1998		1987		
النسبة (%)	عدد السكان	النسبة (%)	عدد السكان	النسبة (%)	عدد السكان	
46,7	84356	47,08	70799	43,4	44942	تجمعات ACL
49,8	89829	48,6	73063	50,2	51995	تجمعات AS
3,47	6269	4,3	6491	6,5	6721	المناطق المبعثرة
48,7	180454	53,36	150353	55,51	103658	مجموع الإقليم
100	370 250	100	281730	100	186 733	مجموع الولاية

المصدر : الديوان الوطني للإحصاء. نتائج الإحصاءات العامة للسكن والسكان (08,98,87)

- توزيع السكان خلال الفترة (1987-1998):

حدثت في الفترة (1987-1998) تحولات كثيرة في توزيع السكان بإقليم توات، فإضافة إلى النمو الديموغرافي الكبير الذي عرفه الإقليم نجد التقسيم الإداري لسنة 1984 والذي بموجبه عرفت المنطقة العدد الحالي لمجموع البلديات المكونة لإقليم توات وباعتبار هذه الترقية الإدارية وما يصاحبها من الاستفادة من التجهيزات بالمراكز البلدية مما جعلها تستقطب عددا كبيرا من السكان، إذ لاحظنا ارتفاع نسبة السكان في التجمعات الرئيسية إلى (47,08%). و التجمعات الثانوية (48,6%) بينما لاحظنا انخفاض نسب سكان المناطق المبعثرة فبعد ما كانت النسبة 6,5% سنة 1987 أصبحت النسبة سنة 1998 حوالي 4,3% وهذا التناقص دليل على تنامي بعض هاته المناطق المبعثرة وتطورها إلى مجتمعات ثانوية على غرار تجمع تماسخت ببلدية تامست، قصر ميمون و زاوية س. البكري كلها تجمعات أصبحت ثانوية اعتبارا من إحصاء 1998.

- توزيع السكان خلال الفترة (1998-2008):

استمر تجميع السكان خلال الفترة (1998-2008) بصورة أكثر عمقا من السنوات السابقة حيث ارتفعت نسبة السكان بالتجمعات الثانوية والرئيسية والملاحظ إن في هذه الفترة كذلك الانخفاض المستمر لنسب سكان المناطق المبعثرة 3,47% فظهرت خلال هذه الفترة تجمعات ثانوية جديدة كانت في السابق عبارة عن مناطق مبعثرة، نذكر من هاته التجمعات تجمع القصابي ببلدية تساييت وقصر المهدي ببلدية تيمي إضافة إلى تجمع هواري بومدين ببودة. كما لاحظنا اندماج

بعض القصور بالتجمعات الرئيسية؛ فنجد مثلا قصر المنصورية الذي ضُم بتجمع اولاد ابراهيم مقر البلدية تيمي.

مما سبق نسجل إن هناك تحولات وتطورات حدثت بمجال الدراسة انعكست في توزيع السكان. فإلى جانب الترقيات الإدارية التي شهدتها المنطقة والتنمية التي صاحبتهما على مستوى المراكز يأتي النمو الديموغرافي الكبير الذي مس اغلب التجمعات إضافة إلى الهجرة السكان نحو هاته المراكز.

2-6- البنية الهرمية للمجمعات

نعني بالبنية الهرمية هو ترتيب المجمعات العمرانية إلى فئات حسب أهميتها الوظيفية والخدمية مما يسمح بالتفكير في تراتيب المجمعات من خلال سكانها هذا الأخير الذي يعتبر انعكاسا لعدد الأنشطة والوظائف المتركة بها وفي نفس الوقت فهي تمثل بعدا راسيا يكمل البعد الجغالي لهذه البنية. فالمجمعات العمرانية لا تحتل مواضع في الحيز الجغالي فقط وإنما تحتل موقعا معينا عند مستوى محدد للبنية الهرمية.

وسنعمد في دراسة البنية الهرمية للمجمعات العمرانية لإقليم توات على المعطيات الإحصائية لمختلف التعدادات بهدف معرفة وتيرة التطور، التوزيع والتصنيف من اجل إدراك دورها في التنظيم الجغالي والوقوف عند المجمعات العمرانية ذات الدور الوظيفي والإداري كل هذا يتناسب مع حجمها السكاني ضمن مستويات متباينة.

أوضحت معطيات مختلف التعدادات ما بين 1966 و 2008. إن إقليم توات عرف تطور في عدد المجمعات العمرانية المتباينة فيما بينها من حيث الحجم السكاني.

الجدول رقم (6): تراتيب التجمعات بإقليم توات حسب الحجم السكاني خلال 66-77

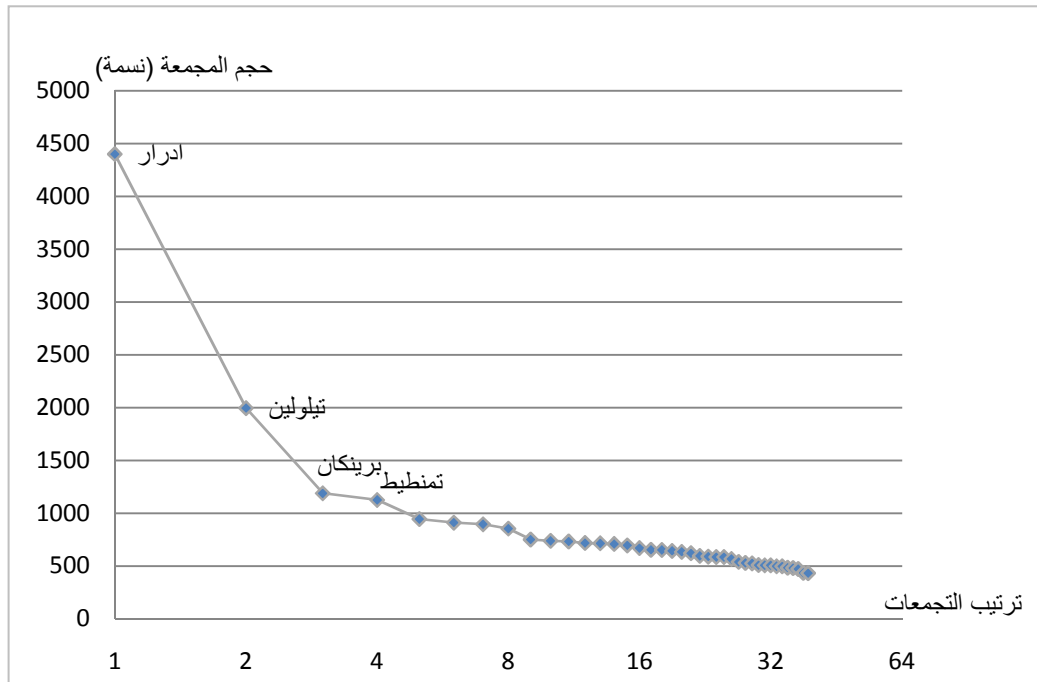
1977			1966			
النسبة (%)	عدد السكان	العدد	النسبة (%)	عدد السكان	العدد	
13,7	7057	1	-	-	-	10000 - 5000
0	0	0	14,4	4399	1	5000 - 3000
21,0	10800	7	14,1	4310	3	3000 - 1000
43,6	22456	32	60,8	18599	28	1000 - 500
21,8	11214	30	10,8	3306	7	اقل من 500
100	51527	70	100	30614	39	مجموع الإقليم

المصدر : الديوان الوطني للإحصاء. نتائج الإحصاءات العامة للسكن والسكان (66,77)

2-6-1- البنية التراتبية للمجمعات سنة 1966

لقد أوضحت معطيات إحصاء سنة 1966 أن إقليم توات ضم 39 تجمعا عمرانيا متباينا من حيث الحجم السكاني (الجدول رقم 8). كما لاحظنا عموما ان اغلب المجمعات كانت محصورة بالفئة الحجمية (اقل من 1000 نسمة) حوالي 35 جمعا إي ما يعادل 89.7 % من إجمالي المجمعات بالمنطقة خلال هذه السنة.

وبالتحليل الدقيق لاحظنا سيطرة للفئة الحجمية (500-1000 نسمة) ممثلة بـ 28 مجموعة عمرانية ما نسبته 60 % من مجموع المجمعات خلال هذه الفترة، في حين لم يتجاوز عدد سكانها 20000 نسمة بنسبة 60.8 % من مجموع سكان إقليم توات خلال نفس الفترة ومن أهم تلك المجمعات نجد؛ قصري زاوية كنته و تيدماين اللذان مثلا بمجمعات ثانوية إضافة إلى بعض مقرات البلديات مثل زاوية سيدي ع القادر مقر بلدية فنوغيل بحجم سكاني بلغ 442 نسمة و كذا بن طلحة مقر بلدية تسايت بحجم سكاني بلغ 443 نسمة.



الشكل رقم (2): البنية التراتبية لتجمعات توات سنة 1966

فيما يتعلق بالفئة الحجمية (1000- 3000 نسمة) فمثلتها ثلاث مجتمعات: تمنطيط، برينكان وتيلولين. تجدر الإشارة إلى ان جميعها مجتمعات ثانوية عرفت تركزا سكانيا باعتبارها قصور قديمة عرفت التواجد البشري قديما، فتمنطيط شهدت مختلف عمليات الاستيطان عبر مختلف الأجناس من الزناتة، اليهود والقبائل العربية المهاجرة. وفي الأخير مثلت مجتمعة ادرار الفئة الحجمية (3000-5000 نسمة) بحجم سكاني قدر بـ 4399 نسمة خلال هذه الفترة.

2-6-2- البنية التراتبية للتجمعات سنة 1977

عموما لاحظنا زيادة عدد المجتمعات العمرانية من 39 سنة 1966 إلى 70 تجمعا سنة 1977 وبالتالي تطورت الشبكة عما كانت عليه سابقا. فمن خلال الجدول رقم (8) تأكد محافظة ادرار على مركزها في أعلى هرم المجتمعات بحجم سكاني بلغ 7057 نسمة ما نسبته 13.5 % من مجموع سكان توات خلال هذه الفترة. فمثلت الفئة الحجمية (5000-10000 نسمة).

إما يتعلق بالفئة الحجمية (1000-3000 نسمة) فمثلتها سبع مجتمعات؛ المعيز، تينولاف مقر بلدية رقان، زاوية الرقاني، برينكان، تمنطيط، تيلولين و قصر ادغا وحي بني وسكت مشكلان أكبر تجمع ثانوي ببلدية ادرار خلال هذه الفترة.

في حين تنامي عدد المجتمعات بالفئات الأقل من 1000 نسمة. فبلغ عددها 67 تجمعا مثلت بذلك جميع المجتمعات الثانوية وبعض مراكز البلديات والملاحظ في هذه الفترة تنامي القصور المبعثرة على غرار قصر عريان الراس، كبرتن، قصر سيدي يوسف، اولاد عيسى بتيمي وغيرها من قصور المنطقة.

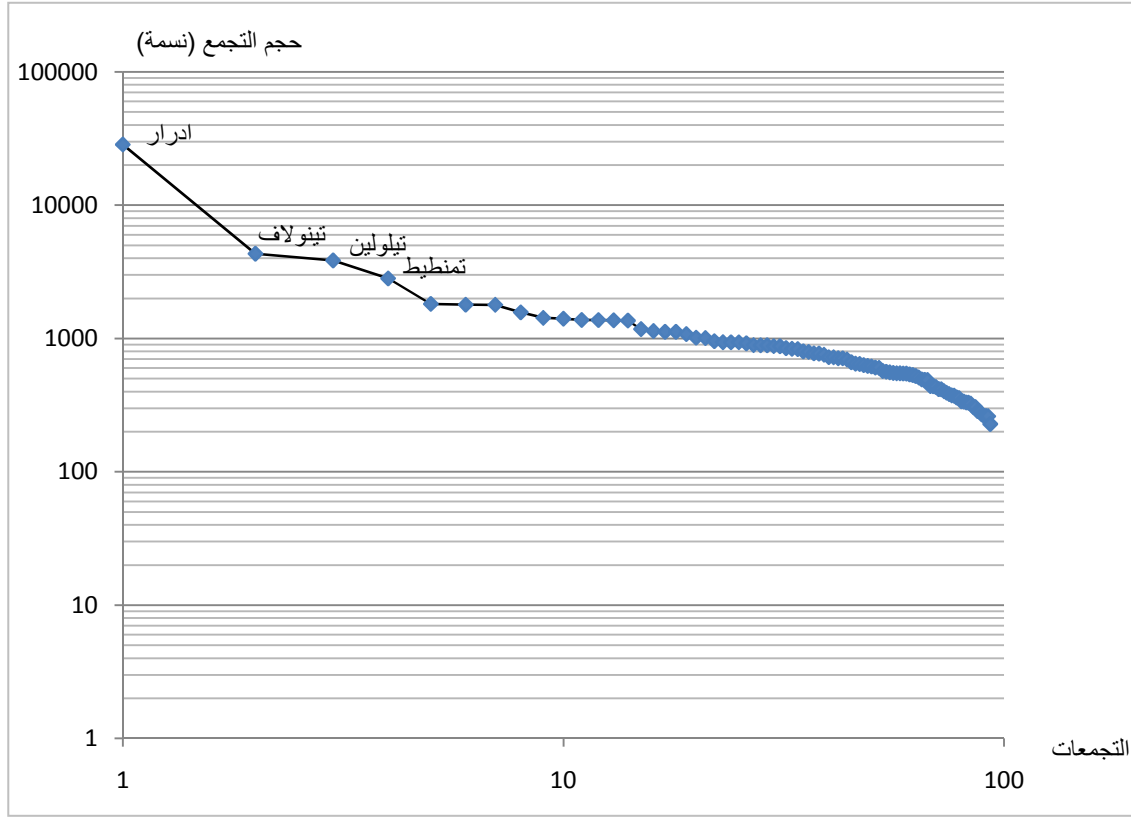
الجدول رقم (7): تراتيب المجمعات بإقليم توات حسب الحجم السكاني خلال 87-98-08

2008			1998			1987			
النسبة(%)	عدد السكان	العدد	النسبة(%)	عدد السكان	العدد	النسبة(%)	عدد السكان	العدد	
27,0	48440	1	28,4	42732	1	-	-	-	أكثر 40000
-	-	-	-	-	-	27,6	28580	1	40000 - 10000
9,0	16065	2	7,5	11340	2	-	-	-	10000 - 5000
14,4	25784	7	7,2	10766	3	7,9	8186	2	5000 - 3000
36,4	65218	38	38,6	58061	36	24,9	25784	29	3000 - 1000
11,0	19654	27	14,4	21629	30	29,6	30645	29	1000 - 500
2,4	4334	12	4,0	5961	17	10,0	10376	32	اقل من 500
100	179163	87	100	150489	89	100	103571	93	مجموع الإقليم

المصدر : الديوان الوطني للإحصاء. نتائج الإحصاءات العامة للسكن والسكان (87,98,08)

2-6-3- البنية التراتيبية للمجمعات سنة 1987

شهدت شبكة المجمعات قفزة عددية وحجمية في آن واحد مقارنة بالفترات السابقة معلنة عن تنظيم مجالي جديد خاصة بعد استحداث تقسيم إداري سنة 1984. فلاحظنا زيادة الكبيرة في عدد المجمعات من 70 سنة 1977 إلى 93 تجمعا هاته الزيادة برزت في الفئة الحجمية (1000-3000 نسمة) حيث مثلت 29 مجمعة عمرانية مثلت بذلك اغلب المراكز او القصور التي تم ترقيتها جراء التقسيم الأخير على غرار تمنطيط، تيدماين، بن دراعو، أولاد ابراهيم، زاوية كنته. بينما مثلت الفئة الحجمية اقل من 1000 نسمة اغلب القصور او المجمعات الثانوية بحوالي 61 تجمع ما نسبته 65 % من إجمالي جمعات توات خلال هذه الفترة. في حين لاحظنا بروز مجمتين بالفئة الحجمية (3000-5000 نسمة) ممثلين بتيلولين تجمع ثانوي و تينولاف مقر بلدية رقان. وفي الأخير مثلت الفئة (10000-40000 نسمة) مجمعة واحدة مثلتها مدينة ادرار بحجم سكاني بلغ 28580 نسمة. فلاحظنا خلال هذه الفترة اندماج القصور المحيطة بالمركز الرئيسي لادرار وكذلك التحام قصور تاغرايت والقصر الجديد بالمجمعة الرئيسية لرقان.



الشكل رقم (3): البنية التراتبية لتجمعات توات سنة 1987

4-6-2- البنية التراتبية للمجمعات سنة 1998

كشفت معطيات إحصاء 1998 عن ارتفاع عدد المراكز العمرانية بمجال الدراسة إلى 89 مجموعة كما رافق هذا الارتفاع الزيادة في الإحجام السكانية للمجمعات على وجه العموم، كما شهدت هذه الفترة الترقيات التي مست بعض المراكز جراء التنظيم الإداري لسنة 1990 وما نتج عنها من دعم للمراكز سواء من خلال التجهيزات والتنمية العامة التي شهدتها القصور كإنشاء الطرق البلدية ودعم الحظيرة السكنية. فخلال هذه الفترة لاحظنا ارتقاء مدينة ادرار إلى الفئة الحجمية (أكثر من 40000 نسمة) بحجم سكاني بلغ 42732 نسمة ما نسبته 28.4% من مجموع سكان توات. وهذا ما لخصه الاستقطاب الكبير للمدينة من القصور باعتبارها مقر للولاية إضافة الهجرة الوافدة التي شهدتها المدينة من ولايات الوطن.

تليها مجمعات؛ تيلولين وتينولاف من خلال الفئة (5000-10000 نسمة) بحجم سكاني بلغ 11340 نسمة ما نسبته 7.5% من مجموع سكان توات سنة 1998.

اما عن الفئة الحجمية (3000-5000 نسمة) فمثلتها ثلاثة مجتمعات؛ تيدماين، باب الله و تمنطيط. جميعها مراكز رئيسية كما عرفت التحام عدة قصور إلى الجمعية الرئيسية؛ فالتحمت قصور الخلفي والمخفوظ بتيدماين. كذلك التحمت قصور العلوشية، المحارزة ومولاي عبد الواحد بباب الله مقر بلدية سالي.

من كل ما سبق يتبين لنا ان البنية الهرمية لنظام شبكة المجتمعات العمرانية بإقليم توات تميزت بوجود قطبية أحادية على مستوى الراس ممثلا بجمعة ادرار بحجم سكاني بلغ 48440 نسمة سنة 2008 باعتبارها المدينة اذ يشمل نفوذها جميع قصور الولاية بما فيها مجتمعات إقليم توات فهي مقر الولاية اين تتركز الخدمات والهياكل الإدارية و التعليمية.

ثم تليها رقان ممثل بجمعة تينولاف بحجم سكاني 9937 نسمة سنة 2008 ويمكن إطلاق اسم جمعة رقان لتشكلها من التحام عدة قصور تمثلت في تينولاف، القصر الحديد و تاغرايت. لعبت الجمعية دورا وظيفيا فشمّل نفوذها البلديات القريبة منها والتي كانت في السابق تابعة لها على غرار بلدية زاوية كنته، انجزمير وسالي. بل تعداها ليلغ برج باجي المختار في الجنوب وأولف في الشمال الشرقي. وهذا راجع إلى ما احتوته الجمعية من هياكل إدارية وتجهيزات ذات بعد إقليمي كالمستشفى، البنوك والمحكمة.

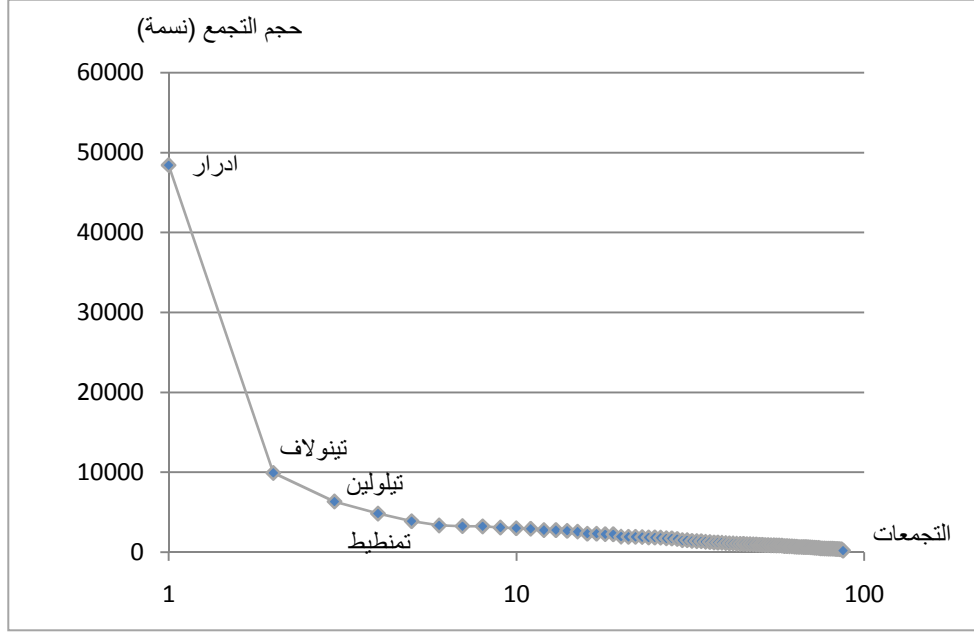
أما الجمعية الثالثة فتتمثل في قصر تيلولين الذي بلغ حجمه السكاني 6359 نسمة يعتبر القصر اكبر جمعة ثانوية يبعد عن مقر الولاية ادرار بحوالي 100 كلم جنوبا وب 12 كلم عن مقر بلدية انجزمير التابع لها. يحتوي القصر بعض التجهيزات التعليمية على غرار المتوسطة الجديدة كما يعرف نشاط تجاري هاما شمل مختلف تجارة التجزئة من مواد للبناء و المواد الغذائية وغيرها.

ثم تأتي المجتمعات المحصورة بالفئة الحجمية (3000-5000 نسمة) شملت سبعة مجتمعات فهي تضم المراكز الرئيسية المرقاة حديثا (تمنطيط، باب الله مقر بلدية سالي، اولاد ابراهيم و تيدماين).

ومثلت الفئة الحجمية (1000-3000 نسمة) الوسط العريض في البنية الهرمية للمجمعات بتوات ضمت بذلك 38 جمعا تشكلت في الأغلب من المجتمعات الثانوية بالإضافة إلى بعض المركز الرئيسية نذكر منها؛ سبع، زاوية كنته، بن طلحة، بن دراغو، زاوية سيدي ع القادر ولحمر مقر بلدية تامست.

ثم تليها الفئة الحجمية (500-1000 نسمة) ممثلة ل 27 جمعة من هاته المجتمعات قصور: زاوية بلال، اولاد الحاج، سيدي يوسف، نومناس وكبرتن.

وفي الأخير نجد الفئة الحجمية (اقل من 500 نسمة) ممثلة لـ 12 مجموعة من هاته المجمعات: قصر ميمون الذي شهد نمو ضعيف جدا خلال تعدادي 1998 و 2008، كما ان القصر عرف هجرة كبيرة للسكان باتجاه مدينة ادرار.



الشكل رقم (4): البنية الهرمية لتجمعت توات سنة 2008

7-2- الظاهرة الحضرية: ونمطية المجمعات بتوات

هناك عوامل تتحكم في حجم عمليات التحضر فبالإضافة إلى الترقيات الإدارية التي حصلت بالمنطقة نجد الزيادة أو الارتفاع الكبير للأحجام السكانية وكذا تركز السكان في مجمعات حضرية، إضافة إلى دور مختلف النشاطات الاقتصادية والأنشطة الخدمية في جذب السكان وتثبيتهم. وبالتالي يطرأ التحول في طابع المجموعة الريفي إلى الحضري. وفيما يلي يوضح لنا الجدول الآتي معدلات التحضر لإقليم توات لإحصائيات مختلفة ومقارنتها بمعدل التحضر الولائي لادرار وكذا المعدل الوطني.

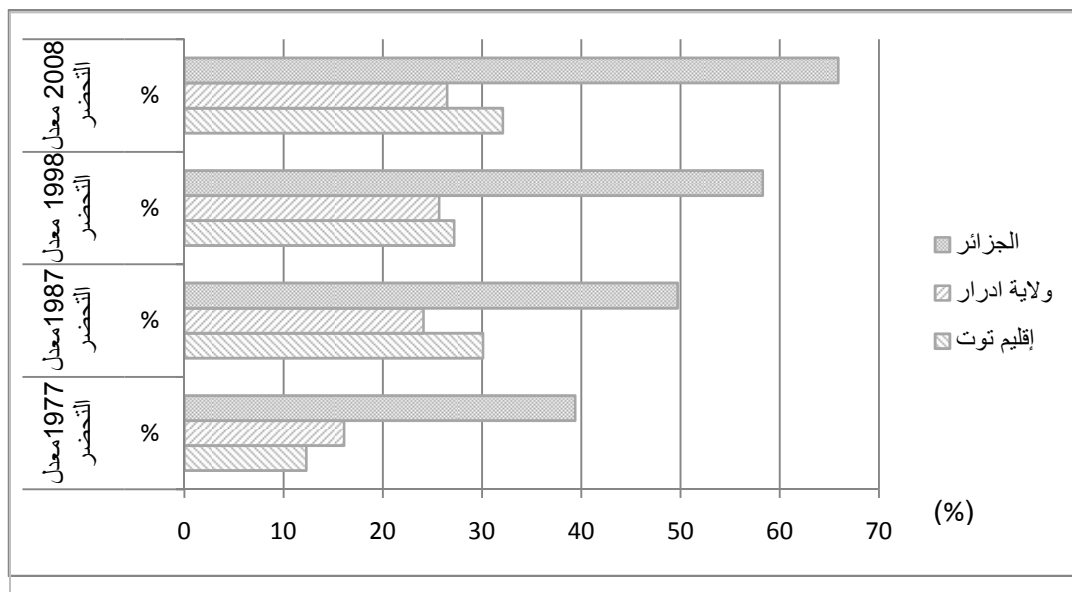
الجدول رقم (8): معدل التحضر لإقليم توات خلال 87-98-08

معدل التحضر 2008 %	معدل التحضر 1998 %	معدل التحضر 1987 %	معدل التحضر 1977 %	
32,1	27,2	30,1	12,3	إقليم توات
26,5	25,7	24,1	16,1	ولاية ادرار
65,9	58,3	49,7	39,4	الجزائر

المصدر : الديوان الوطني للإحصاء. نتائج الإحصاءات العامة للسكان والسكن (08,98,87)

من خلال نتائج الجدول يتضح لنا أن معدل التحضر بمنطقة الدراسة قد شهد تطورا كبيرا وهذا حسب مختلف التعدادات السكانية. والذي يعتبر عموما ضعيف مقارنة بالمعدل الوطني ويرجع ذلك إلى طبيعة المنطقة الريفية، فهي تتكون في الأغلب من القصور عدا بعض المراكز الحضرية (ادرار، رقان).

ففي سنة 1977 بلغت نسبة التحضر 12,3% وهو معدل يقارب المعدل الولائي الذي بلغ 16,1% وبمقارنتهما بالمعدل الوطني بهذا التعداد نجد أنهما ضعيفان جدا. بينما تطورت جميع المعدلات بتجانس موحد حيث بلغ معدل التحضر للإقليم سنة 2008 حوالي 32,1% إلا انه بقي ضعيفا مقارنة بالمعدل الوطني (65,9%).



الشكل رقم (5): تطور معدل التحضر لإقليم توات خلال 87.98.08

فبعد دراسة وتحليل معدلات التحضر بمجمعات إقليم توات استنتجنا أن الظاهرة الحضرية انحصرت في عدد قليل جدا من المراكز وهذا في مختلف الفترات التعدادية. انحصرت الظاهرة بمجموعة ادرار باعتبارها مركزا للولاية إضافة إلى رقان. بينما بقيت المجمعات الأخرى بعيدة جدا عن مستويات التحضر وهذا راجع إلى الطابع الريفي لمجمعات الإقليم التي مثلتها القصور التي في مجملها لم تعرف تركزات سكانية كبيرة إذ لم تتعدى الكثافة السكانية بباقي بلديات بالإقليم حوالي 4 ن/كلم² سنة 2008، قيمة تعكس ضعف التركيز البشري بالمنطقة.

الجدول رقم (9): أنماط المجمعات بتوات (1966-2008)

نمط المجموعة	1966	1977	1987	1998	2008
حضرية	-	1	1	1	1
شبه حضرية	-	-	-	-	1
شبه ريفية	-	-	1	2	1
ريفية	39	69	91	86	84

المصدر : معطيات الديوان الوطني للإحصاء 1966-2008

سنعتمد في التصنيف على معطيات مختلف التعدادات التي أنجزها الديوان الوطني للإحصاء، هذا الأخير قام بترتيب كل المجمعات ضمن أنماط متباينة تبعا لعدة معايير: حجمية، إدارية، وظيفية، ديموغرافية واقتصادية. هذه المعايير تختلف من تعدد لآخر وقد نتج عنها عدة أنماط متباينة تبعا لكل تعدد إذ يمكن ان نستنتج حدوث تطور طفيف في نمطية المجمعات بمجال الدراسة خلال سنة 1977 و 2008:

في سنة 1977: تزامنت هذه الفترة والتقسيم الإداري لسنة 1975 والذي بموجبه ظهرت ولاية ادرار بعد إن كانت تابعة لولاية الساورة. وقد أوضحت معطيات التعداد عن وجود الأنماط التالية: مركز حضري تمثل في مدينة ادرار أما باقي المجمعات البالغ عددها 67 فهي مجموعات ريفية وبالتالي فان نسبتها بلغت من إجمالي مجموعات توات خلال هاته السنة.

في سنة 1987: تزامنت الفترة والتقسيم الإداري لسنة 1984 وهذا التقسيم انجر عنه زيادة عدد المراكز البلدية والتنمية التي أدرجت من خلال دعم المراكز الجديدة وهو ما انعكس على أنماط المراكز

العمرانية وفق مايلي: مدينة ادرار المجمع الحضرية الوحيدة، إضافة إلى صنف شبه ريفي مثلته مجموعة تمنطيط، أما باقي المجمعات فهي ريفية.

في سنة 1998: ماميز هذه السنة بروز مجعطين من صنف شبه ريفي هما تمنطيط و رقان بينما حافظت ادرار على نمطها الحضري.

في سنة 2008: أمام النمو الديموغرافي المتسارع للعديد من المجمعات اثر استفادتها من بعض المشاريع التنموية والتجهيزات الخدماتية بعد الترقية الإدارية انعكس على بنيتها. فبقيت مدينة ادرار ممثلة للصنف الحضري و مجموعة رقان التي ارتقت إلى الصنف شبه الحضري. إضافة إلى صنف شبه الريفي ممثلا بمجموعة تمنطيط. أما باقي المجمعات فحافظت على طابعها ريفي.

4- شبكة طرق متنوعة ومهيكلية للمجال بتوات

يقودنا توزيع شبكة الطرق إلى معرفة مدى تأثيرها على المجال من خلال شدة الترابط بين مختلف المناطق و الاختلالات التي يمكن أن تخلفها من جراء هذا التوزيع. كذلك دراسة التطور الذي تعرضت له شبكة الطرق لولاية ادرار على غرار الشبكة الوطنية للطرق التي في معظمها إما موروثا عن الفترة الاستعمارية او تأكيدا لمحاور سير القوافل التجارية العابرة وخاصة في الصحراء. إن التطور الذي عرفته شبكة الطرق في ولاية ادرار مس جميع أنواع الطرق سواء أكانت وطنية، او ولائية وحتى بلدية، وخاصة في منطقة صحراوية مترامية الأطراف. فمن خلال المعطيات المستقاة من المديرية الأشغال العمومية، مديرية البرجة ومتابعة الميزانية) فيما يخص أطوال مختلف الطرق عبر الولاية؛ نجد أنها تتوزع إضافة إلى الطرق الوطنية طرق ولائية وبلدية تربط مختلف تلك المجمعات او القصور ببعضها البعض وتسهل حركة الساكنة داخل مجالها.

الجدول رقم (10): توزيع شبكة الطرق بإقليم توات 2014

المجموع	الطرق البلدية		الطرق الولائية		الطرق الوطنية		
	النسبة %	الطول (كلم)	النسبة %	الطول (كلم)	النسبة %	الطول (كلم)	
1364.399	7,4	100.879	8,10	110.52	84,5	1153	مجموع الإقليم
3285,237	13,81	453,653	15,77	517,984	70,42	2313,6	مجموع الولاية

المصدر : مديرية الأشغال العمومية لولاية ادرار 2014

من خلال الجدول يتضح لنا أن منطقة الدراسة تأثر على مجالها شبكة طرق متنوعة ولتبيان ومعرفة دور و أهمية الشبكة سنقوم بتفصيل لمختلف الطرق كما يلي:

4-1- الطرق الوطنية:

تمتد الطرق الوطنية بطول 2313,6 كلم اي ما نسبته 70,42% من مجموع الطول الكلي لشبكة الطرق بولاية ادرار، و تختلف هذه الشبكة بين أقاليم الولاية حيث نجد أن طول الطرق الوطنية بلغ بإقليم توات لوحده باعتباره يمتد من الشمال إلى الجنوب بـ 1153 كلم اي ما نسبته 49,8% من الطول الكلي لها على مستوى الولاية. وبالتالي يتضح مدى أهمية هاته الطرق بالولاية عموما. اذ تأثر داخل مجالها الجغرافي مجموعة الطرق الوطنية وهي:

الطريق الوطني رقم (06) الرابط بين بشار و رقان والطريق الوطني رقم (51) الرابط بين غرداية و تيميمون والطريق الوطني رقم (52) الرابط بين رقان وعين صالح مرورا ب اولف. أما بالنسبة لتوزيعها فنجدها تفوق 100 كلم في كلا من: تيميمون بـ 222 كلم و683 كلم في تساييت و 170 كلم برقان و718 كلم في برج باجي المختار، أما بقية البلديات فيتراوح طولها ما بين 12 و 87 كلم.

تعد الطرق الوطنية المحور المفضل للتبادلات الناتجة عن مختلف الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية سواء على المستوى المحلي أو الإقليمي فهي تعمل على ترابط الأقاليم بالولاية كما تربطها بالولايات الأخرى.

فبالنسبة لإقليم توات يرتسم مجاله من خلال طريق وطني وحيد، الذي يشكل محور رئيسي للتنظيم المحلي للقصور المتراسة عموما على جانبه الغربي بشكل طولي لتبرز تلك الشبكة الطولية للمجمعات من الشمال إلى الجنوب (ابتداء من قصر عريان الراس بلدية تساييت إلى رقان). فالطريق و الشريط العرضي للوحدات يشكلان حقيقة خط الحياة بتوات نظرا لشساعة مساحة الإقليم.

فإذا كان الطريق يمثل محور النشاط والتبادل التجاري، الاقتصادي والوظيفي من خلال الربط بين القصور والمراكز فهو يعبر عن الشريان الأساسي للتنقل داخل مجال الإقليم. و يمكن إرجاع هذه الأهمية الوظيفية والدور التنظيمي المحلي لهذا الطريق نظرا لتواجده على محور حركة القوافل التجارية العابرة للصحراء قديما¹.

¹- فوج محمود فوج. إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر 1977 ص3

بلغ طول الطريق الوطني رقم (06) بالمنطقة ما يزيد عن 200 كلم، يقطع بذلك مجال إقليم توات من شماله إلى جنوبه، فهو يمر بجميع مراكز مقرات البلديات من تساييت شمالا مرورا بعاصمة الولاية ادرار ثم يعبر بمراكز تيمي، تمنطيط، فنوغيل، زاوية كنته ورقان بالجنوب.

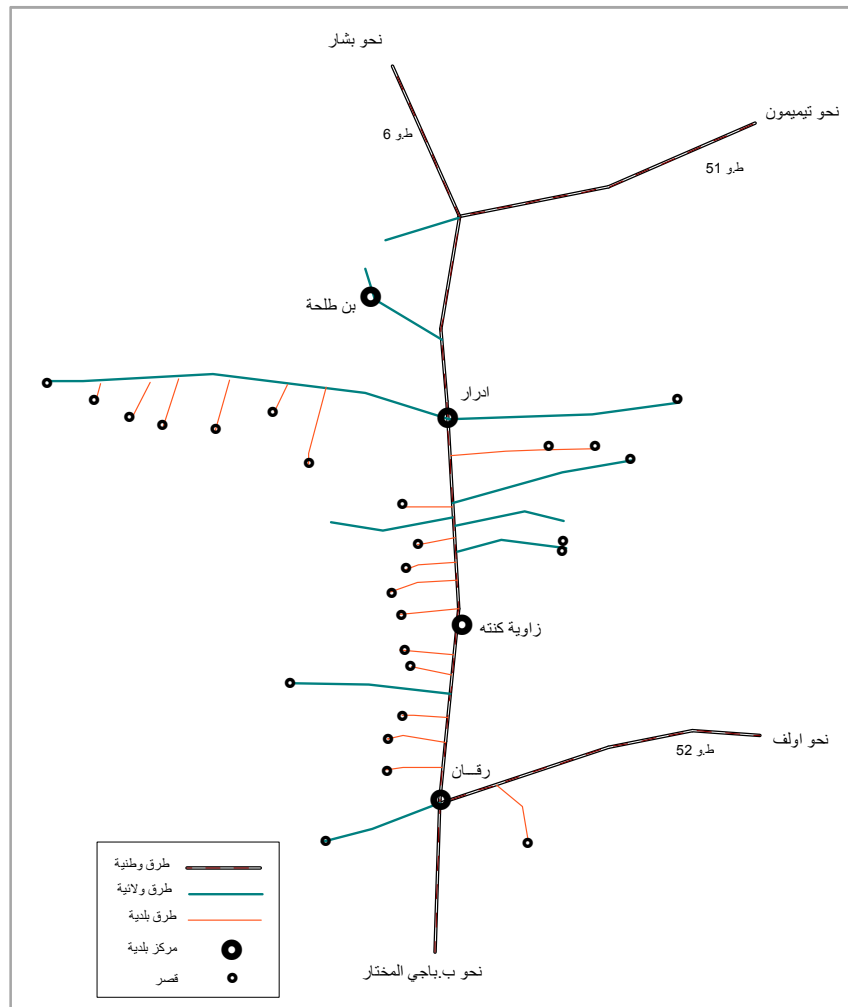
4-2- الطرق الولائية :

تلعب هاته الطرق دورا مكملا للطرق الوطنية إذ تنساب هذه الشبكة في كل الاتجاهات مغطية بذلك كل مجال الدراسة تقريبا تربط مختلف المجمعات بالطريق الوطني رقم (06). يبلغ طولها في إجمالي تراب الولاية حوالي 517,984 كلم وهو ما يمثل 15,77% من إجمالي الطول الكلي للطرق، بينما بلغ طولها في إقليم توات لوحده حوالي 110,52 كلم. كما يصل عدد الطرق الولائية والتي تقع في مجال الدراسة إلى 10 طرق من مجموع 21 طريقا ولائيا بادرار.

للطرق الولائية أهمية وظيفية واقتصادية كما لها دور فعال في تنظيم المجال حيث تصل المجمعات بعضها البعض إذ تساهم وتضمن ربط كل أجزاء الإقليم بل يتعدى تأثيرها إلى أقاليم الولاية ككل. من أهم هاته الطرق الطريق الولائي رقم (707) الرابط بين بودة و ادرار.

4-3- الطرق البلدية:

يتمثل دورها في ربط القصور أو التجمعات القصورية خاصة بالطريق الوطني وكذا بالطرق الولائية ومن ثم بالمراكز الحضرية. يبلغ طولها الإجمالي بالولاية 453,653 كلم أي ما يمثل نسبة 13,81% من إجمالي طول الطرق. كما بلغ عدد الطرق البلدية 99 طريقا. في المقابل نجد أن منطقة الدراسة تضم 100.879 كلم كما أن هاته الطرق تنتشر بشكل كبير نظرا لارتفاع عدد المجمعات الريفية وضرورة فك عزلتها وربطها بإحدى الطرق الوطنية أو الولائية الأكثر فاعلية وهذا قصد التنقل والحركية الدائمة بين مختلف المراكز.



الشكل رقم (6): مخطط توزيع الطرق بإقليم توات

خلاصة :

ظلت منطقة توات خاضعة لتسيير الحركات المرابطة ومؤسساتها اجتماعيا ووظيفيا وتشكلت شبكة قصور فكان لبعض المراكز حق الإشراف على القصور الأخرى؛ لعبت تخطيط ذلك الدور لعقود كعاصمة للإقليم محسدة ادوار عديدة؛ كالقضاء (مقر قاضي القضاة) والنشاط التجاري (سوق تخطيط). لكن بعد دخول المستعمر ارض توات (1900) اتخذ من مركز ادرار مقر للتسيير الإداري العام وبالتالي فقدت تخطيط بريقتها. وبالتالي فان بداية التحول الوظيفي للقصور تزامن السياسة الاستعمارية وفرضه منطوق الدولة فيما بعد الاستقلال من خلال التقسيمات الإدارية المتتالية، التي سمحت بإعادة هيكلة شبكة القصور بإرساء ادوار وظيفية جديدة للقصور في إطار السياسة التنموية العامة من خلال سلسلة المشاريع والتجهيزات المختلفة.

بالحديث عن الشبكة العمرانية لإقليم توات المتكون أساسا من القصور التي مازت منها مجتمعات رئيسية ممتدة لمراكز إدارية ظهرت بعد التقسيمات التي عرفتها المنطقة. ونظرا للنمو الديموغرافي الكبير والزيادة المستمرة في معدلات التحضر فان المجتمعات بتوات تباينت من حيث الحجم السكاني. فقادنا تحليل البنية الهرمية لها إلى فهم المستويات التراتبية لهذه المجتمعات والتي حافظت بها مدينة ادرار على مستواها في قمة الترتيب بحجم سكاني زاد عن 45000 نسمة حسب معطيات إحصاء سنة 2008 في حين جاءت المجتمعات في مستويات انحصرت بين 500- 10000 نسمة مع بروز لتجمع تيلولين وان كان مجموعة ثانوية بتركز سكاني فاق 5000 نسمة حسب تعداد 2008.

أما عن نمطية المجتمعات بتوات فاستخلصنا وجود مجموعة حضرية وحيدة تمثلت في مدينة ادرار إضافة مجموعة شبه حضرية تمثلت في مجموعة رقان بينما بقيت التجمعات الأخرى ريفية نظرا لطبيعة المنطقة الصحراوية، وعليه فان التنظيم المجالي للتوات يتجلى حقيقة من خلال تنامي الدور الوظيفي لبعض المركز المراقبة وكذا الحركية السكانية التي تساهم فيها شبكات الطرق المختلفة التي تربط مجال توات محليا وتفاعل من دوره بين الأقاليم الأخرى (قورارة، تيديكلت، تانزروفت).

الفصل الثالث:

تحولات عميقة بالمجمعات القصورية:
ديناميكية عمرانية متسارعة وواقع تعمير

جديد

الفصل الثاني: تحولات عميقة بالمجمعات القصورية: ديناميكية عمرانية متسارعة وواقع تعمير جديد

مُتَكَلِّمًا:

من أبرز التحولات العميقة التي شهدتها المجمعات الواحية منذ مطلع القرن العشرين ولا زالت تشهدها إلى اليوم وهي ظاهرة الحركة المجالية للتعمير، أي السكن خارج الأسوار، الظاهرة التي أحدثت نطاقات جديدة في المجالي القصورى. هذا الواقع الجديد يعود أساسا إلى الديناميكية العمرانية المتسارعة التي تعكسها تدخلات الدولة من خلال المشاريع الوطنية التنموية والبرامج السكنية، والتي جاءت كإستجابة لوتيرة النمو السكاني السريعة وتفعيلا للديناميكيات المحلية بعد تنامي الحاجة للسكن مع الانفتاح على العالم الخارجي وتحسن الأوضاع المعيشة للسكان، و تفكك الأشكال التقليدية للتمايز الطبقي بينهم.

اذ تعكس التوسعات العمرانية وتيرة النمو التي تشهدها التجمعات السكانية نتيجة تضافر عدة عوامل اقتصادية، تنظيمية وبشرية في آن واحد. فإلى حدود فترة الاستعمار شكلت القصبات المجال الرئيسي للسكن بالواحات، وكان هذا المكان ملائما للسكن بهذه الاوساط البيئية بشكله وهندسته وموقعه. لكن بدأ التحول المرفولوجي للقصور ولا زال مستمر الى يومنا هذا، فاغلب المساكن القديمة أصبحت شبه مهجورة بدعوى عدم تكيفها مع متطلبات العصرنة او هشاشتها فاصبحت ضرورة تغيير المسكن من التقليدي إلى الحديث الأكثر رفاهية والأكثر اتساعا فاستبدلت مواد البناء (الطين والطوب) بالاسمنت مع ظهور لأشكال للمساكن بأنماط عمرانية دخيلة.

1- توسعات أدت إلى إنتاج أنسجة عمرانية بأشكال واتجاهات مختلفة

تبني الدراسة العمرانية من خلال الملامح التي تعطي صورة واضحة للمركز ونموه المجالي وتطور الاستخدام السكني من حيث عدده ومرفولوجيته. ولقد عرفت القصور والمجمعات بشكل عام امتدادات عمرانية حديثة خارج مجال القصبات حيث أنتجت أشكالا عمرانية مختلفة من مركز إلى آخر وبأنماط مختلفة كذلك وهذا راجع لتدخل فاعلين بميكانيزمات محلية وموجهة إضافة الى السياسات العمومية للتعمير التي جسدت من خلال أدوات التسيير العمراني؛ مخطط شغل الأراضي والمخطط التوجيهي للتعمير، التي من أهدافها دمج مجالات عمرانية جديدة ضمن النسيج العام وكذا تقنين التوزيع العقاري والمجالي.

1-1- التوسع خارج مجال القصبات: تحولات في الإطار العمراني للمجمعات الرئيسية والقديمة

بدا توسع المجال العمراني للمراكز العمرانية لتوات بداية دخول الاستعمار. الذي عمل على إقامة منشآت عسكرية ومكاتب عبر بعض القصور البارزة في المنطقة، يتعلق الأمر بمدينة ادرار اين ارتسمت بها محاورا للتوسع انطلاقا من تلك المراكز الاستعمارية في حين كان توسع القصور المجاورة قد انتشر خارج القصبات (اولاد انقال، اولاد اوشن) وبرزت المباني الاستعمارية من خلال أشكالها والطابع الهندسي المميز باستعمال الطوب التكعيبي والمباني العالية اضافة الى التسقيف ومواده اما عن التنظيم الخارجي فتميز بالتخطيط الشطرنجي ومن بين المنشآت الاستعمارية فندق توات 1932 و المستشفى الجهوي 1949 وسكنات للإقامة حول ساحة الشهداء التي كونت فيما بعد النواة الاولى للتوسعات.

كما جاء تدخل الدولة بعد الاستقلال جليا من خلال مخططات التعمير والتي خصت بشكل عام بالمراكز العمرانية الرئيسية بداية من سنوات الثمانينات. فبالنسبة لمدينة ادرار والتي شهدت نموا مجاليا سريعا في غضون فترة وجيزة كاستجابة لسياسة التعمير من خلال المخططات (PDAU, PUD) والبرامج السكنية التي عرفتھا المدينة نظرا للهجرة التي شهدتها من مختلف قصور الولاية وكذا التوافد الكبير من ولايات الوطن (الإطارات) فترة الثمانينات والتسعينات.

المرحلة الأولى قبل 1962

في الأصل تشكلت مدينة ادرار من عدة قصور، أدغا، أولاد أونقال، أولاد علي، أولاد أوشن، أوقديم و بربع. التي توضع بالقرب من واحات النخيل بتنظيم مجالي فرضه تقسيم الأراضي وتوزيعها بين مختلف القبائل التي سكنتها أو بين فروع القبيلة الواحدة، إذ استقرت كل وحدة اجتماعية في قصر من تلك القصور. بني على أرض ملك لها،

بعد دخول الاستعمار الفرنسي الى المنطقة قام بإنشاء نواة عسكرية شمال القصور القديمة للمدينة ادرار وذلك لغرض مراقبتها وتم انجاز النسيج الاستعماري وفق مخطط شطرنجي الذي يساعدهم على عملية المراقبة، المميز للمرحلة الاستعمارية بناء ساحة لابرين (ساحة الشهداء حاليا) وفندق الجميلة (فندق توات حاليا) سنة 1932 إضافة إلى بناء المستشفى الجهوي سنة 1949.

فبذلك اخذ نمو المدينة يتجه نحو الشمال وأصبحت ساحة " لابرين " تلعب دور الهيكل لتوسع وتطور المدينة وذلك من خلال تنظيم وتوزيع مختلف المشاريع. كانت مدينة ادرار في هذه المرحلة تتكون من وحدتين مجاليتين متباينتين وهما النسيج الاستعماري و القصور القديمة و اللذان أصبحا يشكلان علاقة تكامل فيما بينهما.

المرحلة الثانية 1962-1974

في هذه المرحلة تم بناء بعض السكنات شمال النسيج الاستعماري أي في نفس الاتجاه العمودي لنمو المدينة، وأصبحت ساحة لابرين تسمى بساحة الشهداء وأصبحت مكانا للتظاهرات الدينية والوطنية. على وجه العموم عرفت المدينة في هذه المرحلة بعض الركود في التوسع المجالي و النمو الحضري.

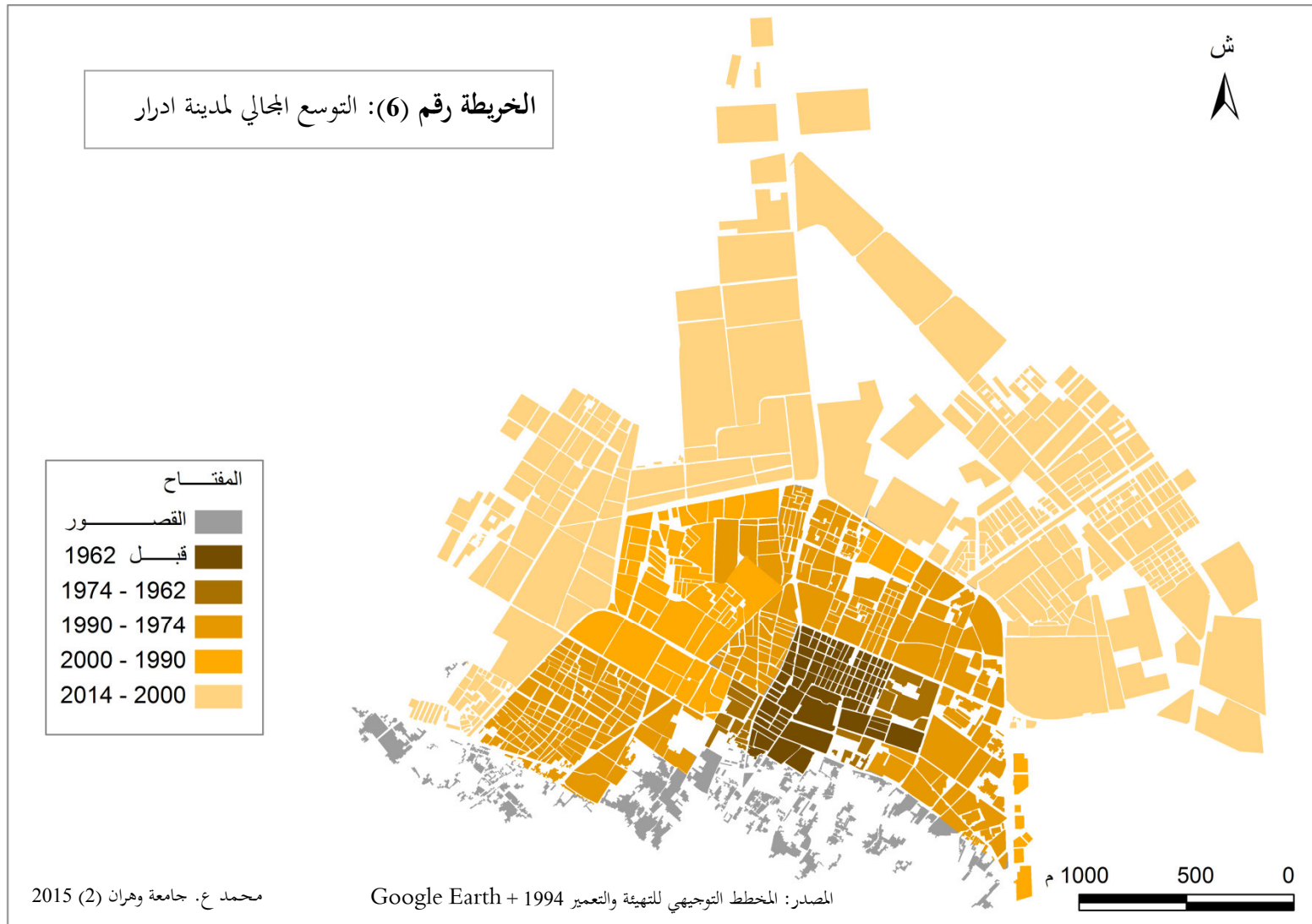
المرحلة الثالثة 1974-1990

ما يميز هذه المرحلة إلى تقوية الوظيفة الإدارية للمدينة عاصمة للولاية بعد التقسيم الإداري لسنة 1974 فاستفاد من عدة برامج وتجهيزات وسكنات حيث تم بناء مقر البلدية وإعادة تهيئة الساحة التي تعتبر أكبر ساحة بالمدينة وتم تقسيمها إلى جزئين؛ ساحة الشهداء وساحة البلدية. كما ظهر حي فوضوي وهو حي "بني وسكت" وذلك سنة 1977. الذي سكنته الاغلبية من الدول الحدودية الجنوبية مالي والنيجر النازحة جراء الحروب الأهلية في تلك الفترة ، كما تم إنجاز عدة أحياء أخرى مثل حي (400) مسكن، حي (200) مسكن، إضافة إلى إن فترة الثمانينات تميزت بنمو ديموغرافي كبير وهجرة

وافدة من ولايات الشمال او من قصور الولاية صاحبه توسع عمراني سريع فكان الاهتمام الأكبر في هذه الفترة بتوفير السكنات فاستفادت المدينة من عدة تجزئات على غرار الحي الغربي وحي 20 اوت.

المرحلة الرابعة ما بعد 1990

خلال هذه المرحلة عرفت مدينة ادرار نمو عمراني سريع تجلّى بوضوح بالمجالات المحيطة، فشمّل التوسع العمراني أطراف المدينة الشمالية الشرقية والشمالية الغربية ، فالبرامج الجديدة للتجزئات سمحت للمدينة أن تستفيد من مجموع 3861 مسكن وهو ما يعادل تقريبا نصف الحظيرة السكنية للمدينة سنة 1987. فالتوسع العمراني نحو أطراف المدينة تم بدون تنظيم مخطط شامل فمختلف العمليات بدأت في أغلب الأحيان في آن واحد وهو ما نتج عنه في الأخير أحياء غير مهيكلة بشكل جيد وغير مجهزة، حيث كانت عبارة عن أحياء مراقد فقط، تم إهمال الجانب الترفيهي فيها بشكل كبير وخاصة المساحات الخضراء التي لم توليها السلطات المحلية أي اهتمام. ما يميز هذه الفترة تطبيق صيغ جديدة للتوسعات العمرانية تمثلت في بناء مدينتي "تيليلان" ومدينة " محمد بلكبير"، اذ تضم المدينة الجديدة "تيليلان" : حي 1050 مسكن تساهمي، وحي 300 مسكن تساهمي، بالإضافة إلى عدة برامج سكنية أخرى. كما تضم المدينة الجديدة " محمد بلكبير" كلا من حي 140 مسكن، وحي 130 مسكن، بالإضافة إلى البرامج السكنية الأخرى، كما تم بهذه المدينة بناء عدة تجهيزات ومرافق مختلفة، تجدر الإشارة إلى ان خلال هذه الفترة تم بناء الجامعة الإفريقية شمال مدينة ادرار، كما أعيد الاعتبار للقصور المجاورة للنسيج الحضري من خلال برامج التهيئة وشق الطرقات.



كما شهدت مجموعة رقان اول مخطط عمراني موجه (PUD 1980) كأداة لرسم التوجهات المستقبلية لتوسع المجموعة خاصة من الجهة الشمالية والشرقية. واستفادت ايضا من مخطط توجيهي للتعمير سنة 1995. الذي شمل قصور المجموعة الثلاثة؛ تاعرابت، تينولاف، القصر الجديد. فأدرجت الانوية القصورية كمنطقات معمرة كما حدد المخطط توجهات التعمير فعرفت المجموعة إضافة الى الجهة الشمالية التوسع بالجهة الجنوبية كما برمجت مختلف التجهيزات ومختلف صيغ السكنات (الاجتماعي والوظيفي) والتجزئات العقارية (حي النجاة 101-51 قطعة). (ابراهيم ع 2010).

فعلى العموم اقتضت توجهات هذه المخططات على المراكز العمرانية الرئيسية ورسمت حجم التوسع بها كما ان المراجعة الدائمة للمخططات لدليل على التوسع المجالي الكبير الذي تعرفه تلك المجمعات. قمنا بتتبع مراحل توسع مجموعة زاوية كنته احدى مجمعات اقليم توات التي شهدت ديناميكية كبيرة و برزت كذلك من خلال اداءها الوظيفي في المنطقة خاصة بعد الترقية الادارية¹ وسلسلة التجهيزات والخدمات التي دعمت بها فأصبحت بذلك نقطة جذب لسكان القصور المجاورة لها.

تقع المجموعة جنوب عاصمة الولاية ادرار وتبعد عنها بـ 80 كلم، تضم حوالي 2952 ساكنا بمعدل نمو 1,59% حسب إحصائيات 2008. شهدت المجموعة توسعا كبيرا وتحولا مجاليا سريعا من خلال مختلف البرامج السكنية انطلاقا من النواة الأولى القصر لتظهر مباني بجوار القصبية في البدايات الاولى ثم عرفت المجموعة التوسع المجالي نحو الجهة الشرقية وبرزت بها تركيزات سكنية جديدة تميزت بالتنظيم. فمن خلال المخطط التوجيهي لسنة 2009 فان التوسع العمراني جاء عبر مراحل للتعمير عرفتتها المجموعة.

من خلال تحليل النسيج العمراني لمدينة زاوية كنته الذي يعطينا صورة عن أنماط وأنواع المباني عبر مراحل مختلفة، حيث أخذ في تقسيم هذه المراحل جملة من المعايير والتحويلات التي طرأت على المدينة منذ نشأتها في مختلف المجالات الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية والإدارية.

المرحلة الأولى: قبل 1962

لعل القصبات القديمة والتي لازالت شواهدا قائمة لدليل على أن السكان الأوائل شيدوها واحكموا تحصينها من خلال الأبراج والأسوار والخنادق وظلت محافظة على وظيفتها لعقود طويلة. ضمت القصبات قبيلة واحدة أو عدة قبائل ولعل أول من سكن المنطقة قبيلة الكنتاويين.

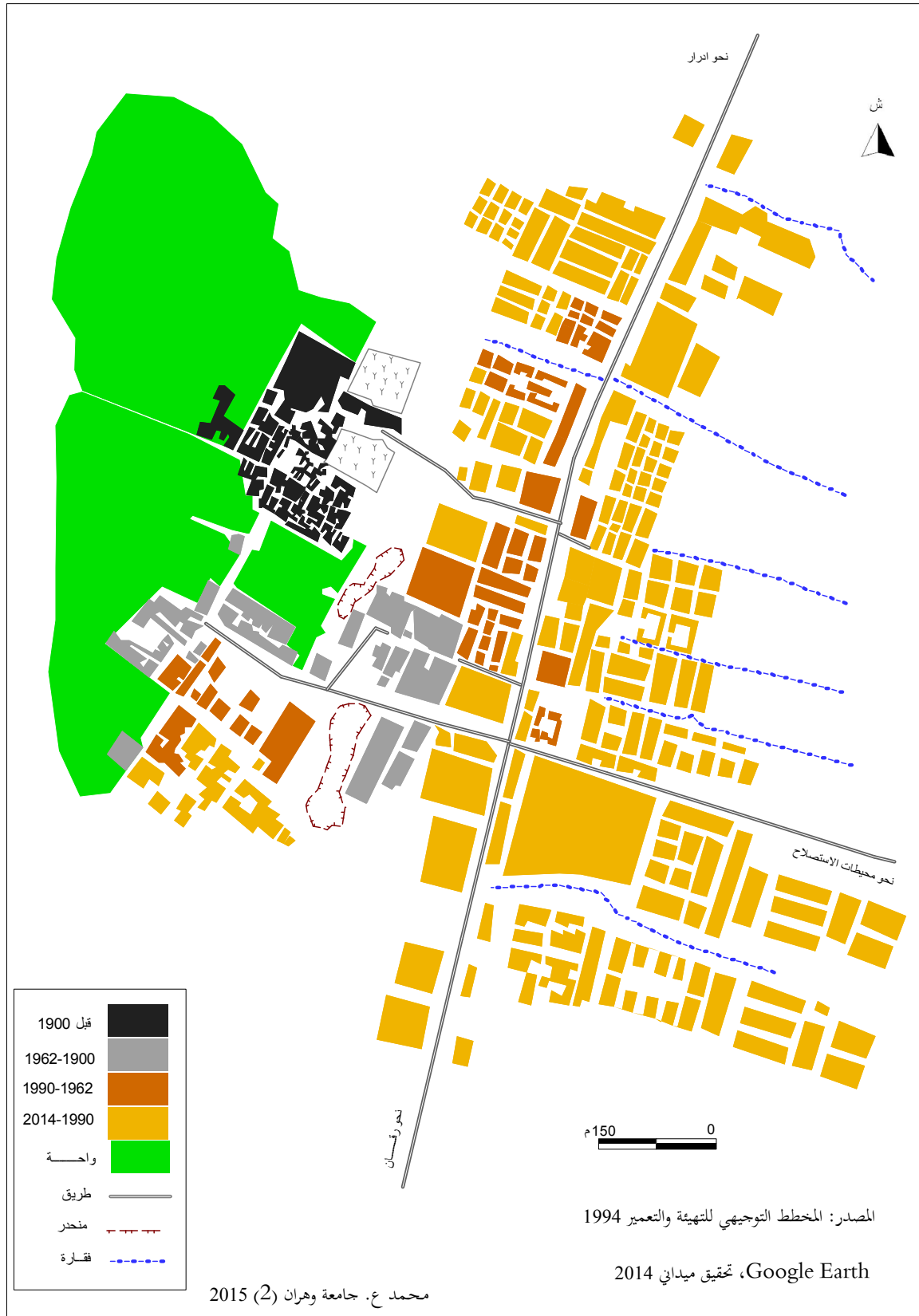
¹ - زاوية كنته مقر بلدية منذ 1974 ثم مقر دائرة سنة 1991 تضم بلديتي زاوية كنته وأنجزمير

كما ترك المستعمر الفرنسي بصمته على المجموعة من خلال الثكنة العسكرية وبعض البناءات الإدارية التابعة له وهذا من اجل الإشراف على المنطقة الوسطى لتوات ومراقبة تحركات الساكنة وتأمين مرور المعدات الحربية من والى رقان وادرار. إلا أنه لم يتبقى منها شيء في الوقت الحالي ماعدا الثكنة العسكرية التي تحولت إلى خزينة للبلدية.

المرحلة الثانية: بعد الاستقلال

شهدت المجموعة ديناميكية معتبرة بسبب النمو الديموغرافي الكبير فاتجه التعمير جنوب غرب النواة الأولى وكان تدخل الدولة جليا من خلال التجزئات؛ إذ يعتبر حي الحراش المشكل من 72 قطعة كأول توسع للمجموعة خارج نطاق القصر معبر بنمطين مختلفين للمساكن؛ التقليدية والتقليدية الحديثة. كما أن ترقية المجموعة إلى بلدية جراء التقسيم الإداري سنة 1984 صاحبها سلسلة البرامج السكنية والتجهيزات التي استفادت منها المجموعة. ولعل المميز هو التوسع باتجاه الطريق الوطني (شرقا) . ومن بين أهم البرامج السكنية المميزة لهذه المرحلة 18 مسكن و حي البدر، التي في الواقع مساكن اجتماعية. كما أن ترقية المجموعة إلى صف دائرة تضم بلديتي زاوية كنته وانجزمير سنة 1991. كان له دور بارز في تطوير هياكلها الخدماتية والإدارية. وتجلت الانجازات والتوسعات من خلال حي 20 مسكن و 30 مسكن وكذا 116 مسكن.

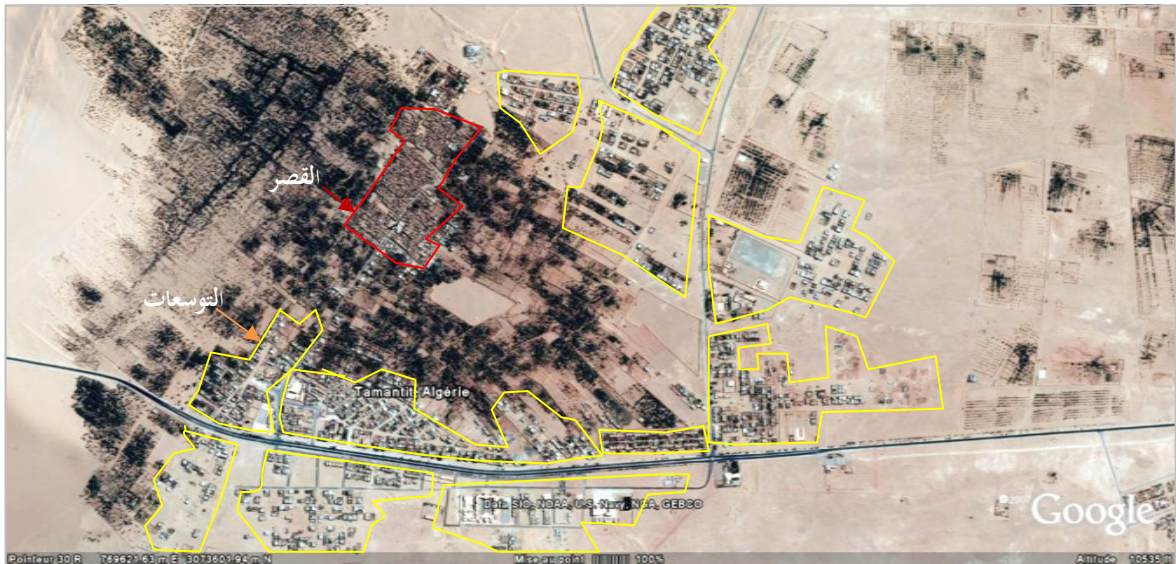
في الفترة الممتدة من سنة 2000 شهدت المجموعة عمليات تعمير كبيرة من خلال العديد من البرامج السكنية وهذا ما طبعته مختلف التجزئات (146 قطعة)، 50 مسكن اجتماعي، 50 مسكن تطوري. وصاحب هذا كله انجاز مجموعة من التجهيزات والهياكل الإدارية والتعليمية. (الخريطة رقم 7)



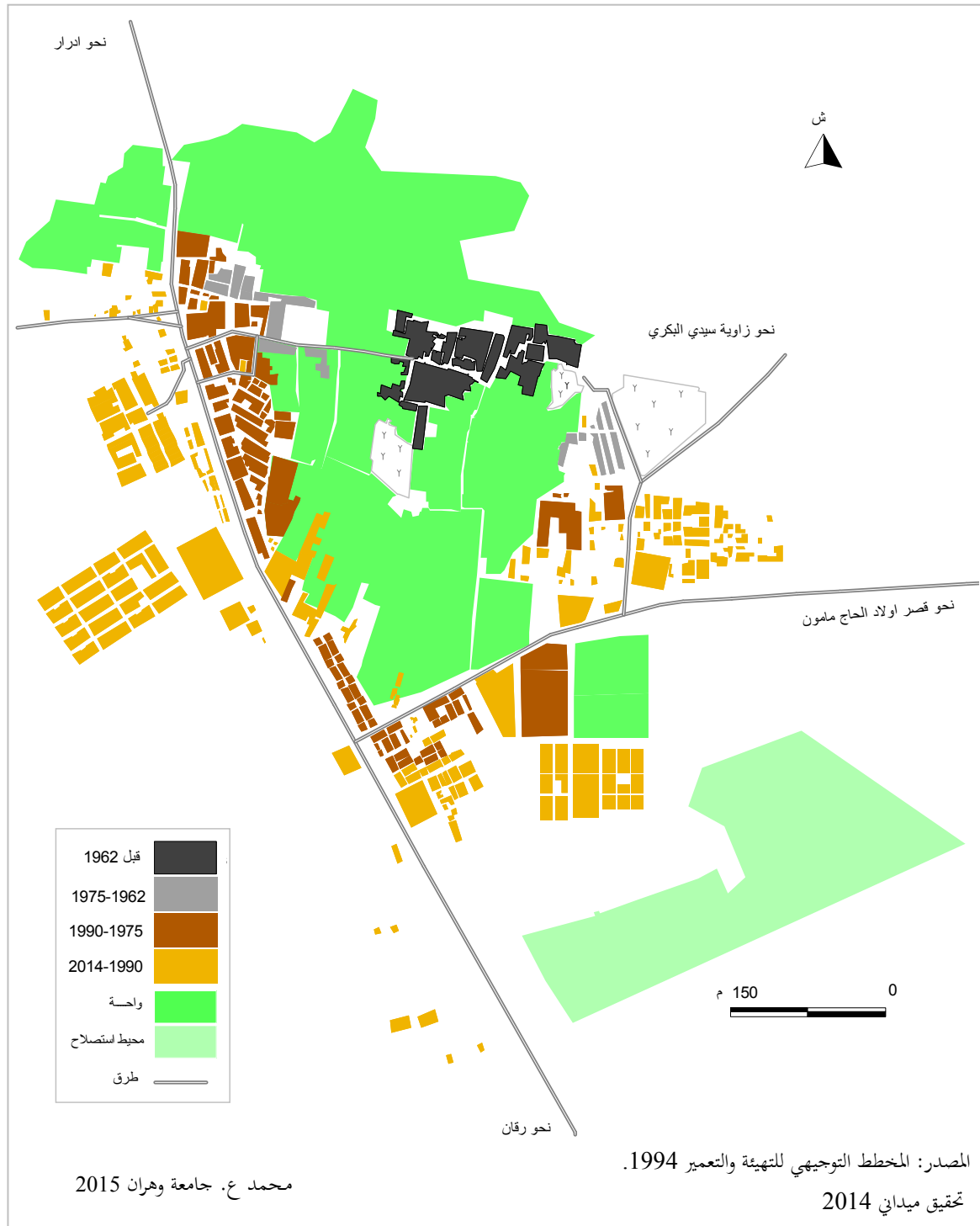
الخريطة رقم (7): التوسع الجغرافي لمجموعة زاوية كنته

1-2- تغيير المركزية العمرانية من القصر إلى الطريق: توسع مجالي على حواف الطرق الرئيسية

كما شهدت مجمعة تمنطيط باعتبار تاريخها القديم كعاصمة للإقليم في عصور سابقة امتدادات مجالية خارج الانوية الأولى أو القصور القديمة، التي مثلت في السابق التطور الحضاري والسرّح العلمي والروحي في المنطقة. من هذه القصور؛ قصر أولاد يعقوب، قصر أولاد داود، قصر بوصلاح وغيرها، لتتشكل أحياء جديدة بعيدة عن محور القصبات القديمة وقريبة من الطريق الوطني رقم (06). ففي البداية انشأ حي جديد غرب القصر كنتيجة لتوسع القصر يسمى حي أقورار. ثم توالى التوسعات وخاصة بعد الترقية الإدارية سنة 1984 وما أعقبها من تدخلات للدولة من اجل زيادة النسيج العمراني وتنظيمه. حيث استفادت المجمعّة من بعض برامج السكنات بأعماط جديدة للعمارة ووسائل حديثة للبناء (الاسمنت بدل الطين) حيث تشكل حي سيدي يوسف وحي مولاي العربي وهو أكبر حي في تمنطيط (حمداوي. ع 2013)، كما أنشأت بعض المرافق الجديدة (دار البلدية، المدرسة، قاعة علاج). كما جاء المخطط التوجيهي للتعمير لسنة 1994 لتحديد القطاعات القابلة للتعمير وكذا قطاعات التعمير المستقبلية وذلك لتجسيد مختلف البرامج السكنية (التجزئات، السكن الاجتماعي وغيرها) والتجهيزات الإدارية والتعليمية، فجاءت التوسعات في الجهة الغربية للطريق الوطني رقم (06) والذي أصبح محور جديد للتوسع بالنسبة للمجمعّة (الخريطة رقم 8).



الصورة رقم (9): مجمعة تمنطيط توسع عمراني على محور الطريق الوطني (Google Earth 2014)

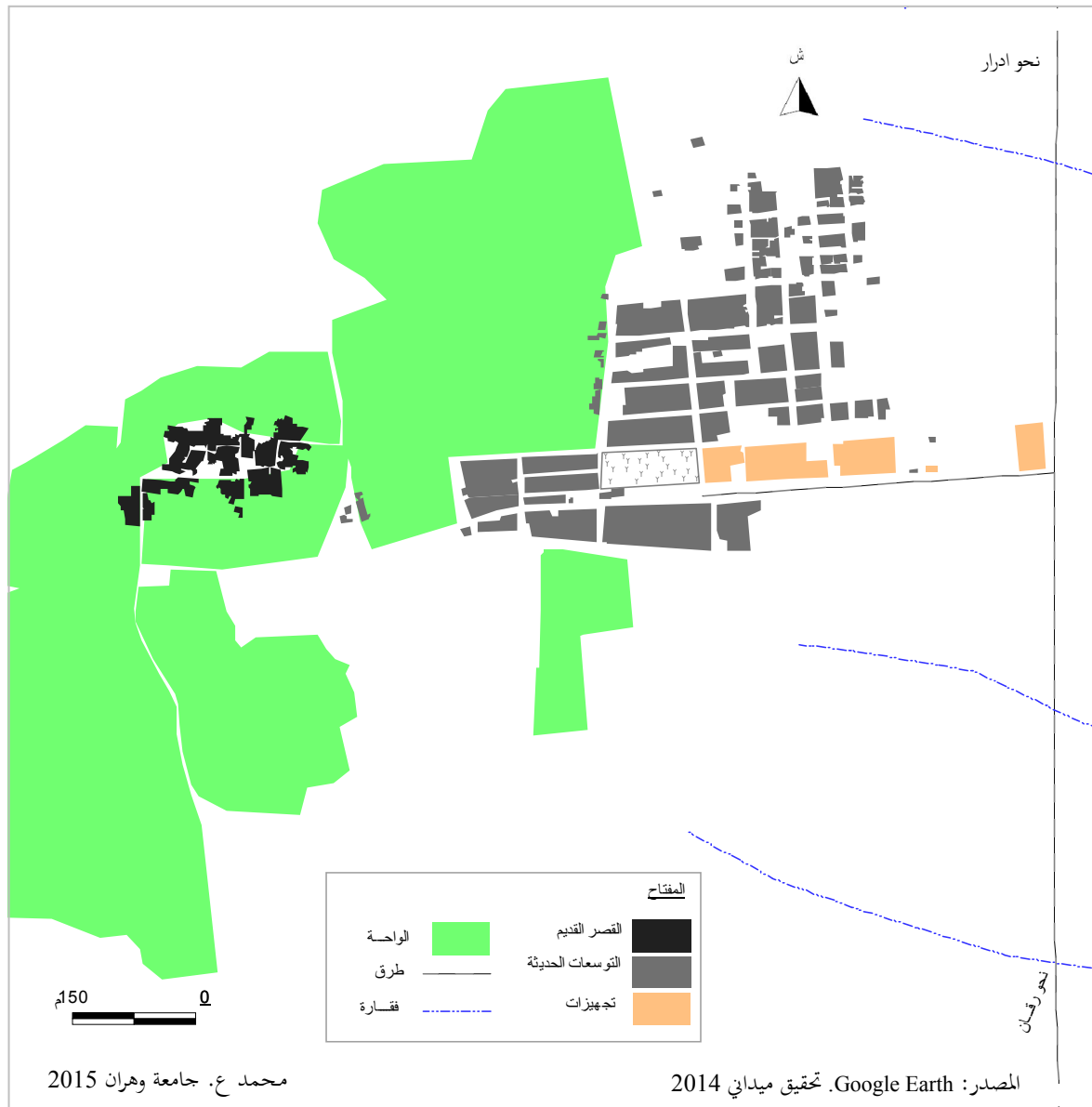


الخريطة رقم (8): التوسع المجالي لمجموعة تنظييط

ففي منطقة توات جاءت معظم هاته التوسعات المجالية بمحاذاة الطريق الوطني رقم (06) باعتبار أن اغلب قصور الإقليم تتوضع في الجهة الغربية للطريق والتي لم تخضع لمخططات توجيهية باستثناء المراكز الرئيسية. فجاءت التوسعات على شكل وحدات سكنية ذات طابع معماري يختلف عن الطابع المميز للقصر، وبمساحات تضمن تواجد خدمات وتجهيزات متنوعة. فجميع هاته القصور عرفت التوسع نحو الجهة الشرقية على العموم و باتجاه الطريق الوطني رغم العوائق المتمثلة في سلاسل الفقاير.

من هاته القصور قصر سيدي يوسف احد قصور بلدية فنوغيل و الذي يبعد عن مقر البلدية بـ 3 كيلومترات جنوبا. نجد أن التوسع المجالي للقصر اخذ اتجاهاً نحو الشرق بشكل طولي (الخريطة رقم (9)) حيث عرفت اول مرحلة الخروج من النسيج القديم والذي أصبح شبه مهجور إلى توسعات جديدة طبعتها سياسة الدولة في إطار التجزئات المختلفة من طرف الوكالة العقارية وكذا البناء الريفي.

عموما عرفت اغلب المجمعات التوسع شرقا باتجاه الطريق الوطني رقم (06) ومنها من تعدته إلى طرفه الشرقي فأصبح الطريق محور رئيسي تتوزع على جانبيه معظم المحلات التجارية وتجارة مواد البناء إضافة إلى بعض التجهيزات الإدارية والتعليمية وغيرها.



الخريطة رقم (9): التوسع المجالي لقصر سيدي يوسف ببلدية فنوغيل

2- البرامج السكنية: الخروج عن الأسوار وبداية التعمير بمنطق جديد

مرت السياسات السكنية في الجزائر بعدة مراحل، كان نتاج كل مرحلة مجال حضري متنوع، كما عمدت إلى تنمية الأرياف من خلال استحداث مساكن لائقة والقضاء على السكن الهش. فحاولت من خلالها تلبية الحاجة الملحة للسكن التي برزت منذ السبعينات. وأمام النمو الديموغرافي السريع وتفاقم الأوضاع والطلب المتزايد على السكن، تضاعفت الجهود المبذولة من طرف الدولة قصد معالجة أزمة السكن من خلال إقرار برامج سكنية في إطار التنمية المحلية التي مست العديد من الولايات بهدف خلق شروط التنمية الاقتصادية والاجتماعية في البلاد.

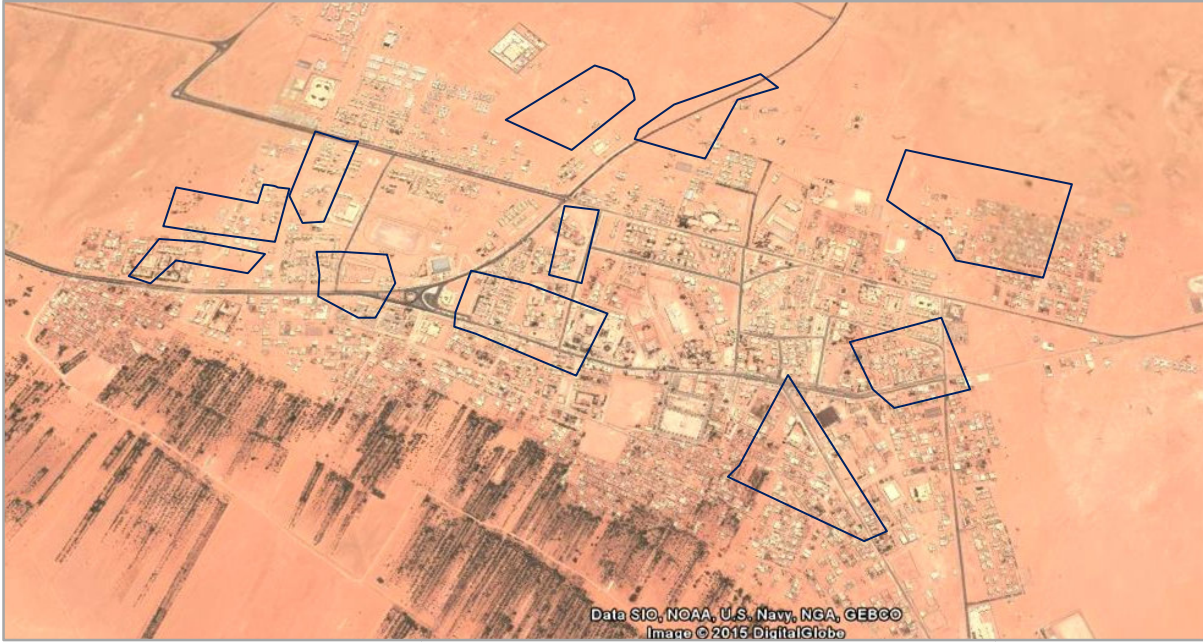
استفادت التجمعات القصورية بتوات من عدة برامج سكنية بمختلف الصيغ، التي من بينها برنامج البناء الذاتي ومختلف برامج التجزئات المسجلة اضافة الى برامج البناء الريفي للتخفيض من حدة أزمة السكن والقضاء على البنايات الهشة.

2-1- التجزئات السكنية: مجالات توسع جديدة أحدثت توازنات اجتماعية

على الرغم من الجهود التي بذلتها الدولة قصد معالجة أزمة السكن يبقى النقص يشكل إحدى المعالم البارزة، كذا ضرورة الخروج عن نطاق القصبه والقصور بتوات بسبب الديناميكية الديموغرافية الشديدة وتغير مستوى الحياة القصورية (البحث عن الرفاهية من خلال المسكن الواسع والحديث). فكان لزاما على الدولة إيجاد إستراتيجية للتقليل من الأزمة وتشجيع البناء الفردي فأدرجت سياسة التجزئات للحد من النقص الكبير و إعطاء المواطن حق المشاركة في بناء مسكنه. والسؤال المراد الإجابة عليه يتلخص في ماهية دوافع اللجوء إلى التجزئات بولاية ادرار؟ وما مدى إسهامها الكمي والنوعي في الإنتاج المحلي للمجمعات القصورية؟

وفرت عمليات التجزئة الكثير للمجمعات القصورية بتوات خاصة و ادرار بشكل عام من الناحية الكمية المحلية، اذ تعرف التجزئة (Lotissement) بأنها تقسيم أو تجزئة ملكية عقارية كبيرة على نحو حصص متفاوتة المساحات بهدف انجاز مباني موجهة لنشاط معين (سكني، تجاري، صناعي) كما يحدد ذلك المرسوم التنفيذي¹ 176/91 وطبقا للمادة 07 منه فان التجزئة " عملية التقسيم لقطعة أو عدة قطع أرضية من ملكية عقارية واحدة أو عدة ملكيات مهما كان موقعها وإذا كانت قطعة أو عدة قطع ناتجة عن هذا التقسيم من شأنها أن تستعمل في تشييد بناية أو عدة بنايات"

¹ - المرسوم التنفيذي رقم 176/81 المؤرخ في 1991/05/28 الجريدة الرسمية رقم 26 ص 964



الصورة رقم (10): توزيع برامج التجزئة بمجمعة رقان (ابراهيم ع. 2010)

جاءت التجزئات السكنية ضمن عمليات التوسع خارج نطاق القصور التي تعتبر النواة الأولى للاستقرار لتكون وحدات سكنية جديدة، ضمنت تلك الوحدات قطع بمساحات معتبرة على العموم 300 م²، وبالتالي إقامة مساكن فردية منتظمة وأكثر اتساعا كما تتخلل تلك القطع طرق واسعة. إما اجتماعيا فهاته التجزئات ساهمت في إحداث بعض التوازن الاجتماعي وحصول بعض الطبقات على قطع أرضية كانت تتقل الكاهل للحصول عليها، بسبب سيطرة بعض الطبقات (الشرفاء، المرابطين) على الأملاك العرفية العقارية داخل وخارج القصور. فلخصت التجزئة عمليات تقسيم الأراضي الصالحة للبناء والتي تدخل في إطار ملكية الدولة حيث تقوم السلطات ببيع القطع الأرضية بثمن رمزي قدر بـ 6000 دج للقطعة الواحدة التي مساحتها 300 م². عبر اختيار مفرزات توزعت عبر القصور وهذا حسب الطلب المسجل بالمصالح المحلية (البلدية).

الجدول رقم (11): توزيع التجزئات السكنية ببلديات إقليم توات

البلدية	عدد التجزئات	المساحة الاجمالية (م ²)
ادرار	15	2194484.95
بودة	4	98488
تيمي	16	863537
تمنطيط	6	340411
فنوغيل	6	267139
تامست	11	338287
زاوية كنته	21	4885032.15
انجزمير	7	162385
سالي	2	93512
رقان	12	378176
تسابيت	13	362401
سبع	2	62521
المجموع	115	10046374,1

المصدر: الوكالة الولائية العقارية – ادار 2014

إن الأعداد الكبيرة للتجزئات التي برمجت في مختلف بلديات إقليم توات توحى بحجم التوسع المجالي الذي رسمته وكذا طبيعة النسيج العمراني الذي أحدثته. فشملت التجزئات التجمعات الرئيسية وكذا التجمعات الثانوية من خلال إنشاء جزيرات سكنية منتظمة ومهيكلت أعطت سمة التركيز السكني خارج نطاق القصور، وزادت كذلك من التوسع المجالي للحظيرة الحضرية بالنسبة للمراكز الرئيسية. فمدينة ادرار والتي عرفت اتساعا كبيرا في المساحة من خلال عمليات التجزئة المختلفة؛ الحي الغربي،

20 اوت¹

¹ - فونديو قومة عبد الرحمان دراسة التوسعات الجديدة بمدينة ادرار. مذكرة تخرج لنيل شهادة مهندس دولة في الجغرافيا والتهيئة العمرانية جامعة وهران. 2006. ص24

2-2- السكن الريفي: آلية لإعادة التشكل القصورية

يندرج السكن الريفي في إطار السياسة الوطنية للتنمية الريفية، ويهدف إلى ترقية الفضاءات الريفية وتثبيت السكان المحليين ويرمي إلى مساعدة الأسر في بناء سكنات في محيطهم الريفي. وفي هذه الحالة تكون مساهمة المستفيد بتخصيص قطعة أرضية ملكا له ومساهمته في عملية البناء والقيام بكل الأعمال الخاصة بتهيئة السكن داخليا وهذا ما لخصته مختلف القرارات وكذا التعليمات الوزارية المشتركة رقم (06) المؤرخة في 31 جويلية 2002 الضابطة والمقننة لكيفيات انجاز ومتابعة مختلف عمليات البناء الخاصة بالسكن الريفي في إطار سياسة التنمية الريفية. كما أن هذه التعليمات السكنية تضبط شروط التأهيل للأستفادة من إعانات الصندوق الوطني للسكن من خلال دفتر الشروط الذي يحدد قيمة الإعانة التي عرفت ارتفاعا مستمرا من 50000 دج إلى إن وصلت قيمتها عام 2013 إلى 1000000 دج وهذا وفقا لأحكام المادة 5 من قرار الاستفاداة من اجل بناء مسكن جديد. وبغرض الحصول على الإعانة من الدولة فان ذلك يخضع لشروط الأهلية. إذ يؤهل للدعم الخاص بالبناء الريفي الأشخاص الطبيعيون الذين ينخرطون في مختلف برامج المخطط الوطني للتنمية الفلاحية أو الذين يمارسون نشاطا في الوسط الريفي والذين لم يستفيدوا بعد من تنازل عن السكن تابع للقطاع العمومي ولم يحصلوا على إعانة الدولة المخصصة للسكن. بمختلف صيغته.

الجدول رقم (12) : تطور إعانات السكن الريفي بتوات

الفترات	قبل 1995	1995-1999	2000-2004	2005-2009	2010-2014
توات	820	2649	1344	4966	14510
مجموع الولاية	1300	5710	3050	15580	32000
	63,1 %	46,4 %	44,1 %	31,9 %	45,4 %
	24289				

المصدر: مديرية السكن لولاية ادرار 2014

استفادت قصور بلديات توات من إعانة في إطار البناء الريفي خلال الفترة الممتدة من سنة 1993-2014 ما يمثل 42,1 % من إجمالي الإعانات على مستوى الولاية والمقدر بـ 57640 إعانة. كما عرف حجم

الإعانات زيادة مستمرة عبر الفترات التي شهدت إعانات مالية في إطار البناء الريفي ليصل العدد خلال المخطط الخماسي (2010-2014) إلى 32000 إعانة. كان لكل بلدية نصيب وهذا حسب

الحجم السكاني وكذا حسب الطلبات المسجلة على مستوى الدوائر كما يخضع تقسيم الإعانات على مختلف قصور البلدية الواحدة لحجم السكان. بينما توكل عملية تقسيم الإعانات داخل القصور إلى الجمعيات المحلية لها باستعمال القرعة لتحديد المستفيدين من الإعانة على مستوى كل قصر.



الصورة رقم

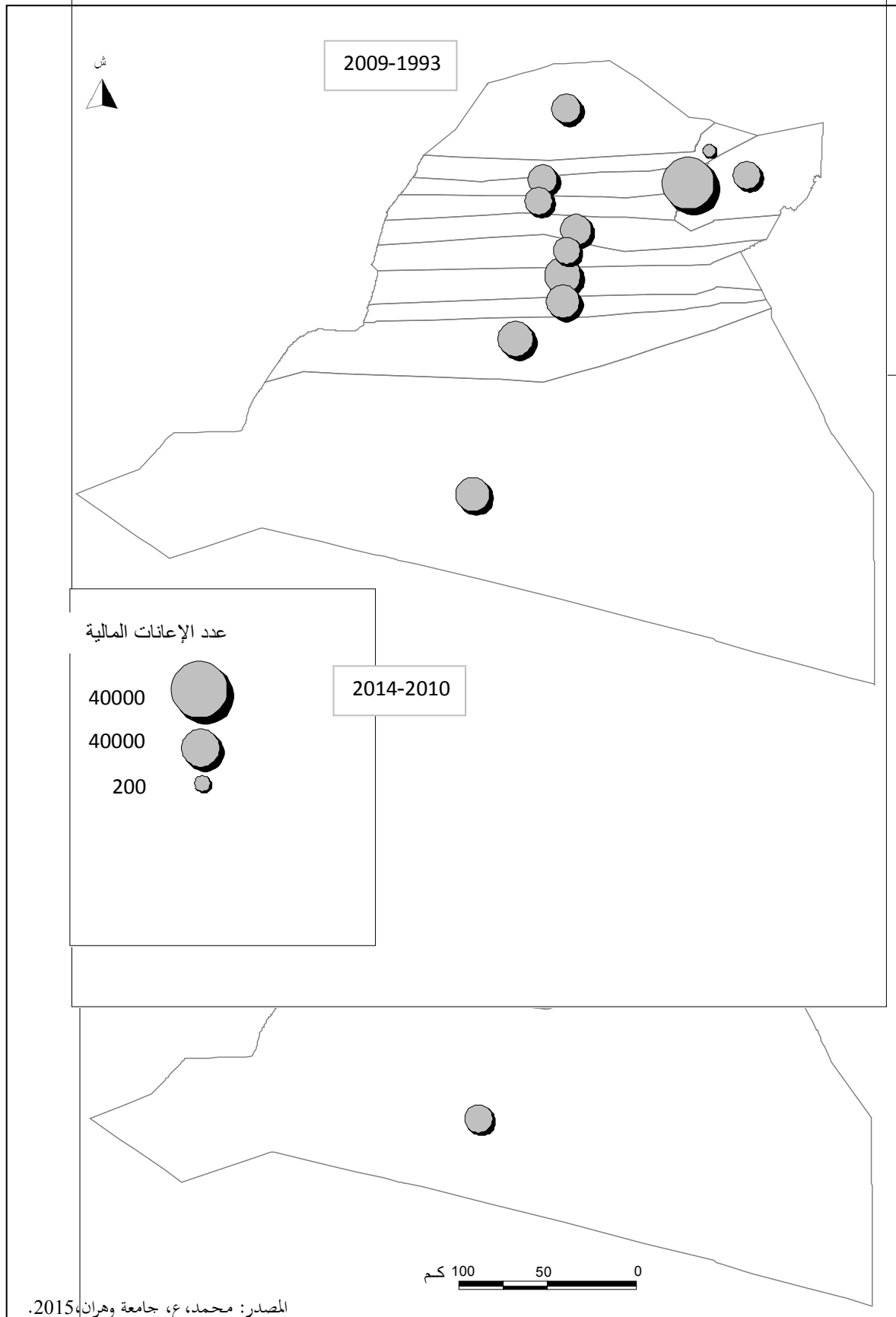
(11): مساكن في إطار

البناء الريفي بقصر

تيطاف 2014

تمثلت المساكن الريفية في ولاية ادرار بالتبعثر، كما عرفت المنطقة سنة 2006 مساكن على شكل متجمع وطابع معماري موحد، كانت هاته السكنات كأول تجربة، أسندت عملية بنائها إلى مؤسسات مقاولاتية. في حين عرفت بنيت اغلب المساكن الريفية في الملكيات الخاصة والعرفية للمستفيدين. لم تستمر العملية فأصبح يتم تخصيص مفرزات (تجزئات) خاصة في كل قصر حسب طلبات المستفيدين الذين ليس بحوزتهم قطع أرضية لتجسيد مساكنهم في إطار البناء الريفي. بُوشر بالعملية انطلاقا من سنة 2011 فاحتوى كل قصر على تجزئة أو تجزئتين.

برزت التحولات المسكنية وبدأت جلية خاصة في المساكن الريفية، فاعتمد في بنائها على الاسمنت المسلح إضافة إلى إدخال تصاميم حديثة (الصورة رقم 11).



2-3- السكنات الاجتماعية: أنماط حضرية و عمرانية مغايرة للنمط التقليدي

انشأت جميع صيغ السكنات الاجتماعية بالمراكز العمرانية الرئيسية وظهرت على شكل تكتلات عمرانية لتساهم بذلك في عمليات التوطن خارج مجال القصور، بأشكال هندسية وأنماط عمرانية حضرية جديدة¹ حيث تتشابه مساكن الكتلة الواحدة في الشكل وعدد الغرف. تبنى هاته المساكن من طرف الدولة ويشرف عليها ديوان الترقية والتسيير العقاري. اما عن الصيغ السكنية الاجتماعية فتوجد إضافة إلى السكن العمومي الايجاري (LPL) نجد السكن التساهمي (LSP) إضافة إلى السكن الوظيفي، السكن الترقوي والاجتماعي.

فمدينة ادرار تستحوذ دائما على أكبر نصيب من السكنات الاجتماعية والعمومية المبرمجة باختلاف صيغها اذا ما قورنت بباقي بلديات توات. وكان نتاج ذلك احياء جديدة مدعمة بذلك الاطار الحضري للمدينة على غرار 400 مسكن وظيفي، 200 مسكن. ولعل المنطقة الحضرية الجديدة "تيليلان" التي اقيمت بالجهة الشرقية للمدينة بمجموع للمساكن بلغ 1500 بصيغ السكن التساهمي إضافة إلى المنطقة الحضرية الجديدة "محمد بلكبير" التي اقيمت بالجهة الشمالية الغربية للمدينة والتي ضمت 136 مسكن ترقوي و140 مسكن اجتماعي. كما دعمت هاته المناطق بمجموعة من التجهيزات والمرافق العمومية كمركز بلدي وبريد ومدارس ابتدائية وثانوية واحدة.

كما شهدت مختلف المراكز العمرانية هي الأخرى عدة برامج للسكنات الاجتماعية. تجدر الإشارة ان السكنات التساهمية اقتصرت على مقرات الدوائر دون سواها بينما تواجدت الصيغ الأخرى بمقرات البلديات فيما اقتصر نصيب التجمعات الثانوية والقصور على بعض الساكن الوظيفية لفائدة مستخدمي قطاع الصحة والتعليم.

يلخص الجدول الموالي حصص السكن الاجتماعي بالمنطقة خلال سنة 1993 و 2013. فالسكن الاجتماعي الممول من قبل ميزانية الدولة و الموجه أساسا للفئات الاجتماعية المقهورة يتم انجازه بمتابعة من طرف وكالات الترقية و التسيير العقاري OPGI يتم عادة إسناد عملية التوزيع هذا النوع من السكنات " 3 غرف بمساحة 65 م²، 4 غرف بمساحة 75 م² " من قبل هيئة يرأسها رئيس الدائرة.

¹ - عدون الطيب الأنماط الحضرية الجديدة بالمدن الصحراوية، حالة مدينة غرداية ، رسالة ماجستير في الجغرافيا والتهيئة العمرانية جامعة وهران. 2014 ص 16

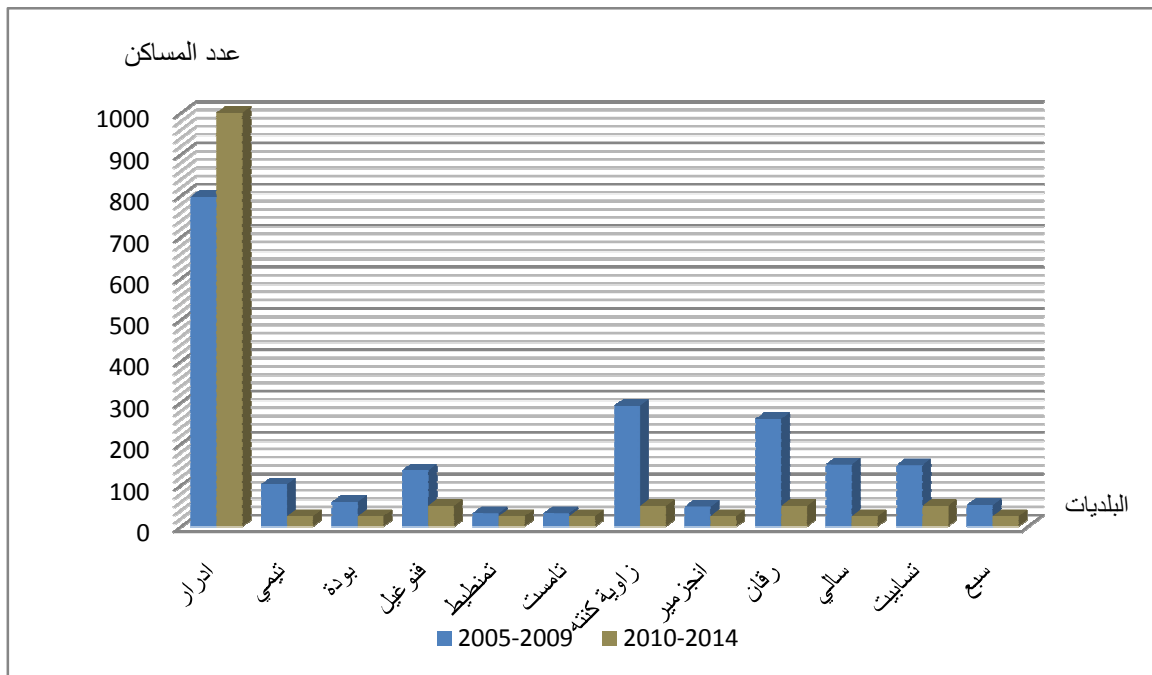
الجدول رقم (13): تطور السكن الاجتماعي بتوات ما بين 1993-2013

عدد السكنات	قبل 1995	1999-1995	2004-2000	2009-2005	2014-2010
توات	420	615	1430	2108	1375
مجموع الولاية	780	900	2200	4112	2000

المصدر : مديرية السكن لولاية ادرار 2014

يتركز السكن الاجتماعي في النطاق الحديث، اذ يظهر في التوسعات الحضرية الجديدة بالنسبة للتجمعات الرئيسية. حصلت مدينة ادرار على ا أكبر حصة باعتبارها مقر الولاية فاستفادت لوحدها من 120 مسكن سنة 1993 من مجموع مساكن توات البالغ 420 خلال نفس السنة ثم 140 سنة 1997 وزاد حجم الاستفادة عبر السنوات ليبلغ 380 سنة 2000 إلى ان بلغت حسب الخماسي الأخير 2014-2010 إلى 1000 مسكن من مجموع 1375 مسكن بتوات، أي ان حصة ادرار لوحدها تمثل 4/3 من مجموع الحصص بتوات خلال الخماسي 2014-2010.

تجدر الإشارة إلى أن المراكز العمرانية الأخرى لم تعرف حجم الاستفادة بقدر المدينة ادرار واختلفت مراكز الدوائر عن مراكز البلديات فحسب المخطط الخماسي الأخير استفادت جميع البلديات من 25 مسكن بينما استفادت مراكز الدوائر من ضعف العدد 50 مسكن.



الشكل رقم (07): توزيع المساكن في إطار السكن الاجتماعي بتوات خلال الخماسين الاخيرين



الصورة رقم (12): مساكن عمومية ايجارية في طور الانجاز فنوغيل 2015



الصورة رقم (14): سكن وظيفي بقصور فنوغيل

الصورة رقم (13): سكن وظيفي بالتوسعات الحديثة

3- التحولات المورفولوجية للمساكن الصحراوية

ظهرت بعض الصيغ الجديدة للمساكن بعد ما كان المسكن داخل القصبية يمثل النمط السائد بتواتر ونظرا للتحولات التي عرفتها المنطقة وإسهامات الدولة وبرمجتها لعدة صيغ للسكن وتقديم اعانات مالية من اجل استحداث مساكن جديدة. فتبين لنا من خلال التحقيق الميداني الذي أجريناه تبين أن المساكن بمجمعات تواتر تتمايز من خلال صيغها الإدارية والإنشائية وخاصة الحديثة منها. وهذا راجع لعدة ميكانيزمات متداخلة سواء أكانت محلية أو وموجهة من اجل إحداث فضاءات عمرانية جديدة

3-1- مساكن بمواد اسمنتية وطابع معماري جديد

تتوزع وتباين الخصائص المورفولوجية للمساكن القصورية اليوم في تواتر على ثلاثة أنماط تبعا لحجم المسكن، مادة بنائه وكيفية إنجازها وحتى موقعه، لذا عبر البيت عن المرحلة الزمنية التي أنجز فيها والمستوى المادي والاجتماعي لمالكه، فكان أوله.

الجدول رقم (14): أنماط المساكن حسب بلديات توات

النمط	ادرار		انجزمير		بودة		تامست		تسايبت		تمنطيط		تيمي		رقان		زاوية كنته		سالي		سبع		فنوغيل		المجموع	
	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد
فردى حديث تقليدى	5,4	19	1,7	6	2,3	8	0,3	1	3,7	13	2,0	7	2,0	7	7,1	25	2,3	8	2,6	9	0,3	1	0,6	2	30	105
فردى قديم تقليدى	2,0	7	1,1	4	0,3	1	1,1	4	0	0	0,6	2	0	0	0,9	3	1,4	5	0,3	1	0	0	0,6	2	7,7	27
فردى حديث	15,4	54	4,0	14	2,6	9	3,7	13	3,1	11	2,6	9	3,7	13	9,1	32	7,7	27	2,9	10	2,0	7	4,3	15	61,1	214
المجموع	22,9	80	6,9	24	5,1	18	5,1	18	6,9	24	5,1	18	5,7	20	17,1	60	11,4	40	5,7	20	2,3	8	5,7	20	100	350

المصدر : التحقيق الميدانى 2014

3-1-1. المسكن القديم التقليدي:

يتواجد هذا النمط عادة داخل القصور وهو مشيد بمواد بناء محلية (طين، جذوع النخيل...)، يتكون من غرفة إلى اثنين يأتي على رأسها المخزن باعتباره الوحدة الاقتصادية، ويحتفي المسكن وراء السقيفة التي تميز هذا النمط حيث تلعب دور مهم في تهويته وهو مناسب للمناخ الصحراوي الذي يتميز بالحرارة الشديدة في فصل الصيف وفي الوسط أو جانب من المسكن نصادف فسحة غير مغطاة أطلق عليها محليا اسم "الدكانة" وهي بمثابة مركز الحياة اليومية، وفي الجانب منها نجد السلم الذي يصل بالسطح والملاحظ أن المساكن التقليدية إنهما لا تفرش إلا بالرمل التي يتم استبدالها في المواسم و الأعياد. ويكون هذا النمط من المساكن عادة في نطاق القصور القديمة والقصبات ومن خلال التحقيق الميداني نجد ان تمثل بنسب ضعيفة جدا، اذ لم تتعدى النسب 7.7 % من مجموع الافراد المحقق مهم والذين يقطنون بهاته المساكن. وترجع أسباب تحلي السكان عن هذا النمط من المساكن إلى: تضرر أجزاء منه جراء العوامل المناخية كالرياح و الأمطار الغزيرة، إضافة إلى هجرة النسيج القديم وبناء مساكن حديثة بمواد اسمنتية بنطاق التوسعات.



الصورة رقم (16): سقف المسكن



الصورة رقم (15): مسكن قديم بقصر لحرمر 2014

يبنى هذا النوع من المساكن من الطين ويستعمل لتسقيف البيت القصورى الأخشاب المصنوعة من جذوع النخيل والتي لا يشترط أن تكون مستقيمة الشكل بقدر ما يكون الاعتبار لطولها الذي يتجاوز المتر، أو المترين والنصف كحد أقصى ليتناسب مع عرض الغرف التي هي عبارة عن أزقة،

تصطف فوق جدرانها المتوازية بشكل متباعد نسبيا بمقدار (3م إلى 3.5م) ليشد بقطع خشبي من الجريد يدعى "الكرناف" بشكل مخالف يكسب السقف حلة زخرفية جميلة ثم يوضع فوقه "الفدام" وهو عبارة عن لحاف دائري يحيط بجريد النخلة يشد بعضه بعض، وقد يعوض بسيقان القمح "البرومي" التي تبقى بعد عملية الدرس للقمح وهي غذاء أساسي للمواشي. ومهمة هذه السيقان هو منع تسرب المياه من السقف نحو الأسفل ويغطي كل هذا بالطين السائب.

2-2-3. مسكن حديث تقليدي: بقاء التصميم القديم

يتميز هذا النمط بتمثاله مع المسكن التقليدي في التصميم الداخلي كاحتوائه على فسحة تتوسطه و السقيفات المتعددة، ومميزات المسكن التقليدي المستحدث في مواد البناء التي تكون ممزوجة بين الاسمنت والطوب المحلي في بناء الجدران والزنك في السقف أما الاسمنت فقد أفرشت بها أرضية المنزل أو على الأقل بعض الغرف ذات الأهمية الوظيفية كغرفة الضيوف أو المطبخ وغرفة النوم، ويتواجد هذا النمط بنسبة 30 % وهي نسبة معتبرة مما يدل على بعض التحسن للظروف المعيشية.

إن أول شيء كان له الأثر الأكبر على شكل المنزل وحجمه هنا هو الطوب ذو الشكل التريعي. ورغم بقاء مادة البناء هي نفسها طينية فان طريقة التجهيز اختلفت كليا عن الطريقة الأولى فقد غابت فيها الأملاح المعدنية والتبن، والجير في طلاء الجدران و السطح.



الصورة رقم (17): مسكن تقليدي حديث بقصر زاوية كنته 2014

2-2-3. مسكن حديث عصري: بتصميمه ومواد بناءه

يتواجد هذا النمط بشكل كبير في نطاق التوسعات الحديثة وهي المساكن التي تعتمد في بنائها كليا على الاسمنت المسلح و الطوب الاسمتي (parpaings) أو الحجارة ، يقوم بنائها إما السكان الذين لهم دخل متوسط أو عالي أو تبنى من طرف الدولة (تجزئات، مساكن تساهمية، بناءات ريفية ، ... الخ) ، فنجده بنسبة 61.1 % من مجموع الافراد المحقق معهم والقاطنين بهاته المساكن الحديثة. يتواجد هذا النمط على مستوى التوسعات الحديثة والتي كثيرا ما تحتوي على مساكن مبنية من طرف الدولة، وأما على مستوى نطاق القصر فقلما نجده ويتلخص في المباني التي أعيد بنائها في إطار القضاء على السكن الهش.



الصورة رقم (18): مسكن حديث بقصر تيلولين بلدية انجزمير 2014

يحمل هذا النوع من المساكن كل مميزات وسمات الحياة العصرية من مواد البناء وكذا التوزيع المجالي والتجهيز الداخلي، مادة البناء الأساسية أصبحت إسمنتية بصفة تامة، اما موقعها فخارج القصر. ظهر هذا النوع من المساكن في العقدين الأخيرين فقط. هاته المساكن منها ما هو في إطار البرامج السكنية ومنه ما هو مبني من طرف الأفراد ذاتهم. يبني هذا المسكن في الملكيات الترابية للأسر والأراضي الزراعية أو التجزئات العقارية المقدمة من طرف الدولة . واستعملت المواد المكتملة له من زخرفة كالبلاط الأرضي و طلاء الجدران، أما الأبواب فهي حديدية وخشبية يحتوي على نوافذ. كان لهذه المواد الحديثة أثر على حجم البيت وتركيبه الداخلي وكذلك ظهور نوع من تقسيم العمل والتخصص لكل فرد في صناعة قطع

المادة المستعملة في البناء مما أدى إلى ظهور مؤسسات توجد تقريبا في كل قصر الآن تنتج مواد البناء وتجهيزاته مثل الطوب الأسمنتي (Parpaing) وفئة مختصة في صنع خرسانة من هذا النوع من المساكن وتسقيفه. حتى طرق بناء هذا المسكن لم تعد تعتمد على الوسائل التقليدية "التويزة" واستبدلت بوسائل البناء العصرية.

3-2- الطبيعة القانونية للمسكن: أملاك عرفية في السابق

إن ملكية المسكن تعتبر وسيلة يمكننا من خلالها الوقوف على حقيقة الحالة الاجتماعية والاقتصادية لسكان القصر او الجمعية، حيث تعطينا صورة واضحة للعلاقة الموجودة بين السكان والمساكن وحسب الدراسة الميدانية فإننا حددنا اربع حالات مختلفة للوضعية العقارية للمساكن بتوات. تمثل الملكية الخاصة جميع المساكن المملوكة من طرف قاطنيها سواء من اشتروها أو من قاموا ببنائها أصلاً، بينما تمثل صيغة الارث المساكن التي تعود للاجداد وتتركز هاته المساكن الموروثة غالبا في نطاق القصور اما عن المساكن المستأجرة: فسواء كان الإيجار عن دولة أو عن خاص، فاغلب ساكنيها هم غير أصليين.

الجدول رقم (15): الحالة العقارية للمساكن حسب البلديات بتوات

الحالة	ادرار		انجزمير		بودة		تامست		تسايبت		تمنظيط		تيمي		رقان		ز. كنته		سالي		سبع		فنوغيل		المجموع	
	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد
ارث	1,7	6	-	0	1,1	4	0,6	2	-	0	0,6	2	0,3	1	-	0	1,7	6	0,6	2	0,3	1	0,9	3	7,7	27
مستاجر	1,4	5	0,3	1	0,3	1	0,6	2	0,3	1	0,3	1	0,6	2	1,4	5	0,9	3	-		0,3	1	0,3	1	6,6	23
ملك للدولة	0,3	1	-	0	0,3	1	0,3	1	0,3	1	-	0	-	0	0,9	3	0,3	1	0,3	1	0,3	1	-	0	3,1	11
ملكية خاصة	18,6	65	6,6	23	3,4	12	3,7	13	6,3	22	4,3	15	4,9	17	14,9	52	8,6	30	4,9	17	4,9	17	1,7	6	81,7	286
المجموع	22,9	80	6,9	24	5,1	18	5,1	18	6,9	24	5,1	18	5,7	20	17,1	60	11,4	40	5,7	20	5,7	20	2,3	8	100	350

المصدر : التحقيق الميداني 2014

إن أغلبية مساكن الأفراد المحقق معهم هي ملك لأصحابها وهي مقدرة بنسبة 81,7 % تشمل المساكن الموجودة بالقصور و بالتوسعات الحديثة. بينما 7,7 % هي مورثة وتتواجد بالقصبات وكذا بعض الملكيات التي تدخل ضمن أراضي الواحة. بينما نسبة المستأجرين سواء العام أو الخاص فتشكل أقل نسبة 6,6 %. مع العلم ان عملية الاستئجار تنعدم بالنطاق القديم وهذا طبيعي باعتبار ان القصر يفرض نوعاً من الانغلاق على المجتمع البشري به، كما تقل العملية بالمجمعات الثانوية عنها في الرئيسية نظرا لكثافة التجهيزات وزيادة الاستقطاب بهاته الأخيرة.

3-3- طبيعة المساكن الحديثة

أولت الدولة اهتماما كبيرا لجانب السكن فكثفت من برامجها السكنية بصيغ متعددة بأعداد كبيرة. فبالنسبة لمنطقة توات إضافة إلى تدخلات الدولة من خلال برامجها الإسكانية المتعددة، التمسنا فاعلية محلية من اجل استحداث مساكن جديدة خارج القصور والسعي وراء الملكية الخاصة. وقد ميزنا أربع برامج لها؛ فالسكنات الاجتماعية تدخل ضمنها مختلف الصيغ (الوظيفية، والايجابية). في حين شملت التجزئات جميع المساكن في إطار عملية التجزئة الممنوحة من طرف الدولة. إضافة إلى السكن الريفي الذي يعتبر البرنامج الأكثر شمولا وخاصة في الآونة الأخيرة (32000 إعانة خلال الخماسي 2010-2014). وفي الأخير عبرنا عن الساكنات التي توجد ضمن القصور وكذا بالملكيات العرفية أما داخل نطاق الواحة.

اتضح لنا من خلال التحقيق الانتشار الكبير للمساكن في إطار البرامج الإسكانية التي مست المنطقة فلاحظنا تمثل للتجزئات بنسبة 33% معبرة عن مختلف المفزرات التي شهدت أغلب قصور توات وخاصة وأنها جات في وقت كانت ضرورة التوسع وتشجيع البناء الذاتي. ثم نجد ان السكن الاجتماعي بنسبة 20% والذي نجده مقتصر عادة بالمراكز الرئيسية. في حين مثلت برامج السكن الريفي نسبة 12% من مجموع المحقق معهم. فالإعانة في إطار السكن الريفي ساهمت بشكل سريع في التحولات المحلية والمرفولوجية للبنية العمرانية لقصور توات.

الجدول رقم (16): طبيعة المساكن الحديثة حسب البلديات بتوات

المجموع	فنوغيل		سبع		سالي		ز. كنته		رقان		تيمي		تمنظيط		تسابيت		تامست		بودة		انجزمير		ادرار		البرامج	
	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد		
20,1	70	30	6	25	2	5	1	15	6	21,7	13	10	2	11,1	2	8,3	2	22,2	4	16,7	3	12,5	3	32,9	26	سكنات اجتماعية
33,8	118	45	9	50	4	35	7	42,5	17	35,0	21	40	8	22,2	4	33,3	8	22,2	4	61,1	11	20,8	5	25,3	20	تجزنة
19,2	67	10	2	12,5	1	10	2	22,5	9	21,7	13	20	4	11,1	2	29,2	7	27,8	5	16,7	3	25,0	6	16,5	14	ريفي
26,9	95	15	3	12,5	1	50	10	20	8	21,7	13	30	6	55,6	10	29,2	7	27,8	5	5,6	1	41,7	10	25,3	20	أخرى*
100	350	20		8		20		40		60		20		18		24		18		18		24		80		المجموع

المصدر : التحقيق الميداني 2014

* أخرى: المساكن الفردية المبنية ذاتيا، ذات ملكيات عرفية ومتواجدة داخل نطاق القصبات او خارجها.

خلاصة :

إن التغيرات التي مست القصور من حيث مورفولوجيتها طبعها التوسعات الحديثة التي مثلت جميع عمليات التوسع المجالي للبنية العمرانية والتي جُسدت على مساحات خارج نطاق القصر. عرفت اغلب المجمعات بتوات التوسع شرقا باتجاه الطريق الوطني رقم (06) ومنها من تعدته إلى طرفه الشرقي فأصبح الطريق محور رئيسي تتوزع على جانبيه معظم المحلات التجارية وبعض التجهيزات الإدارية والتعليمية وغيرها.

جاءت معظم التوسعات بتدخل من الدولة في إطار المشاريع التنموية والبرامج الإسكانية التي جاءت بعد الاستقلال، التي يغلب عليها طابع التجزئات العقارية. فاحتوت جميع بلديات توات على عدد كبير من التجزئات والتي ساهمت في زيادة الإطار العمراني والمجالي بالقصور بشكل منتظم، إضافة إلى السكنات الاجتماعية ومساكن البناء الريفي. قد تكون هاته السكنات على شكل وحدات سكنية ذات طابع معماري يختلف عن الطابع المميز للقصر ومساحات تضمن تواجد خدمات وتجهيزات متنوعة.

إضافة إلى جملة الميكانيزمات الخارجية التي مثلتها السياسات والمشاريع الموجهة، تولدت كذلك ديناميكية داخلية للمجتمع في المنطقة ارتكزت على المصادر الاقتصادية التي عرفت التوجه في سوق العمل نحو قطاع الخدمات ونحو قطاع الصناعة وبالتالي الاندماج في نشاطات جديدة بالموازاة مع نشاط الفلاحة. ومن ثم اعتماد موارد اقتصادية جديدة للدخل تتيح للسكان فرص تغيير مساكنهم وتوسيعها بحسب ما تقتضيه الحياة العصرية.

الفصل الرابع:

البنية الاقتصادية بتوات: تحول
وتباين وظيفي

الفصل الرابع : البنية الاقتصادية بتوات: تحول وتباين وظيفي

مُقَدِّمَةٌ:

عُرف التواقي باشتغاله بالزراعة كنشاط أساسي عبر العصور السالفة من خلال الواحة التي كانت تعد مصدر قوت السكان، ومعيار استمرار لبقائهم. ذلك لتوفر عنصر الماء وخاصة في بيئة قاسية يطبعها الجفاف الدائم. كما بحث لنفسه على أسواق لترويج منتوجاته وذلك من خلال تجارة القوافل وكذا التبادلات القصورية لكن ومع مرور الزمن طور الإنسان ذلك النشاط من حيث وسائله وكذا في حجم وطبيعة الاستغلال، بل تعداه إلى خلق نشاطات أخرى دعت ضرورة الحياة لها كتولد نشاط صناعي. وبالرجوع إلى مختلف التحولات التي شهدتها إقليم توات الاجتماعية منها والاقتصادية والوظيفية لوجدنا أنها نتاج سياسات وديناميكيات متعددة جاءت بتدخل الدولة بعد الاستقلال من اجل ادراج المنطقة ضمن المسار الوطني العام افرزت ميكانيزمات جديدة من خلال سلسلة الخدمات والتجهيزات التي دعمت بها المجمعات القصورية وكذا تولد نشاط صناعي وانشاء مناطق لتجسيده واطافة الى التوسع الزراعي بفعل عمليات الاستصلاح الزراعي.

1- معايير النشاط الاقتصادي:

يمكن تسليط الضوء على النشاط الاقتصادي بتوات من خلال معرفة مختلف القطاعات الاقتصادية الفاعلة في هذا الإقليم وكذا بدراسة التركيب الاقتصادي للسكان وهذا يأتي بعد تحليل وتوضيح مؤشرات تمثلت في؛ القوة النشطة، المشتغلين ومعدلات البطالة. مؤشرات يمكن من خلالها الكشف عن طبيعة النشاط الاقتصادي لكل بلدية والتحول الحاصل خصوصا ..

1-1- قوة نشطة بتوات في ارتفاع مستمر بجميع البلديات

من خلال التعدادات السكانية المختلفة نجد أن مجال الدراسة عرف تطورا في حجم القوة النشطة، إذ قدرت حسب تعداد 1966 بـ 15597 نسمة. اي ما نسبته 28,4 % من إجمالي سكان الإقليم. وعرفت هذه القوة ارتفاعا كبيرا بعد إحصاء 1987 فبلغت 27758 نسمة اي ما نسبته 25,3 % من إجمالي سكان الاقليم البالغ 109705 نسمة، لترتفع حسب التعداد الأخير لتصل 52836 نسمة اي ما يعادل 26,2 % من إجمالي سكان الإقليم 201855 نسمة.

أما على مستوى بلديات الإقليم فقد سجلت كلها ارتفاعا في حجم القوة النشطة عبر مختلف الفترات التعدادية وهذا دليل على الطاقة البشرية المؤهلة لإحداث نشاط اقتصادي أقوى ارتكازا ومن ثم إحداث التنمية الشاملة والمجالية.

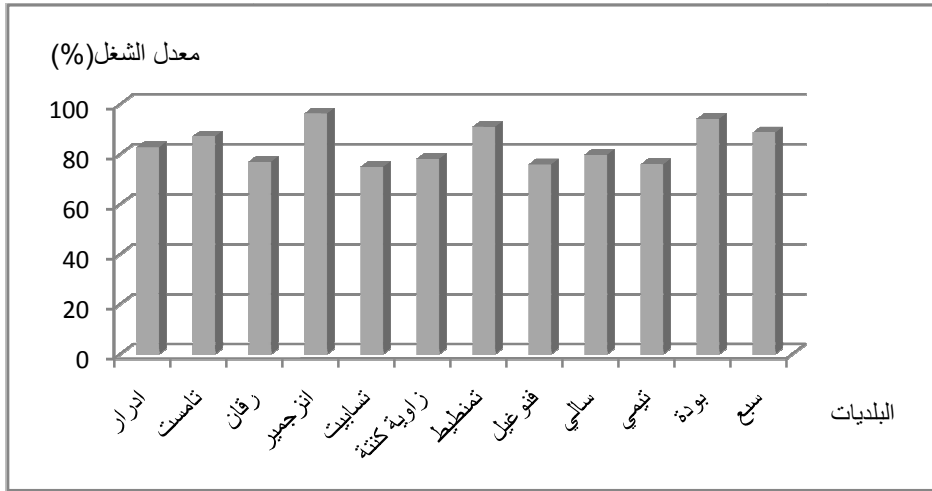
الجدول رقم (17) : تطور القوة النشطة بإقليم توات

2008		1998		1987		1977		1966		
%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	
26,2	52836	-	-	25,3	27758	20,2	13431	28,4	15597	السكان النشطين
100	201855	100	156975	100	109705	100	66400	100	55000	مجموع السكان

المصدر: الديوان الوطني للإحصائيات (ONS)

1-2- المشتغلون بتوات: قوة بشرية واقتصادية جادة

يكمن الهدف من دراسة حجم المشتغلين او معدلهم في معرفة وضعية التشغيل وسوق العمل، باعتباره مؤشر مهم لتوضيح وتيرة الانتاج والتنمية المحلية وكذا مستويات البطالة لا سيما بمجال صحراوي يفتقر لأهم البنى الاقتصادية رغم كل ما استحدثت من تركيزات صناعية وتوسيع للنشاط الزراعي بالإضافة إلى تدعيم مختلف التجهيزات والخدمات. كما يمكننا من إدراك مختلف التحولات الاجتماعية و الاقتصادية التي مست مجال الدراسة من خلال فئة القوة العاملة في كل القطاعات الاقتصادية من خلال معدل الشغل الذي يعتبر من المعايير الهامة في تحليل المظهر الاقتصادي لكل بلدية. فاعتمادا على نتائج التعداد السكاني لعام 2008. فان معدل الشغل في إقليم توات بلغ 80.94 % وهو ما يعدل 82368 عامل يتوزعون على مجمل القطاعات و بنسب مختلفة (الجدول رقم 17).



الشكل رقم (8): معدل الشغل بتوات 2008

كما يتضح لنا من التمثيل البياني أن معدلات الشغل مرتفعة بشكل عام في بلديات الإقليم حيث انحصرت بين (74% - 96%)، معدلات هامة جدا ويرجع ذلك إلى ارتفاع نسب الفلاحين نظرا لطبيعة المنطقة الريفية التي تعتمد الزراعة كنشاط أول بالنسبة للفلاحين وكنشاط ثاني بالنسبة لأغلب الشغليين بالقطاعات الأخرى. في حين هناك تباين طفيفا في توزيعه الجغرافي إذ نجد معدلات الشغل المرتفعة في البلديات: الجزمير، بودة، تمنطيط. معدلاتها على التوالي 96,32%، 94,17% و 91% . وهي معدلات كبيرة مقارنة بمعدل الشغل بالنسبة لإقليم توات البالغ 77,1% وكذا مقارنة بالمعدل الولائي البالغ 80,94%. أما أدنى معدلات للشغل فسجلت بالبلديات: تيمي، تساييت، فنوغيل. بمعدلات تقدر بـ 74.95%، 75.92%، 75.98% على الترتيب. وهي معدلات تعتبر قريبة من المعدل الإجمالي للإقليم وضعيفة مقارنة بالمعدل الولائي. أما بقية البلديات فمعدلات التشغيل بها تتراوح ما بين 76% و 95% وهي عموما مقارنة للمعدل الولائي.

معدلات الشغل المرتفعة بالبلديات أو على مستوى الإقليم لا تعكس فاعلية تلك القوة النشطة الكبيرة وخصوصا وان المنطقة تعرف الاعتماد الواسع للنشاط الزراعي وتمثله كواجب عائلي وكنشاط ثانوي. لهذا تقتضي الضرورة معرفة معدل البطالة وأثره في نسب الأعداد النشطة بالإقليم.

الجدول رقم (18): توزيع معدلات الشغل والبطالة عبر بلديات إقليم توات 2008

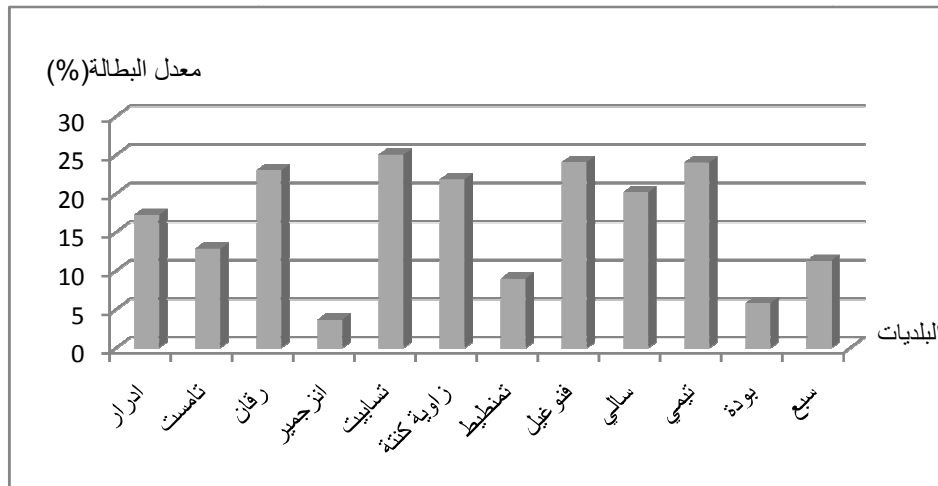
الرقم	البلديات	السكان النشيطين	السكان الشغليين (ن)	السكان البطالين (ن)	معدل الشغل %	معدل البطالة %
1	ادرار	19327	12 091	2 518	82,76	17,24
2	تامست	1996	1 701	251	87,14	12,86
3	رقان	5256	3 883	1 161	76,98	23,02
4	انزجمير	3841	4 003	153	96,32	3,68
5	تسابيت	3627	2 956	988	74,95	25,05
6	زاوية كنتنة	3918	3 450	964	78,16	21,84
7	تمنظيط	2482	2 266	224	91,00	9,00
8	فنوغيل	3052	2 156	684	75,92	24,08
9	سالي	3100	2 636	666	79,83	20,17
10	تيمي	3459	2 610	825	75,98	24,02
10	بودة	2182	2 453	152	94,17	5,83
12	سبع	596	541	69	88,69	11,31
	المجموع	52836	82 368	19 390	77,1	16,4

المصدر : الديوان الوطني للإحصائيات(ONS 2008)

3-1- معدل البطالة بتوات

يعتبر معدل البطالة إحدى المعايير المستخدمة في التنظيم المحلي بهدف إزالة الفوارق المحلية وتحقيق تنمية محلية. وتزداد الأهمية عندما يتعلق الأمر ببلديات توات، الإقليم الذي يعتبر الحلقة الأهم ضمن الشبكة العمرانية لولاية ادرار. اعتمدنا في دراسة معدل البطالة على معطيات التعداد الأخير 2008 اذ قدر معدل البطالة بمجال الدراسة بـ 16,4 % وهو ادنى من المعدل الولائي المقدر بـ 19,06 % اما على مستوى البلديات فسجلنا تباينا في المعدلات المسجلة بها:

فوجد بلديات لم يتعدى بها المعدل 10% ونعني بذلك بلديات: انزجمير، بودة، تمنظيط وهي معدلات منخفضة مقارنة بمعدل الاقليم و بالمعدل الولائي 19,6%. في حين نجد أن هناك بلديات تنحصر معدلاتها ما بين 11% و 20 % وهي بلديات: سالي، تامست، ادرار، سبع. وتعتبر معدلاتها قريبة من المعدل الولائي. بينما تبقى البلديات التي تفوق معدلات البطالة بها المعدل الولائي وتتمثل في بلديات: تسابيت، فنوغيل، تيمي، رقان. اذ يتراوح المعدل بها بين 20 % و 26 %.



الشكل رقم (9): توزيع معدلات البطالة بتوات 2008

1-4- تطور توزيع مشغلي القطاعات الاقتصادية بتوات

من خلال تحليل توزيع المشغلين حسب القطاعات (فلاحة، صناعة، أشغال عمومية، خدمات) يمكن استنتاج النشاط السائد بكل بلدية وبالتالي التخصص الاقتصادي لها. واعتمادا على تتبع تطور توزيع المشغلين حسب فترات لتعداد المختلفة (66-77-87-98). تمكنا من استخلاص أن الإقليم وخلال فترة 32 سنة عرف تحول اقتصادي كبير وبشكل عام. وقد مس هذا التحول معظم بلديات الإقليم فلاحظنا ما يلي:

توزيع المشغلين حسب القطاعات الاقتصادية لتعداد 1966، اذ تمكنا من استخلاص بان الإقليم عرف معدلات كبيرة للمشتغلين بالزراعة بلغت 70,9% ثم تليها معدلات الأشغال العمومية وقطاع الخدمات ثانيا ونجد معدلات قطاع الصناعة تكاد تنعدم لا تتعدى 2% (الجدول رقم 20). ويعود هذا التوزيع الملاحظ في طبيعة المشغلين إلى كون منطقة توات اعتمدت النشاط الزراعي كنشاط أساسي في الماضي من خلال الواحة واتسع نطاق النشاط كذلك من خلال الاستغلال الحديث في إطار سياسة الاستصلاح الزراعي. بينما تمثل قطاع الخدمات في المرتبة الثانية نتيجة سلسلة التجهيزات والخدمات التي تدعمت بها البلديات خاصة بعد مختلف التقسيمات الإدارية الحاصلة. بينما بقي قطاع الصناعة أخيرا لانعدام الورشات الصناعية وانعدامها بالولاية باستثناء بعض الورشات بالمنطقة الصناعية بادرار و مجمع سبع للصناعات البترولية.. الخ.

الجدول رقم (19): تطور المشتغلين حسب القطاعات الاقتصادية بتوات (66-98)

القطاع	الزراعة		الصناعة		البناء والأشغال العمومية		الإدارة والخدمات	
	العدد	النسبة(%)	العدد	النسبة(%)	العدد	النسبة(%)	العدد	النسبة(%)
1966	9132	70,9	201	1,6	1969	15,3	1574	14,1
1977	4814	78,1	482	7,8	0	0	870	42,7
1987	8453	36,3	576	2,5	4300	18,5	9946	42,7
1998	4080	20,2	17006				84,01	

المصدر: الديوان الوطني للإحصاء (دفتر المقاطعات 66، 77، 87، 98)

والملاحظ في سنة 1987 تناقص معدلات المشتغلين بقطاع الزراعة تراجع المعدل الى 36,3 % وفي نفس الوقت عرفت القطاعات الأخرى الزيادة في النسب فبلغ معدل المشتغلين بقطاع الخدمات 42,7 % من مجموع المشتغلين لنفس السنة، هاته الزيادة مست كذلك قطاعات البناء والأشغال العمومية وكذا قطاع الصناعة بعد ان عرفا القطاعين بعض الاهتمام من خلال خلق ورشات صناعية وزيادة عدد ورشات أشغال البناء.

2- تحول في المهن بتوات حتمية فرضها تواجد قطاعات أخرى إلى جانب الفلاحة

إن التحول الاجتماعي والاقتصادي الحاصل بالمجمعات التواتية مرهون بما يحدث من تغيرات في التطورات الوظيفية و الإدارية التي تعرفها تلك المجمعات سيما وان اغلب الساكنة يعيشون الآن في أوساط ريفية. فالاستحداثات في البنى الاقتصادية هي المنطلق الرئيسي للتغير والتحول في التركيبة المهنية لسكان القصور. والتي بدورها عرفت تدرجات من خلال التنظيمات الإدارية وما أعقبها من مجموع التجهيزات والمرافق الخدماتية التي دعمت بها المراكز خصوصا و مختلف السياسات التنموية التي مست القصور عموما.

1-2- عمل مأجور ومصادر اقتصادية جديدة

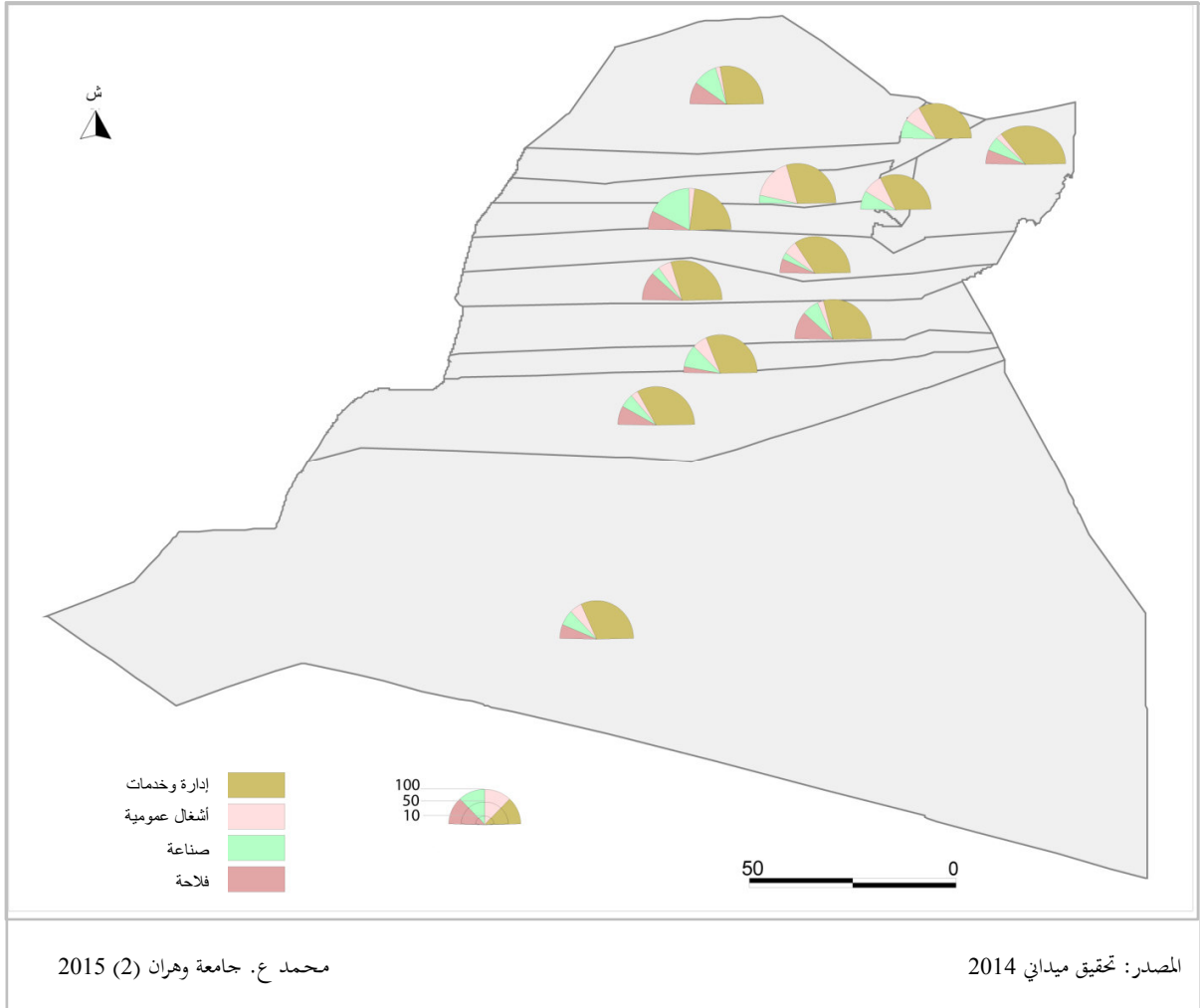
فالقصورى امتهن الزراعة كنشاط سام في فضاء الواحة- القصر وبرزت تماثلاته من خلال التراتبية الاجتماعية في غياب أنشطة بديلة. كما أن ذاك النشاط الوحيد لم يحقق العوائد الاقتصادية، بعد الاستقلال أخذت البنية الاقتصادية لتلك المجمعات تتغير وبدأت ملامح المراكز تظهر بعد

الترقيات الإدارية وتوجهها إلى وظائف اقتصادية اخرى (خدمات، صناعة، أشغال عمومية،....) ذات طابع حضري مع نشوء علاقات تبادلية وحركية مجالية ساهمت فيها شبكة النقل و الطرق مما أدى إلى تغير قاعدتها الاقتصادية وهذا ما تأكد من خلال نتائج التحقيق الميداني. اذ عرفت المنطقة تولد أنشطة خدماتية ووظائف ادارية خاصة بالمراكز العمرانية.

الجدول رقم (20): مهن أرباب الأسر حسب بلديات إقليم توات

المهنة	ادرار		انجزمير		بودة		تامست		تسابيت		تمنطيط		تيمي		رقان		ز. كنته		سالي		سبع		فنوغيل		المجموع		
	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	
ادارة وخدمات	52,5	42	54,2	13	55,6	10	55,6	10	45,8	11	66,7	12	45	9	55	33	55	22	60	12	50	4	55	11	189	54	
بناء واشغال عمومية	15	12	12,5	3	33,3	6	11,1	2	4,2	1	5,6	1	5	1	10,0	6	5,0	2	5,0	1	12,5	1	10,0	2	38	10,9	
صناعة وحر ف	13,8	11	16,7	4	5,6	1	5,6	1	16,7	4	11,1	2	35	7	11,7	7	12,5	5	10,0	2	12,5	1	5,0	1	46	13,1	
فلاحة	0	0	4,2	1	0	0	22,2	4	16,7	4	11,1	2	15	3	10,0	6	22,5	9	15,0	3	0	0	10	2	34	9,7	
بدون عمل	16,3	13	12,5	3	5,6	1	5,6	1	12,5	3	5,6	1	0	0	11,7	7	2,5	1	10,0	2	12,5	1	0	0	33	9,4	
متقاعد	2,5	2	0		0	0	0	0	4,2	1	0	0	0	0	1,7	1	2,5	1	0	0	12,5	1	4	20	10	2,9	
المجموع	80		24		18		18		24		18		20		60		40		20		8		20		350	100	

المصدر : التحقيق الميداني 2014



الخريطة رقم (11): مهن أرباب الأسر حسب بلديات إقليم توات

تمثل قطاع الخدمات بحوالي 54 % من مجموع السكان الشغليين المحقق معهم حسب بلديات توات وبهذا يحتل القطاع الصدارة بين القطاعات الأخرى حيث سجلت أكبر النسب بجميع البلديات بعد تدعيمها بمختلف الخدمات الإدارية والتعليمية وغيرها من التجهيزات الخدمائية. كما لاحظنا بروز قطاع البناء والأشغال العمومية الذي ارتبط بمجمل عمليات التنمية وسياسات الدولة التي دعمت بناء المساكن وإنشاء المرافق والتجهيزات المختلفة حيث قدرت أكبر نسبة في هذا القطاع ببلدية بودة بـ 33 % لأن معظم المشتغلين بقطاع البناء والمقاولات يعملون على مستوى

مدينة ادرار وهذا نظرا لقرب البلدية من مقر الولاية، ثم تتالى النسب محصورة بين 4 و 15 % في باقي البلديات. أما عن الصناعة فقد عرف القطاع انتعاشا في نهاية التسعينات خاصة بعد إنشاء المناطق الصناعية سواء محليا (المنطقة الصناعية بادرار، مجمع سبع للمحروقات) أو المناطق الصناعية للمحروقات في الجنوب (حاسي مسعود، عين امناس وغيرهما). كما تشير نتائج التحقيق أن نسب المشغلين في هذه القطاع متقاربة انحصرت بين 5 و 16 % وبرزت بلدية تيمي ب 35 % من مجموع المشغلين لإقليم توات بقطاع الصناعة والحرف وهذا لتركز بعض الوحدات الصناعية بها (مصنع المكيفات ، الشركة الوطنية لتوزيع الاسمنت).

وفي الأخير فان قطاع الفلاحة في تراجع دائم، بعد ما كان في فترات يعد الأهم والوظيفة الأساسية، فلم تتعدى نسبة المشغلين بهذا القطاع 10 %. كما تمثلت بلديتا زاوية كتنه وتامست بنسب 22,2 و 22,5 % على التوالي كنسب كبيرة للمشتغلين بقطاع الفلاحة إذ تبين لنا من خلال التحقيق إن اغلبهم ينشطون بمحيطات الاستصلاح الزراعي بغض النظر عن النشاط بالوحدات التقليدية.

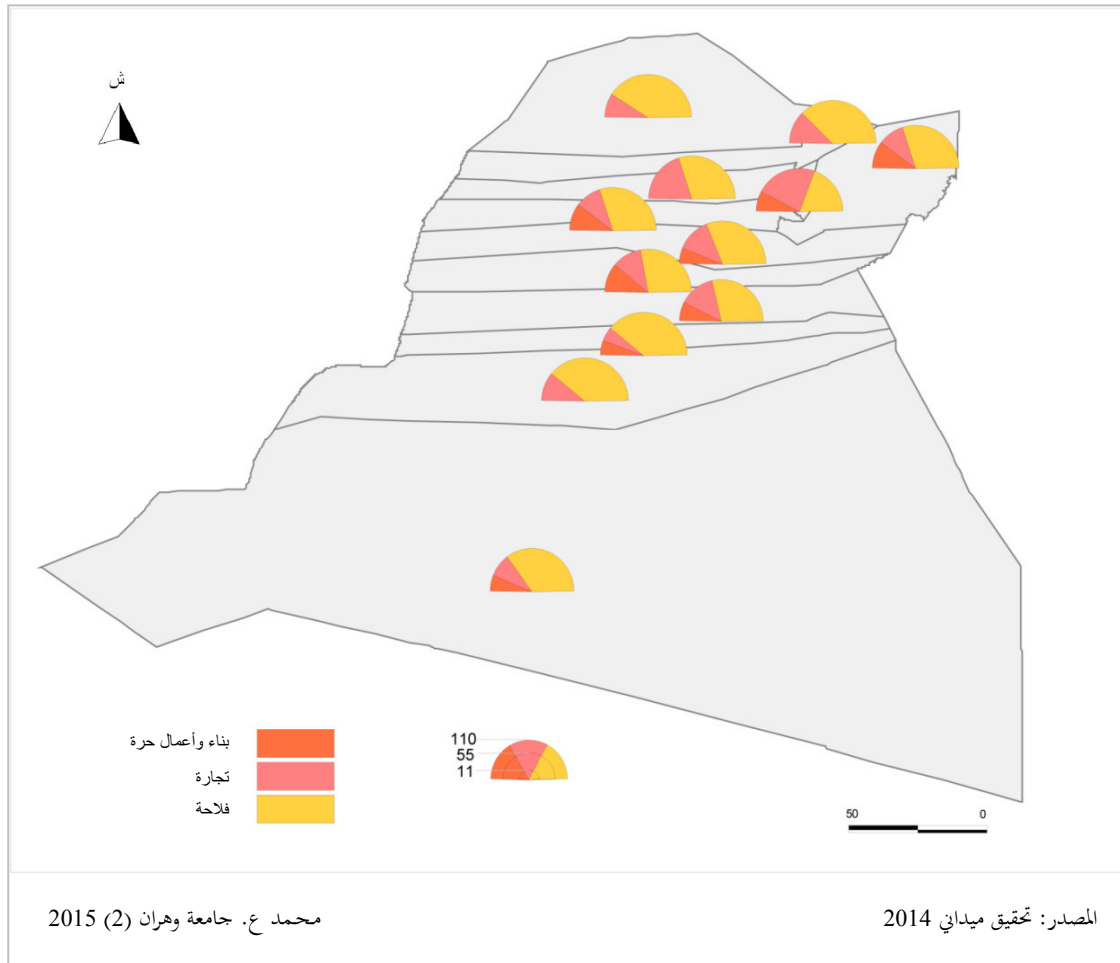
2-2- الفلاحة من نشاط رئيسي إلى نشاط ثانوي وممارسات عائلية

ترك الفلاحة والتوجه نحو القطاعات الأخرى من صناعة وخدمات وأشغال عمومية، يعتبر تحولا جليا في البنية المهنية في توات باعتبارها منطقة كانت فيها الفلاحة هي الوظيفة السائدة. وفيما يلي يوضح الجدول رقم (21) المهن الثانوية لأرباب الأسر المحقق معهم.

الجدول رقم (21): المهن الثانوية حسب بلديات إقليم توات

المهنة	الدرار		انجزمير		بودة		تامست		تسابيت		تمنطيط		تيمي		رقان		ز.كنته		سالي		سبع		فنوغيل	
	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد
بناء واعمال حرة	15,4	2	11,1	1	0	0	22,2	2	0	0	14,3	1	20,0	2	11,8	2	14,3	2	0	0	0	0	12,5	1
تجارة	46,2	6	11,1	1	40,0	2	22,2	2	18,2	2	0	0	20,0	2	17,6	3	28,6	4	22,2	2	25,0	1	25,0	2
فلاحة	38,5	5	77,8	7	60,0	3	55,6	5	81,8	9	85,7	6	60,0	6	70,6	12	57,1	8	77,8	7	75,0	3	62,5	5
المجموع	100	13	100	9	100	5	100	9	100	11	100	7	100	10	100	17	100	14	100	9	100	4	100	8
النسبة من المجموع	16,3	80	37,5	24	27,8	18	50,0	18	45,8	24	38,9	18	50,0	20	28,3	60	35,0	40	47,4	24	50,0	8	40,0	20

المصدر : التحقيق الميداني 2014



الخريطة رقم (12): المهن الثانوية حسب بلديات إقليم توات

تمثلت المهن الثانوية في قطاعات؛ البناء و الأعمال الحرة، التجارة والفلاحة. هاته الأخيرة برزت بنسب كبيرة بجميع البلديات بمتوسط بلغ 66,8 % ويوحى ذلك إلى طبيعة النشاط الذي كان في السابق يعد رئيسيا ليصبح ثانويا يمارس بعد انتهاء العمل في القطاعات الأخرى أو في العطل أو نهاية الأسبوع ويشمل النشاط بالجنانات (النطاق التقليدي) أو بنطاق الاستصلاح، إذ يتمثل النشاط كواجب عائلي لدى البعض أو كممارسات اعتيادية يقوم بها كل أفراد العائلة. كما لا يستثنى النسوة كذلك؛ إذ يشاركن في العمل الفلاحي بالمنطقة بشكل دائم وخاصة في الواحة وفي قطاع الاستصلاح الصغير، وهذا راجع لطبيعة النشاط الزراعي في المنطقة والذي يقتضي خدمة الأرض في إطار عائلي منسق وينحصر عملهن في الجني والحصاد وكذا الاهتمام بالحيوانات.

كما لاحظنا وجودهن بقطاع الاستصلاح الكبير، حيث تشتغلن مقابل اجر زهيد، ويقمن بأشغال عديدة نذكر منها جني المحصول وكذا نزع الأعشاب.



الصورة رقم (19):

مشاركة المرأة في

النشاط الفلاحي

بالمنطقة 2015

الصورة رقم (20):

فلاح يقوم بعمله

اليومي (سقي

المزروعات) بالواحة

2015



3- توات منطقة فلاحية: استغلال زراعي تقليدي وحديث

لقد تجسد الاستغلال الزراعي في إقليم توات بصورتيه التقليدية والحديثة، والتي اختلفت فيهما طرق الاستغلال وكذا الوسائل المستعملة إضافة إلى التقنيات المتبعة في السقي. والمميز للواحات هو اعتمادها على الفقارة كمصدر لمياه السقي والمساحة الضيقة، حيث بلغت المساحة الزراعية المستغلة بها حوالي 9512 هكتار وهي تمثل نسبة 41.02 % من إجمالي المساحة الزراعية المستغلة بالإقليم. ولقد تلخصت أهم المشاكل التي تعاني منها الواحة والتي ادت إلى التقلص المستمر للأراضي الزراعية بها؛ من ترميل وكذا نقص مياه الفقاقير وهجرة لليد العاملة الفلاحية.

الجدول رقم (22): التوزيع العام للأراضي الزراعية المستغلة بتوات

المساحة الكلية (هكتار)		الاستصلاح الكبير (هكتار)		الاستصلاح الصغير (هكتار)		القطاع التقليدي (هكتار)		
23186	%100	9993.6	% 43.10	3680.4	% 15.8	9512	% 41.02	اقليم توات
35806		13817.7		5378.3		16610		مجموع الولاية

المصدر : مديرية الفلاحة لولاية ادرار 2014

أما عن الاستصلاح فقد تمثل بفرعيه الصغير والكبير وشمل 61 مخططا صغيرا بمساحة استغلال قدرت بـ 3680.4 هكتار ما نسبته 15.8% و 7 مخططات للاستصلاح الكبير إذ بلغت المساحة المستغلة 9993.6 هكتار ما نسبته 43.10% من إجمالي المساحة الزراعية المستغلة بتوات.

3-1- الواحات مكون أساسي للشبكة العمرانية التواتية

القطاع التقليدي بالمنطقة ممثل في مجموعة من الواحات الواقعة بمحاذاة القصور والمنتشرة بشكل طولي من الشمال إلى الجنوب على طول الطريق الوطني رقم (06) الرابط بين ادرار ورقان بالجهة الغربية للطريق، والشيء الجالب للنظر هو أن القصر والواحة يشكلان تلازما، فالمنطقة لا تخلو من قصر دون واحة، أو واحة دون قصر.

إن الواحات التقليدية في الواقع هي مكاسب عائلية، تتوزع على شكل حقول صغيرة (الجنانات)¹ والتي تتميز بوجود إنتاج فلاح يغلّب عليه محصول التمور إلى جانب بعض المحاصيل الأخرى. تكون هاته البساتين بمحاذاة القصور حيث أن الواحة عادة تأخذ اسم القصر.

¹ - جمع الجنان: البستان - القطعة الفلاحية بالواحة

الصورة رقم (21): جنان
مستغل بواحة تمنطيط
2015



الصورة رقم(22):
تدهور الواحة.
تمنطيط 2015

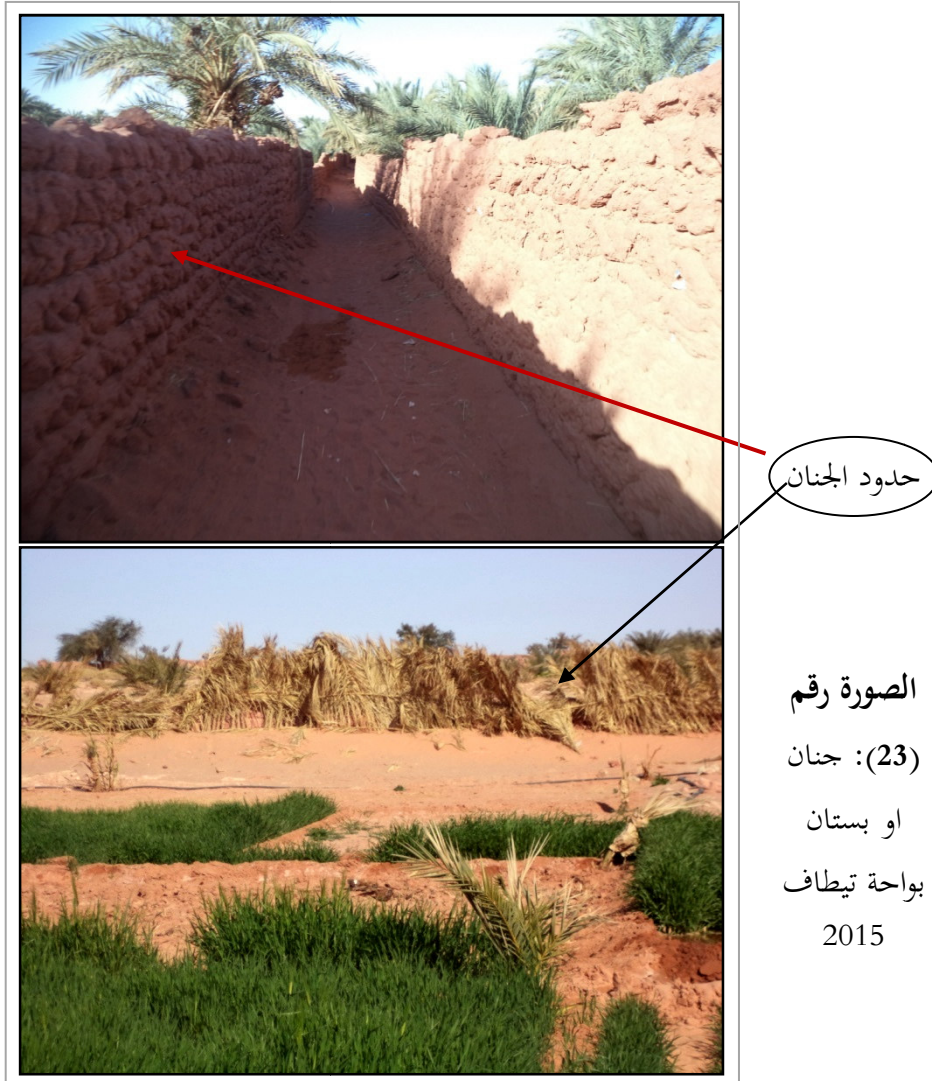
تجمع الواحة في القطاع الفلاحي التقليدي قسمين أحدهما مسقي والأخر بور. يكون الجزء المسقي منتشراً على مساحات كبيرة حول الينابيع من المياه حيث أن المزروعات البينية والنخيل تكون مسقية بواسطة مياه الفقاقير أو الآبار. تجدر الإشارة إلى أن مساحة الواحة المسقية في تقلص دائم وهذا راجع لسببين رئيسيين؛ أولهما نقص مستوى منسوب مياه الفقاقير باعتبارها المصدر الرئيسي لمياه السقي، وثانيهما تراكم الرمال حول الواحات نتيجة الزوابع الرملية، حيث أن هذا العامل الأخير يسبب مشكل في عملية السقي إذ يعمل على تعطيل سير المياه عبر نظام السقي المستعمل (الغمر) إضافة إلى إتلاف التربة وعدم صلاحيتها للإنتاج بسبب تواجد كميات كبيرة من الرمل بها. إضافة العوامل الاجتماعية و الاقتصادية والتي تلخصت في التحول الكبير الذي عرفه النشاط الاقتصادي بالتخلي عن الفلاحة والتوجه نحو القطاعات الأخرى الأوفر دخلاً و أقل جهداً وبالتالي عزوف اليد العاملة التواتية عن النشاط الأول (الحراثين). ضف إلى ذلك عوامل التحضر التي عرفتها المنطقة وما أفرزته من توسع للعمران على حساب أراضي الواحة (واحات بلدية ادار).

بينما ينحصر البور في نخيل في مساحات خالية ويظهر عندما تنعدم وتضمحل مصادر المياه وتزحف الرمال على النخيل؛ ينجم عن ذلك صعوبة في استغلال هاته الأراضي وصيانة النخيل مما يتسبب في تصحر الواحة بالكثبان الرملية فتصبح مهجورة تتحول بذلك إلى واحات بور.

تحتوي منطقة الدراسة المتمثلة في إقليم توات على 243479.05 هكتار كمساحة إجمالية لمجموع مساحات واحات قصورها 145، حيث تكون كل واحة محادية لكل قصر وتكون عادة بالجهة الغربية محصورة بين القصر من الشمال و السبخة من الغرب، ترسم التركيبة (قصر-واحة-سبخة) معالم شبكة عمرانية فريدة بتوات.

تختلف هاته الواحات من حيث الحجم وهذا راجع لتمرکز السكان في كل قصر. فشمل الاستغلال بالمنطقة مساحة قدرت بـ 9512 هكتار أي ما يعادل 41.02 % من المساحة الزراعية بينما النسبة المتبقية (66 %) فتدخل في نطاق أراضي بور.

يتم الاستغلال الواسع في مساحات ضيقة على شكل قطع حسب الملكيات العرفية للأراضي الزراعية في القطاع التقليدي أو البساتين والتي تعرضت للتقسيم والتجزئة وبالتالي التحول إلى ملكيات صغيرة وهذا يحدث بعد وفاة المالك واقتسام الأرض بين الورثة. كما تضبط حدود كل بستان بحدود طينية من التراب وكذا بحدود فاصلة بأوراق أشجار النخيل (أفراق). الصورة رقم (23).



3-1-1. طرق استغلال الأرض في الواحة بتوات:

عرفت طرق استغلال الجنانات بتوات تنوعا بين المباشرة و غير المباشرة فبالرجوع إلى التقسيمات الاجتماعية التي طبعت مجتمع الواحات قديما و التي صنفت الأفراد اجتماعيا ووظيفيا. فظهر من خلالها نفوذ امتلاك الأراضي الفلاحية و كذا اليد العاملة بها، فنخص الامتلاك

(للشرفاء والمرابطين) و الاستغلال للحراثين¹. وفيما يلي نستعرض ابرز طرق استغلال ارض الواحة بمنطقة توات خصوصا و بواحات ادرار بشكل عام.

أ. الاستغلال المباشر:

وهذا يعني أن المزارع يتولى شخصا استغلال أرضه بالاعتماد على المساعدات العائلية. كما نسجل مشاركة المرأة في العمل اليومي إذ تقوم بعدة أشغال تنصدرها الاعتناء بالماشية وكذا القيام بالحصاد والدرس وغيرها.

ب. بالخماسة :

في هذه الطريقة يتخلى المالك عن استغلال أرضه إلى مزارع آخر بحيث يضمن هذا الأخير مختلف الأعمال الزراعية والحفاظ على المزرعة وبالمقابل يأخذ (5/1) المحصول ويتخلى عن الباقي لصاحب الملكية.

ج. بالخراسة :

وهي وضعية أحسن مقارنة بالخماسة للخراس حيث إن هذا الأخير له الحق فيما يقارب النصف من المحصول مقابل خدمة الأرض أو مقابل مبلغ مالي يدفعه له المالك العقاري. ويعتبر الاستغلال بالخماسة والخراسة الأكثر انتشار في المنطقة وهذا منذ القدم، في حين سجلنا انحصار هاته الطرق بواحات توات إن لم نقل انعدامها. فكانت تضمن هاته الطرق من الاستغلال غير المباشر الكسب لجميع طبقات المجتمع التواتي المعروفة قديما وهي الشرفاء، المرابطين، الأحرار و الحراثين.

¹ - حسب التقسيمات المعروفة بالمنطقة: الشرفاء، المرابطين، الاحرار والحراثين

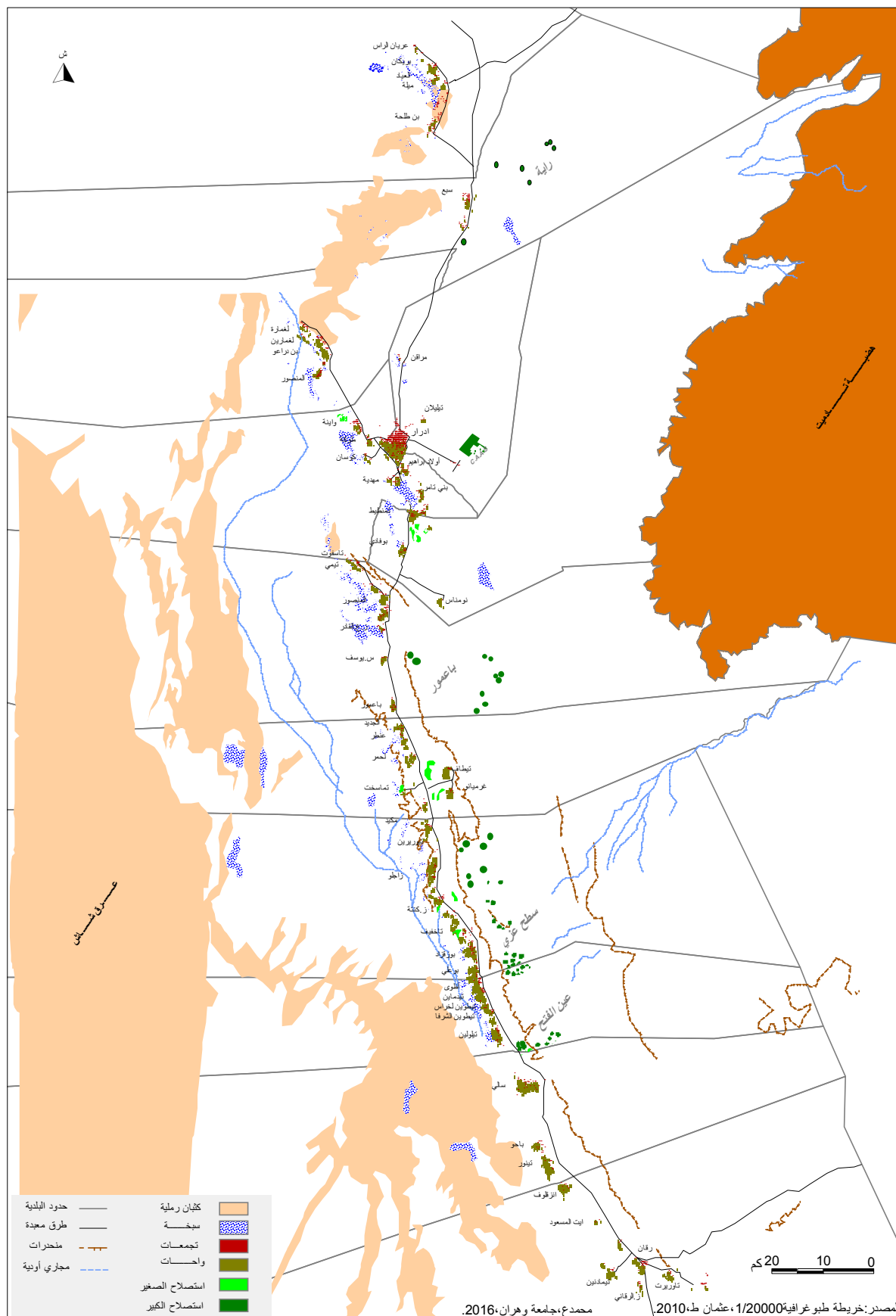
3-2- الاستصلاح الصغير إضعاف لإحدى مقومات الشبكة العمرانية التواتية

بلغت المساحة الإجمالية المخصصة للاستصلاح الصغير بالمنطقة حوالي 15888.1 هكتار وبمساحة مستغلة وصلت 3680.4 هكتار. ولقد توزعت محيطات الاستصلاح الصغير بجميع بلديات إقليم توات و تمثلت بنسبة قدرت بـ 58% من إجمالي عدد المحيطات بالولاية. كما توزعت محيطات البلدية الواحدة داخل مجالها بشكل يقودنا إلى القول بان لكل قصر محيطه الخاص به. حيث بلغ عددها بالمنطقة 61 محيطاً، إذ تتوضع اغلبها بالقرب من الطريق الوطني رقم (06) وقريبة من الأحياء. اعتمد الاستغلال في هذه المحيطات على الآبار كمصدر لمياه السقي. كما عرفت التوسع في الاستغلال وبالتالي مردودية عالية ونتاج أكبر للمحاصيل عكس ما عرف عنه بالواحة؛ من الاعتماد على الفقارة والاستغلال في مساحات ضيقة (الزراعة البينية). وبالتالي عرف النظام التقليدي تقلصاً كبيراً بعد هجرة اليد العاملة و تردي منسوب مياه الفقاقير وضمحلل العديد منها لعدم توفر الصيانة والمتابعة الدائمة واللجوء إلى المصادر الجديدة (الآبار). فعملت السياسات الفلاحية على تفكيك البنيات الزراعية المهشة بعد توزيع العقار في إطار الاستصلاح الزراعي فاستفادت منه فئة الحراثين التي لم تكن تملك أراضي بالواحة مما أدى باعتبارها اليد العاملة المؤهلة للاستغلال الزراعي وصيانة الفقاقير.

الجدول رقم (23): توزيع أراضي الاستصلاح الصغير بتوات

عدد المحيطات	المساحة الممنوحة (هكتار)	المساحة المستغلة (هكتار)	
3	4750	764.7	ادرار
1	971	122.6	بودة
3	720.6	560.1	تيمي
11	612.3	215.7	فنوغيل
8	1107.1	215.1	تامست
3	327	148.7	تمنيط
7	271	193	زاوية كنته
2	327	142	انجزمير
9	826.1	274.6	رقان
3	3145	200.9	سالي
7	1493	230.3	تسابيت
4	1338	612.7	سبع
61	15888.1	3680.4	مجموع الإقليم
105	28145.1	5378.3	مجموع الولاية

المصدر: مديرية الفلاحة لولاية ادرار + عثمان. ط 2010



الخريطة رقم (13): توزيع محطات الاستصلاح الزراعي بتوات

3-3- الاستصلاح الكبير:

يكتسي الاستصلاح الكبير نموذج التوسع في الاستغلال المعتمد أساسا على الحبوب والنخيل كمحاصيل إستراتيجية. ولقد تجسد الاستصلاح الكبير أو التعاونيات بمنطقة توات من خلال 7 محيطات من أصل 9 محيطات بالولاية. تصل المساحة المخصصة له بحوالي 255420 هكتار وبلغت المساحة الممنوحة 48802 هكتار، حيث استغل منها حوالي 9993.6 هكتار و هي ما تمثل الـ 20.5 % من المساحة الممنوحة وهذا يعني انها نسبة ضعيفة جدا.

الجدول رقم (24): توزيع أراضي الاستصلاح الكبير بتوات

عدد المحيطات	المساحة الاجمالية (هكتار)	المساحة الممنوحة (هكتار)	المساحة المستغلة (هكتار)
ادرار	2	37740	536.3
تيمي	1	250	0
فنوغيل	1	21604	1821.3
تامست		20000	235.9
زاوية كنته	1	129626	3169
انجزمير	1	14706	1693
تسابيت	1	31494	772
سبع			7559
مجموع الإقليم	7	255420	9993.6
مجموع الولاية	9	279050	13817.7

المصدر: مديرية الفلاحة لولاية ادرار + عثمان. ط 2010

فمن خلال الجدول رقم (25) يتبين أن اغلب عمليات الاستصلاح في إطار المستثمرات الكبرى تجسدت في إقليم توات مقارنة بباقي أقاليم الولاية؛ فورا (محيط واحد بزواية سيدي ع الله 1 و2)، تيديكلت (محيط واحد باولف 1 و2). كما ان حجم الاستغلال لم يرقى إلى درجة كبيرة في جميع محيطات الاستصلاح الكبير؛ ويعود ذلك إلى المشاكل العديدة التي تعترض طريق المستثمرين، التي نذكر منها ارتفاع تكاليف استصلاح الأراضي.

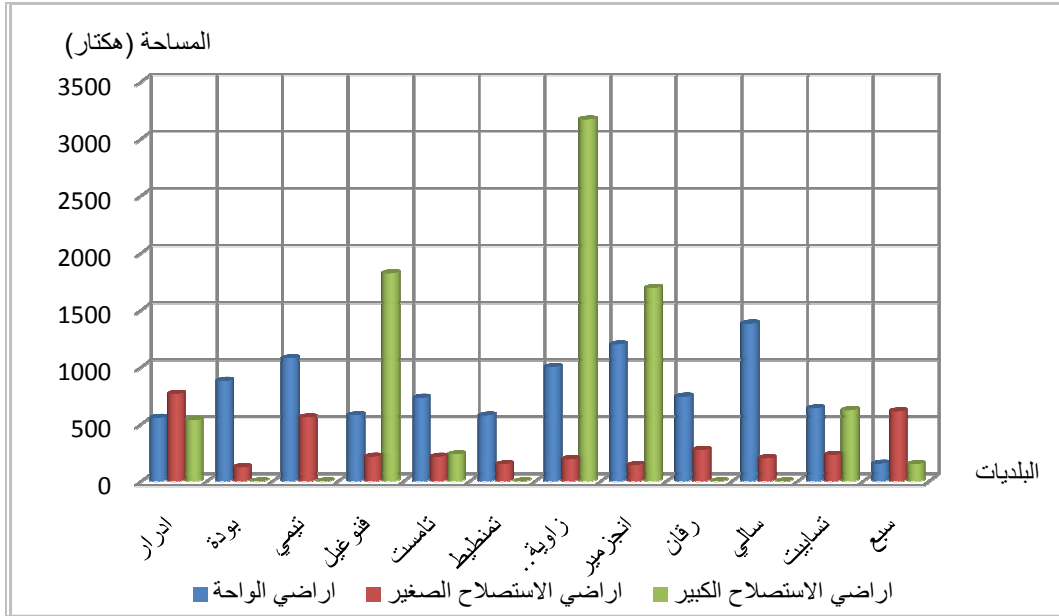
كما تتباين تلك المحيطات فيما بينها من حيث حجم الاستغلال فتمثل محيط سطح عزري ببلدية زاوية كنته في الطليعة بـ 3169 هكتار كمساحة مستغلة اي ما نسبته 16.9% من مساحة المحيط الممنوحة. وعموما فان نسبة الاستغلال في بقية المحيطات ظلت ضعيفة فلم تتجاوز 10%.

ينتشر بمحيطات الاستصلاح الكبير الاستغلال الموسع لمحاصيل الحبوب باختلافها (القمح، الشعير، الذرة) واستعمل لريها تقنية الرش المحوري. إضافة إلى المحاصيل تحت البيوت البلاستيكية. وتعتمد جميع المحيطات على الآبار العميقة المعدة والمجهزة لري المزروعات المتنوعة سواء بالرش المحوري أو الطرق الأخرى.



الصورة رقم (24): استعمال الطرق الحديثة بمحيطات الاستصلاح الكبير .محيط باعمور 2015

اختلف حجم الاستغلال الزراعي بين بلديات توات . تواجدت محيطات الاستصلاح بمختلف بلديات توات المنطقة وعرفت بعضها نشاطا كبيرا على غرار بلدية زاوية كنته التي عرفت نشاطا زراعي كثيف جسده الاستغلال الواسع بمحيط الاستصلاح الكبير سطح عزي حيث بلغت نسبة الاستغلال به 16.9%.



الشكل رقم (10): التوزيع العام للأراضي الزراعية المستغلة بتوات

5- نشاط صناعي قليل بتوات

مما لا شك فيه أن الصناعة أصبحت من أكبر العوامل المؤثرة في الإقليم بما يحدث فيه من تغيرات بسبب الحركة الكثيفة الناتجة عن مختلف النشاطات كحركة العمال اليومية ، وتسويق المنتجات ، وجلب المادة الأولية وحركة النقل. وعليه سنحاول بتسليط الضوء على بعض القيام بدراسة تحليلية وتقييمية للنشاط الصناعي بالإقليم.

5-1- أهم الوحدات الصناعية المتواجدة بإقليم توات

تنشط بادرار مجموعة من الوحدات التي تمارس نشاطات صناعية والتي يتواجد أغلبها بعاصمة الولاية وتتمركز بالضبط بالمنطقة الصناعية. بينما تكاد تنعدم بالمراكز الأخرى. أما ما يميز الوحدات الصناعية بتوات ان أغلبها تابع للقطاع الخاص وانعدام القطاع العام. وهذا ما يفسر بأن ولاية ادرار ليس لها ماضي صناعي أو مورد اقتصادي خاص بالصناعة. كبداية تم إنشاء المنطقة الصناعية الذي كان في عام 1983. ومع بداية التسعينات لوحظ توطن لبعض الوحدات بها، وبمرور السنوات بدأ التزايد في عدد المؤسسات تدريجيا. كما تتمركز بعض المؤسسات الصناعية داخل النسيج العمراني حيث توجد مؤسستين في حي 05 جويلية ومؤسسة واحدة في كل من حي الخطابة، المنصورية ومنطقة النشاطات برقان.

بعد الاستقلال وبالضبط في السبعينات اتبعت الدولة نموذج التوطن الصناعي، وذلك بإنشاء وتوسيع المناطق الصناعية عبر التراب الوطني، حيث أنشأت كل الوحدات خارج النسيج العمراني داخل منطقة مهيأة لاستقبال المؤسسات والوحدات الصناعية. فبالنسبة لولاية ادرار توجد منطقة صناعية تتواجد بمقر الولاية،.

ففي عام 1983 تم تخصيص تجزئة ترابية¹ بمساحة 100688.00 م² لإقامة منطقة صناعية كخطوة أولى من اجل بعث النشاط الاقتصادي من خلال إنشاء وحدات صناعية بهاته المنطقة. تتوضع المنطقة بالشمال الغربي للمدينة ادرار وبالضبط بالمدخل الشمالي لها.



الصورة رقم

(25): المنطقة

الصناعية بادرار

2015

كما تحوي المنطقة مجموعة من المؤسسات التي تمارس نشاطات صناعية مختلفة. والتي تختلف كذلك في حجم و كمية الإنتاج و ايضا مكان التسويق؛ فمنها من يتم تسويق منتجاتها محليا ومنها ما يتعدى إلى خارج الولاية ومن أهم هذه المؤسسات نجد المهاجر يتعلق بالاستثمار في مجال المهاجر

¹- الوكالة الولائية العقارية بادرار 2014

فإن ولاية ادرار تحتوي على 13 موقعا هام شملت تكسير الحجارة، كما نجد وحدة مجمع الهامل فرع المطاحن التي تقع بالمنطقة الصناعية بادرار تقوم المؤسسة بإنتاج الصناعات الغذائية فرينة والسميد ومشتقات الحبوب. إضافة الى مؤسسة البناءات المعدنية للجنوب خاصة بصناعة المكيفات الصحراوية والبناءات المعدنية.



الصورة رقم (26): مصفاة سبع ولاية ادرار 2015

مصفاة سبع هي في الأصل شركة مشتركة ما بين الشركتين الجزائرية والصينية تقع ببلدية سبع. تم عقد الشراكة ما بين الشركتين في 14 جويلية 2003، وشركة NAFTACHIN هي شركة تعتبر تابعة للقطاع العام حيث وقعت الشركة الجزائرية نفضال والشركة الصينية بعقد شراكة يدوم 25 سنة يتعلق العقد بتحديد شراكة نفضال الذي يكمن دوره في تسويق وتوزيع المنتجات النفطية الذي تنتجها المصفاة. وأعطيت الأولوية في هذا التوزيع لولايات الجنوب (ادرار، تندوف، بشار وتمنراست).

بدأت شركة (SORALCHIN) نشاطها في 2006 مع مجموعة تكونت في البداية من 28 شخص تتضمن أربعة (04) من إطارات الشركة الصينية و 24 وكيل من الشركة الجزائرية نفضال حيث يتم استخراج حوالي T 54000 . (داكو. م 2010).

6- التجهيزات و شبكة الخدمات: تعدد في الأشكال وفعالية في رسم المجال

تلعب التجهيزات دورا هاما في التنظيم المحلي لأنها تؤثر بصورة مباشرة في توزيع السكان كما أن حركيتهم ونشاطهم مرتبط بنوعية وطبيعة التجهيزات الموجودة. والتي تخدمهم وتقلل من تنقلاتهم لقضاء حاجتهم ومتطلباتهم الخدمية المختلفة. إضافة إلى استقطابها للمشتغلين. وستتطرق إلى تحليل أنواع التجهيزات المنتشرة بإقليم توات لأنها تحوي أنشطة خدمية وتسمح بتوضيح إمكاناتها المتباينة في تقديم الخدمات للسكان وعلى هذا الأساس عمدنا إلى دراسة الخدمات التالية:

6-1- التجهيزات الصحية بتوات: توزع متباين حسب القطاعات

تعتبر التجهيزات الصحية من أهم الوظائف الخدمية. يعتمد نظام الخدمات الصحية بإقليم توات على القطاعات الصحية باختلاف التجهيزات المتوفرة في كل منها بالإضافة إلى العيادات الطبية الخاصة والصيدليات.

وصل عدد القطاعات بولاية ادرار إلى ثلاثة وهي: قطاع ادرار، قطاع رقان و قطاع تيميمون ونخص قطاعي ادرار ورقان بالدراسة باعتبارهما محل الدراسة إقليم توات.

يغطي القطاع الصحي بادرار 08 بلديات وهي: ادرار، بودة، تيمي، تمنطيط، فنوغيل، تامست، تساييت وسبع. يشرف على تقديم الخدمات الصحية لحجم سكاني قدره 119780 نسمة وهو ما يمثل نسبة 64.15% من إجمالي سكان الإقليم وهو القطاع الذي يستحوذ على اغلب التجهيزات الصحية بالولاية ككل وهي تجهيزات ذات بعد إقليمي وهي:

- المستشفيات: يضم القطاع مستشفى واحد بمقر الولاية ادرار مجهز ويعرف استقطاب كبير من جميع بلديات الولاية.

- العيادات متعددة الخدمات: بلغ عدد العيادات المتعددة الخدمات بهذا القطاع 09 عيادات، 03 منها تقع ببلدية ادرار مركز الولاية وواحدة في كل من بلدية (بودة، تيمي، فنوغيل، تمنطيط، تامست، تساييت).

- قاعات العلاج: تتواجد قاعات العلاج في كل بلديات القطاع الصحي ل ادرار بإجمالي قدره 49 قاعة علاج اذ تتواجد في القصور الثانوية ذات التركيز السكاني الكبير.

كما يغطي القطاع الصحي برقان 10 بلديات هي: رقان، زاوية كنته، انجزمير، سالي، اولف، تيمقطن، اقبلي، تيط (تيديكلت)، برج باجي المختار، تيمياوين (تانزروفت).
يتميز هذا القطاع بانخفاض عدد التجهيزات الصحية وقلة مستواها مقارنة بالقطاع الصحي لادرار وهي:

- مستشفى رقان: أنجز المستشفى في سنوات الثمانينات من القرن الماضي افتتح أبوابه رسميا سنة 1985 بطاقة استيعاب تقدر بـ 136 سرير. ويضم أربع مصالح استشفائية؛ مصلحة الاستعجال، مصلحة الطب العام، مصلحة النساء والتوليد، مصلحة طب الأطفال.
- العيادات المتعددة الخدمات: يتواجد بقطاع رقان 10 عيادات بمعدل في كل بلدية عيادة تتكفل كل عيادة بـ 16020 نسمة وهو معدل متوسط مقارنة بالمعدل الوطني.
- قاعات العلاج: تنتشر في جميع بلديات القطاع لتشمل القصور بإجمالي 53 قاعة علاج لكن توزيعها المجالي يتباين من بلدية إلى أخرى، إذ يرتفع ببلدية رقان، سالي، تيمقطن، زاوية كنته، انجزمير وتنخفض ببلدية اقبلي اولف وتحتوي كل من بلديات: تيط، برج باجي المختار وتيمياوين على قاعة علاج واحدة.
- العيادات الطبية الخاصة:

تعد العيادات الخاصة بمجال الدراسة توات قليلة جدا وتتركز بمقر الولاية ادرار ونسجل انعدامها في المراكز العمرانية الاخرى عدا مجمعة رقان اين سجلنا وجود لاربع عيادة خاصة شملت؛ جراحة الاسنان والأمراض الداخلية. في حين تتواجد بمدينة ادرار مختلف الاختصاصات من عيادات لطب العيون والأمراض الصدرية، جراحة الاسنان وغيرها من الاختصاصات التي تقتصر على المدينة مما يفرض على الساكنة ضرورة التنقل الى المدينة لتلقي العلاج.

- الصيدليات:

تعتبر الصيدليات إحدى التجهيزات الصحية الأساسية التي تساهم في إتمام خدمات التجهيزات الصحية السابقة الذكر من خلال توفيرها للأدوية اللازمة.

اتضح لنا ان هناك تباين في توزيع الصيدليات بين قطاع ادرار ورقان حيث يتواجد بقطاع ادرار 27 صيدلية وهو يمثل نسبة 67.5 % من مجموع الصيدليات بمجال الدراسة وهذا يعني أن 2/3 من مجموع صيدليات الموجودة بالولاية يتركز بقطاع ادرار، بينما يضم قطاع رقان 13 صيدلية مثلت

بلديات الدراسة منها ب 07 من مجموع الصيدليات بالقطاع الذي مثل حوالي 3/1 من إجمالي الصيدليات بتوات .

وقد سمح التوزيع المجالي للصيدليات تواجدها في بعض المراكز العمرانية الرئيسة للبلديات، بينما يغيب تواجدها في المجمعات الثانوية مما يضطر سكانها للتنقل لتلقي هذه الخدمة وتلبية حاجتهم. بالإضافة إلى التجهيزات الصحية السابقة الذكر فان إقليم الدراسة يضم تجهيزات أخرى ذات طابع خاص ونوعي تساهم في تقديم الخدمات الصحية للسكان تتمثل في: مراكز للتصوير الطبي، مخابر للتحاليل الطبية ومؤسسات الخاصة للنقل الطبي. تتمركز كل هذه التجهيزات الصحية الأخيرة بمركز الولاية ادرار.

6-2- التجهيزات التعليمية والتكوينية

يعتبر التعليم احد المؤشرات الأساسية للتنمية الاجتماعية لذلك نجده من أولويات مختلف السياسات من اجل إنتاج وتكوين الإطارات والكفاءات. كما يشكل التعليم احد العناصر الأساسية التي تهيكل حركية دائمة داخل الإقليم باعتباره خدمة موجهة لاستقطاب فئة كبيرة من السكان لذلك تعمل الدولة على زيادة عدد الهياكل التعليمية ورفع مستوى التأطير وتسخير كل الإمكانيات والوسائل.

6-2-1. توزيع للهياكل التعليمية الابتدائية بالقصور واقتصار الطور الثانوي على مراكز البلديات

اذ تعتبر الأطوار الابتدائية القاعدة الأساسية لتلقي الخدمات التعليمية لأنها تضم فئة عريضة من التلاميذ فشهدت المنطقة تغطية واسعة شملت جميع القصور بمعدل ابتدائية بكل قصر في حين ضمت بعض المراكز الرئيسية أكثر من ابتدائية على غرار المدينة ادرار التي ضمت 27 مؤسسة و رقان التي ضمت 5 مؤسسات. بينما توزعت الهياكل التعليمية للطور المتوسط بمقرات البلديات وبعض التجمعات الثانوية ذات التركز السكاني اذ تضم كل بلدية معدل متوسطتين تقريبا.

اما عن خدمات الطور الثانوي للتعليم فان المؤسسات التعليمية تتمركز بمقرات البلديات كما ان توزيع هذه الثانويات مرتبط بعدد التلاميذ المتواجدين في كل بلدية إضافة إلى سياسة الدولة الرامية إلى تقريب المؤسسات التعليمية من المواطن. حيث تضم مدينة ادرار لوحدها 6 ثانويات في حين ضمت مقرات الدوائر (تسايت، فنوغيل، زاوية كنته، رقان) ثانويتين بينما ضمت مقرات البلديات الاخرى مؤسسة واحدة. تشمل خدمات المؤسسة الواحدة قصور البلدية مما يستوجب على تلاميذ القصور التنقل يوميا بواسطة النقل المدرسي بحركة يومية (ذهاب بالصباح وعودة بالمساء).

6-2-2. خدمات التكوين المهني:

تقدم خدمات التكوين المهني للتلاميذ الذين يتعدى سنهم 15 سنة والذين لم يتمكنوا من مواصلة تعلمهم الثانوي والجامعي. ويتوفر الإقليم على عدد من التجهيزات المختصة في التكوين المهني يتميز توزيعها بالتباين بمجال توات اذ تتمركز مؤسسات التكوين بمقرات الدوائر (ادرار، فنوغيل، تساييت، زاوية كنته، رقان) وتضم مقرات البلديات ملاحق تابعة لها حيث يضطر اغلب المتربصين إلى التنقل إلى مقر البلدية او الى مقرات الدوائر لتلقي خدمات التكوين المهني. من بين اهم مؤسسات التكوين بالمنطقة نجد المعهد الوطني للتكوين الوطني بمدينة ادرار الذي يضم 375 مقعد بيداغوجي ويضمن تخصصات تكوينية عديدة والذي يستقطب اعدادا للمتكونين من جميع مناطق الولاية .

6-2-3. التعليم العالي: الجامعة الافريقية

تقدم خدمات التعليم العالي من خلال جامعة ادرار ذات تخصصات علمية متعددة. تتكون من خمس كليات؛ كلية الأدب واللغات، كلية العلوم الإسلامية والاجتماعية، كلية العلوم والتكنولوجيا. حيث بلغ عدد الطلبة في السنة الجامعية: 2014/2013 حوالي: 9002 طالب وطالبة معظمهم من بلديات ولاية ادرار والبيض وتندوف و غرداية ومن بعض الدول الأفريقية خاصة مالي و الصحراء الغربية يتوزعون على خمس كليات كلية العلوم الإسلامية والاجتماعية بـ 2582 طالب، كلية الأدب واللغات بـ 1598، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير بـ 1762 طالب، كلية الحقوق والعلوم السياسية بـ 800 طالب وكلية العلوم والتكنولوجيا بـ 2260 طالب. يصل نفوذ الجامعة حسب الأصل الجغرافي للطلبة جميع أقاليم الولاية بل يتعداه الى خارجها فنجد طلبة من ولايات شمالية (البيض، سعيدة..) إضافة إلى وجود طلبة من دول افريقية (مالي، النيجر) وهذا يعكس تسميتها بالجامعة الإفريقية.

6-3- الخدمات الثقافية والرياضية:

على الرغم من أن التجهيزات الثقافية والرياضية تقدم خدماتها لحجم كبير من السكان (خاصة فئة الشباب) إلا أنها تتميز بطابع التباين المحلي حيث يقتصر تواجدها على مقرات البلديات كما يتميز كذلك بالتباين النوعي لان هناك بعض الأنواع من التجهيزات تتواجد في بلديات دون

أخرى وهو ما يتضح من خلال التجهيزات الثقافية التي تتلخص في دار للشباب ومكتبات و مراكز ثقافية بمقر البلدية وكذا قاعات متعددة النشاطات بالقصور، تجدر الإشارة إلى إن التجهيزات الثقافية جد محدودة ولا تلي تطلعات السكان وهذا ما فرض عليهم ضرورة التنقل إلى المراكز للاستفادة منها وخاصة إلى مقر الولاية ادرار ورقان لتوفرهما على اغلبها. اغلب التجهيزات.

خلاصة:

إن مختلف التحولات التي عرفتها البنية الاقتصادية بتوات لم تكن لتفعل لولا مختلف العوامل الفاعلة اقتصاديا فجميع السياسات والبرامج التنموية كان لها دور تغيير طبيعة النشاط بالمنطقة التي لم تعرف للنشاط الفلاحي بديلا في فترات كانت ملكية الماء والارض الفلاحية تمثلان مصادرا للنفوذ والرئاسة في تلك المجتمعات الواحية، اين اعتبر الاشتغال بالواحة مصدر الكسب الوحيد. فعرفت البنية الاقتصادية التوجه إلى وظائف اخرى (خدمات، صناعة، أشغال عمومية...). ففي إطار تلك السياسات عرفت المنطقة عمليات للاستصلاح الفلاحي التي عمدت الى تشجيع الاستغلال الواسع، حيث توزعت مختلف المحيطات بجانب التجمعات السكانية وتنوع الاستغلال الزراعي بتوات؛ استغلال تقليدي مثلته الواحة و آخر حديث مثلته محيطات الاستصلاح. تواجدت هاته المحيطات بمختلف بلديات المنطقة وعرفت بعضها نشاطا كبيرا على غرار بلدية زاوية كتته التي عرفت نشاط زراعي كثيف جسده الاستغلال الواسع بمحيط الاستصلاح الكبير سطح عزي حيث بلغت نسبة الاستغلال به 16.9%.

كما عرفت المنطقة ميلاد نشاط صناعي وان كان اقتصره على بعض الوحدات التي تمركزت بالمنطقة الصناعية بادرار إضافة إلى مجمع للصناعات البترولية والمحروقات بسبع. إضافة الى بعض وحدات المهاجر.

كما جاءت مختلف التجهيزات التي دعمت بها المنطقة خاصة بعد توالي التنظيمات الترقية الإدارية والتي سمحت كذلك بخلق فرص عمل جديدة وزادت من الأدوار الوظيفية للمراكز وأدت إلى نشوء حركة مجالية للساكنة بالمنطقة.

الفصل الخامس:

مجالات نفوذ متباينة للمراكز العمرانية

بتوات

الفصل الخامس : مجالات نفوذ متباينة للمراكز العمرانية بتوات

مقدمة :

يرتبط الأداء المحلي بتواجد الأنشطة الخدمائية وتركزها بالمراكز العمرانية التي تولد حركية تفسر من خلالها العلاقات المتبادلة بين مختلف العناصر الهيكلية للمجال. توضح مجالات النفوذ العلاقات الوظيفية وتفاعلاتها الناتجة عن توزيع التجهيزات و الأنشطة الخدمائية بالمراكز العمرانية و تعكس في نفس الوقت مدى فاعلية المراكز في تقديم مختلف الخدمات للمتريدين عليها.

سنحاول من خلال هذا الفصل تحديد بعض مجالات نفوذ المراكز العمرانية بإقليم توات حسب مستوياتها المحلية باستعمال مؤشرات خدمائية عمومية (تجارية، صحية، دينية) و التي يمكن من خلالها تحديد أهمية كل مركز ضمن مجال توات.

ولجعل الدراسة شاملة اعتمدنا على بعض المؤسسات ذات الأدوار الإقليمية في المنطقة فاخترنا التجهيزات الصحية (مستشفى أدرار، مستشفى رقان) من خلال عدد المرضى وأصولهم الجغرافية. والتجهيزات الدينية خاصة الزوايا من حيث الأصل الجغرافي للطلبة و أخيرا التجهيزات التجارية من خلال مترددي المحلات التجارية والأسواق المتواجدة بالمراكز. كما ساهمت شبكة النقل المتوزعة بالمنطقة في حركية السكان اليومية. تتفرع اغلب خطوط النقل انطلاقا من مقر الولاية وتنتهي بحدود كل بلدية.

1- مجالات النفوذ الصحي بتوات: ارتسمت معالمها من خلال توزع الوظائف الصحية

تؤدي الوظائف الصحية من خلال مختلف التجهيزات الخاصة بها. اعتمدنا في هذه الدراسة على بعض الهياكل الصحية ذات الأدوار الفعالة والإقليمية في تقديم الخدمات الصحية بالمنطقة واخترنا لذلك تجهيزين هامين: مستشفى ابن سينا بمدينة أدرار ودوره الوظيفي سواء محليا ضمن نظام القطاع الصحي او اقليميا، أين يتعداه ليشمل مختلف ربوع الولاية و المستشفى الكبير برقان ودوره الإقليمي، إذ يساهم في تكثيف الادوار الوظيفية لمجمعة رقان ويؤكد على موقعها في الشبكة العمرانية لإقليم توات.

1-1- أدرار و رقان: مراكز بمستشفيات ذات ادوار مجالية

تتركز بمدينة أدرار مختلف التجهيزات الصحية التي تعكس دورها الوظيفي كمقر للولاية فضمت الى جانب مستشفى ابن سينا، عيادات خاصة، مخابر للتحليل والتصوير الاشعاعي، إذ ارتبطت اغلب الخدمات الصحية بالمدينة. كما شهدت مجمعة رقان تواجد بعض الهياكل الصحية وان لم تكن بالصورة التي هي عليها بمدينة أدرار، فاحتوت على مستشفى كبير اشتمل على خدمات صحية ضمنتها المصالح التي احتواها كطب الاطفال، النساء والتوليد ومصحة الاستعجالات. وفيما يلي نعلم الى تبيان نفوذ الخدمات الصحية من خلال هاتين المؤسستين الاستشفائيتين بإقليم توات.

1-1-1. مستشفى ابن سينا: مؤسسة بخدمات صحية متنوعة ودور إقليمي ومحلي

يتواجد المستشفى بمقر الولاية، يضم 15 مصلحة طبية، مجهز بتجهيزات خدمية من اجل تقديم أحسن الخدمات الطبية للمرضى الوافدين إليه من مختلف بلديات الولاية. كما تتعدى خدماته حدود الولاية بالإضافة إلى ذلك فان هذا المستشفى له طاقة استيعاب تقدر ب 330 سرير ويضم 441 مستخدما منهم 71 طبيبا عاما و19 طبيبا اختصاصيا و 395 مستخدما شبه طبيبا إضافة إلى 160 مستخدما إداريا.

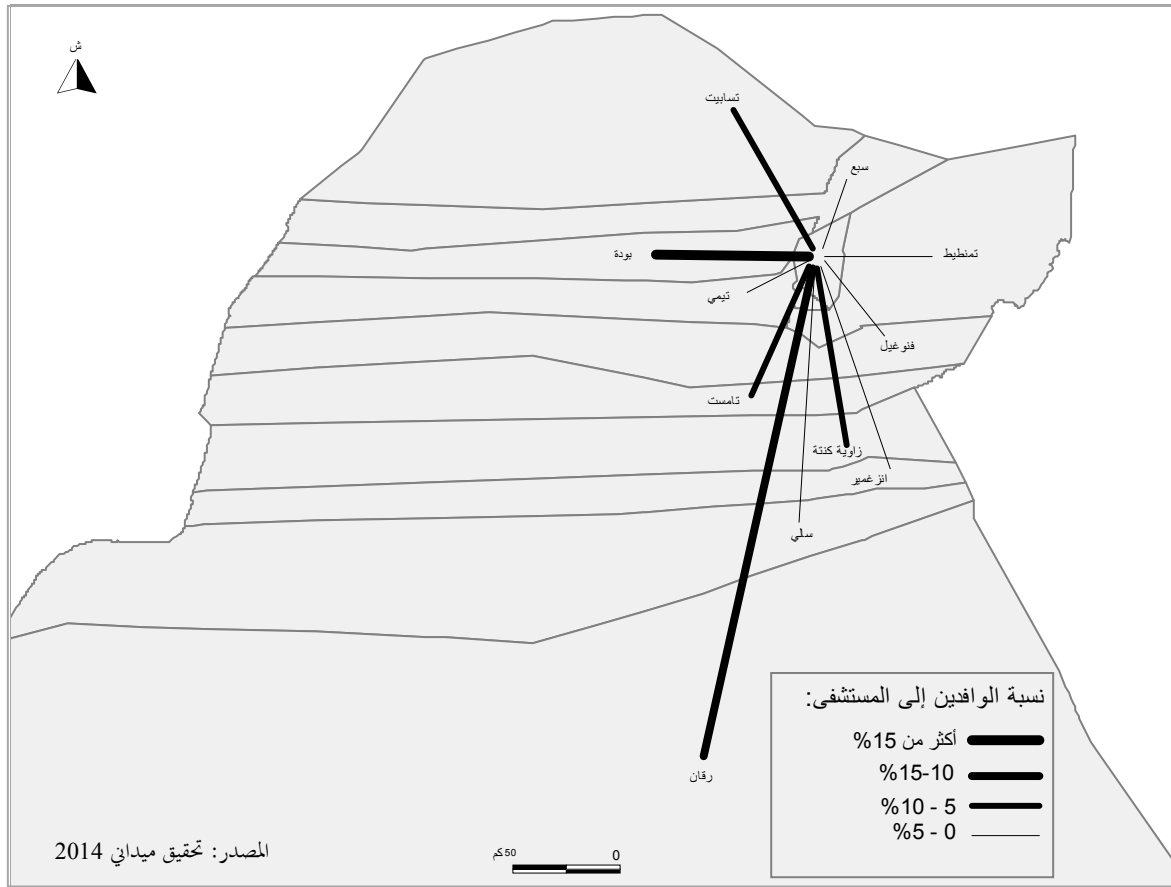
هناك اقبال كبير على هذا المستشفى من جميع البلديات (الجدول رقم 26) فهو يعد الوحيد في الولاية الذي يتوفر على مستوى عال من الخدمة إذ يحتوي على عدد كبير من الاطباء الاخصائيين وتجهيز طبي متطور، كما يتم إجلاء الحالات المستعجلة إليه من مختلف المؤسسات الاستشفائية و الجوية أو من العيادات والمراكز الصحية المنتشرة عبر أنحاء الولاية.

الجدول رقم (25): توزيع عدد المرضى الوافدين إلى مستشفى ابن سينا حسب البلديات (2014)

البلدية	العدد	النسبة (%)
أدرار	279	19,1
بودة	222	15,2
تيمي	48	3,3
فنوغيل	28	1,9
تامست	87	5,9
تمنطيط	43	2,9
زاوية كنته	104	7,1
انجزمير	28	1,9
رقان	213	14,5
سالي	8	0,5
تسابيت	78	5,3
سبع	24	1,6
مجموع اقليم توات	1162	79,4
تيميون	134	9,2
اوقروت	92	6,3
اولف	63	4,3
ب ب المختار	13	0,9
المجموع	1464	100

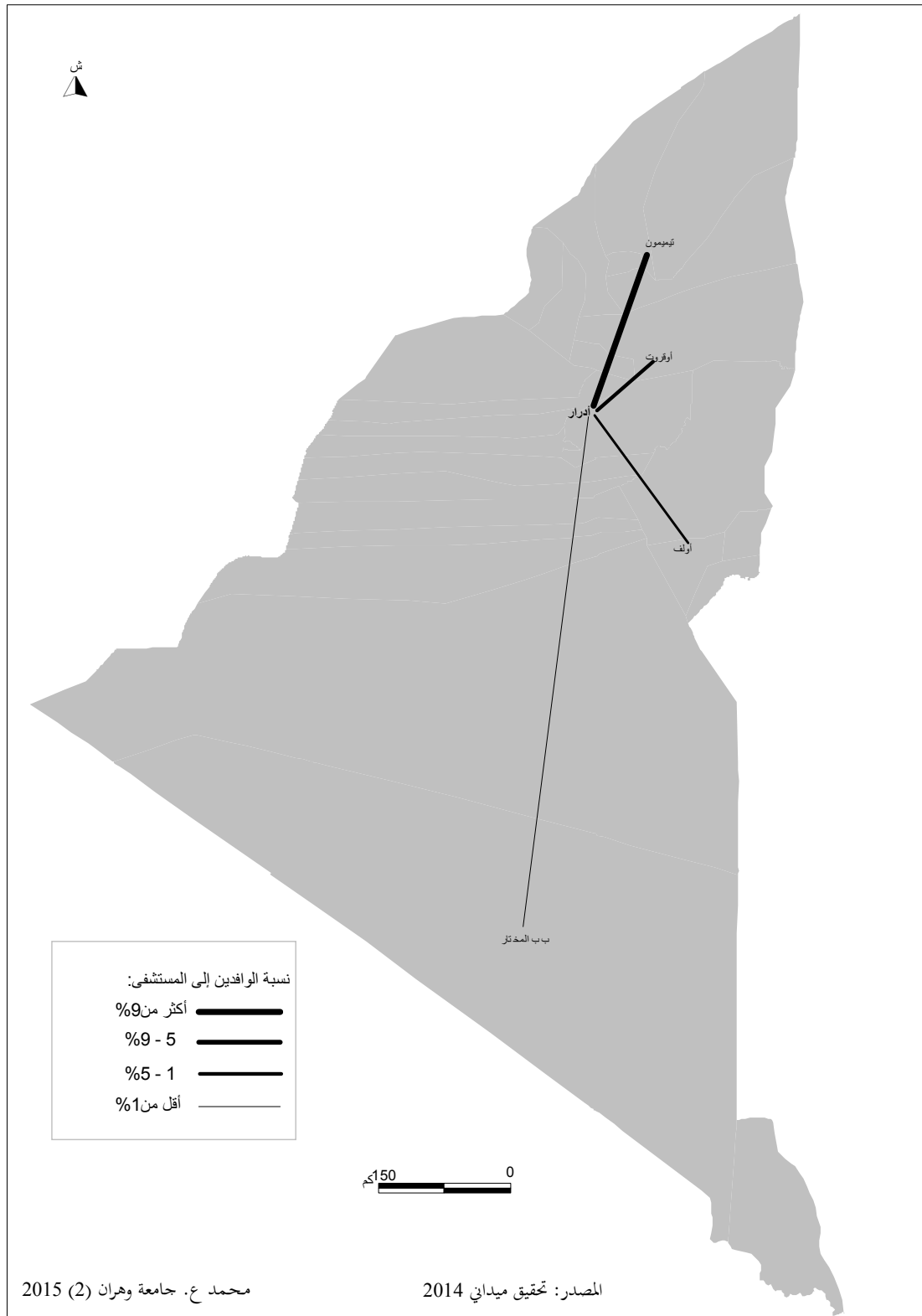
المصدر : سجلات مستشفى أدرار (أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر 2014)

يلاحظ من خلال الجدول رقم (26) وجود اقبالا كبيرا على المستشفى من كافة ربوع الولاية بحجم للمرضى بلغ 1464 خلال فترة ثلاثة أشهر (أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر من سنة 2014). في حين لوحظ ان التباين في عدد المرضى المقبلين على المستشفى جاء حسب مكان إقامتهم، فالبلديات القريبة من المدينة كان الوافدون منها بأعداد كبيرة؛ على غرار بلدية أدرار بحجم للمرضى المقبلين الى المستشفى بلغ 279 مريض أي ما نسبته 19,1 % من المجموع العام المرضى خلال نفس الفترة تليها بلدية بودة بلغت نسبة المرضى المقبلين على المستشفى حوالي 15,2 % ثم تتالى بلديات توات؛ تامست بنسبة 5,9 % للمرضى المقبلين، تمنطيط بنسبة 2,9 % وكذا رقان و زاوية كنته. تجدر الإشارة الى ان تقلص عدد الوافدين الى المستشفى من قصور بلدية تيمي نظرا لتدعيم هذه الاخيرة بمؤسسة جوارية على مستوى مقر البلدية شملت على تخصصات عديدة وخدمات صحية متنوعة.



الخريطة رقم (14): مجالات نفوذ مستشفى ابن سينا بتوات

بينما لوحظ وجود اعداد للمرضى الوافدين الى المستشفى من بلديات خارج اقليم توات نذكر منها تيميمون بـ 134 مريض وكذا اولف بـ 63 مريض اضافة الوافدين من برج باجي المختار ويمثلون 0,9% من مجموع المرضى المقبلين على المستشفى خلال نفس الفترة. وعموما فان المرضى الوافدين الى مستشفى أدرار يمثلون عادة الحالات المستعجلة والحرجة وكما ان المستشفى يضم تخصصات طبية متعددة ومخابر تحليل متطورة مما قد يستوجب على البعض التنقل الى مقر الولاية لغيابها في المؤسسات الصحية الاخرى من جهة او لقلة الكفاءة من جهة اخرى.



الخريطة رقم (15): مجالات نفوذ مستشفى ابن سينا بولاية أدرار

1-1-2. المؤسسة العمومية الاستشفائية برقان: دور محلي بارز

يعتبر المستشفى الكبير برقان من المستشفيات المهمة على مستوى الولاية على غرار مستشفى ابن سينا بأدرار ومستشفى تيميمون. أنجز المستشفى في سنوات الثمانينات من القرن الماضي، افتتح أبوابه رسمياً سنة 1985 بطاقة استيعاب تقدر بـ 136 سرير. يضم أربع مصالح استشفائية: مصلحة الاستعجال، مصلحة الطب العام، مصلحة النساء والتوليد، مصلحة طب الأطفال. لمعرفة قوة تأثير هذه المؤسسة لجانا الى حصر المناطق التي يتوافد منها السكان الى المستشفى وذلك بمعرفة الأصل الجغرافي لهم وحسب المعطيات المحصل عليها وجدنا ان هناك تفاوت في قوى هذا النفوذ من منطقة الى أخرى (الجدول رقم 27).



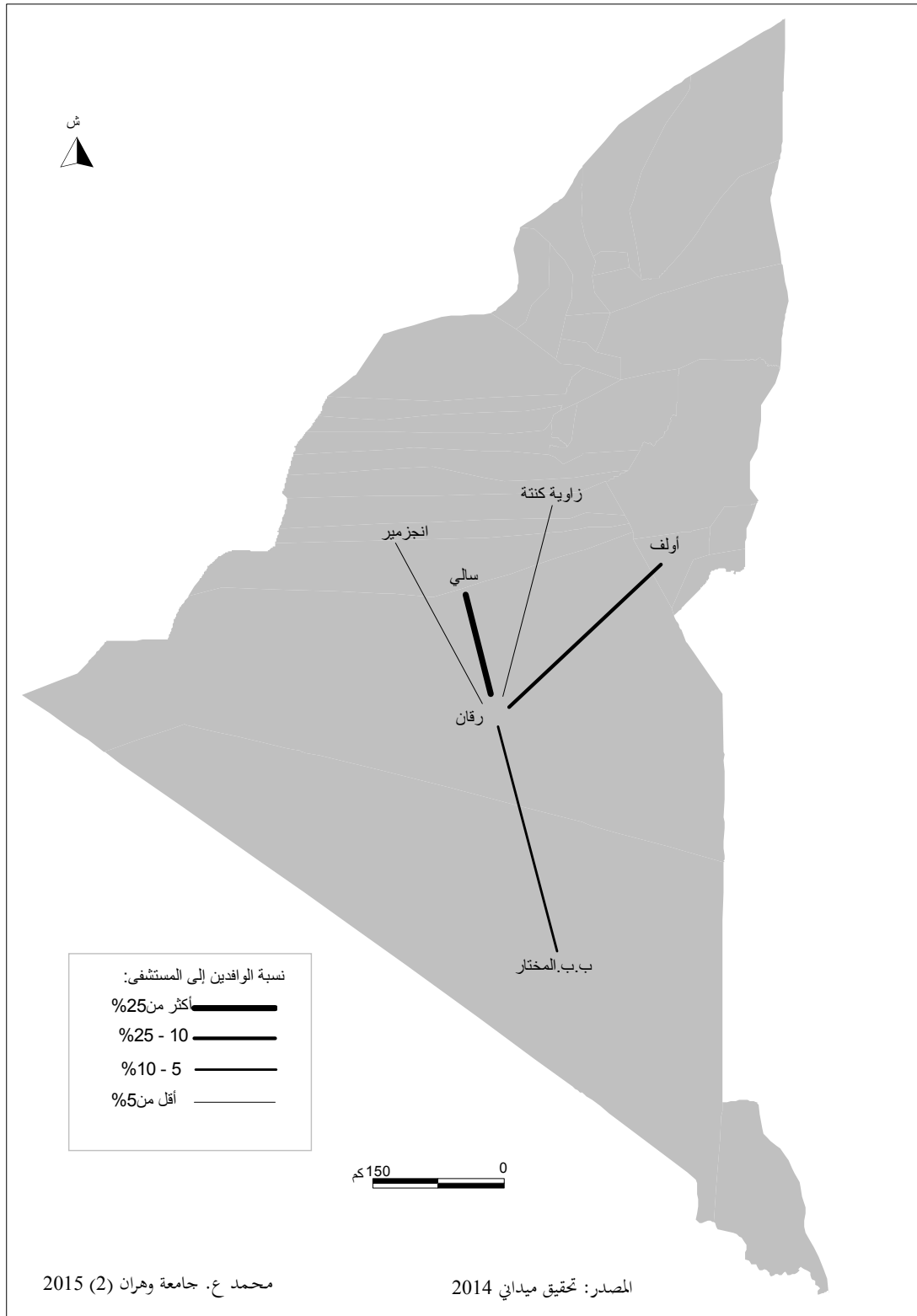
الصورة رقم (27): المؤسسة الاستشفائية برقان 2014

الجدول رقم (26): توزيع عدد الوفدين الى مستشفى رقان 2014

النسبة (%)	العدد	البلدية
43,2	1411	رقان
25,7	840	سالي
3,6	116	زاوية كنته
3,0	97	انجزمير
20,0	653	اولف
4,5	147	ب ب المختار
100	3264	المجموع

المصدر: سجلات المرضى مستشفى رقان 2014

اتضح لنا ان اكبر نسبة لتوافد المرضى هم من داخل البلدية رقان وهذا بطبيعة الحال راجع الى القرب من السكن وبلغت النسبة حوالي 43,2 % من مجموع المرضى المتوافدين الى المستشفى خلال سنة 2014 كما نجد المتوافدين من اولف وبلدية سالي بنسب 25,7 % و 20 % على التوالي و يرجع هذا لتواجد مصالح متعددة به على غرار طب النساء والتوليد، الاشعة والتحليل و إلى عامل القرب. بالإضافة إلى ان العيادات المتواجدة في هذه البلديات تبعث بالحالات الحرجة والمستعصية الى هذا المستشفى. وتأتي في المراتب الأخيرة زاوية كنته، انجزمير و برج باجي المختار فهي على صلة بالمستشفى إلا ان نسب توافد المرضى تبقى ضعيفة وهذا لبعدها المسافة بينها.



الخريطة رقم (16): مجالات نفوذ مستشفى رغان

2- نفوذ ديني جهوي و حتى وطني من خلال زوايا توات

ارتبط تاريخ توات الثقافي والعلمي والفكري بنشوء مراكز إشعاعية كان لها دور هام في نشر الحركة العلمية وقبلها الدينية كما ساد نفوذ الزوايا وبرز من خلال الإشراف الديني والاجتماعي لفترة طويلة بإقليم توات فكانت المؤسسة المخول لها تنظيم الساكنة من خلال التعليم، والقضاء وتحرير العقود العقارية العرفية وغير ذلك من أدوات التسيير الاجتماعي والإداري. و يعود هذا إلى انتشار الإسلام في هذه المناطق و في معظم مناطق إفريقيا عن طريق رجال الطرق الصوفية والفقهاء والتجار وقوافل الحجيج. ينطبق هذا الأمر تماما على علماء توات و رجال الدين فيها الذين اهتموا ببناء الزوايا، التي تطورت خلال القرن التاسع الهجري الموافق للقرن الخامس عشر ميلادي، وأصبحت تدع إلى الجهاد وأعمال الصلح والتكافل الاجتماعي، كما أن عددها أصبح يقارب دائما عدد المساجد أو يفوقها. وسنحاول تسليط الضوء على ثلاث زوايا بارزة في توات؛ الأولى زاوية الشيخ بلكبير بأدرار ، الثانية برقان و الثالثة بمقر بلدية زاوية كتنه. وعمدنا الى تبيان نفوذها وإشعاعها في المنطقة من خلال حركة الطلبة والمتمدرسين بها.

2-1- الزاوية الكبيرة اشعاع دائم ونفوذ متسع محليا واقليميا

نشأت الزاوية على يد الشيخ محمد بلكبير سنة 1950، بعد صولات التعلم وجولات الإجازة افتتح الشيخ زاويته الكبيرة بمدينة أدرار التي هدف من خلالها إلى نشر الدين والعلم بالمنطقة وبرزت وشاعت في أصقاع الجزائر بل تعدتها لباقي الدول الإفريقية. تتكون منشآت الزاوية من مسجد كبير، أعيد بناؤه بعد وفاة الشيخ، من قاعات للتعليم ومكتبة، إضافة إلى غرف النوم والإطعام. اعتمد في تموين الزاوية على الأراضي الزراعية الموقوفة لها فهي تزودها بالمحاصيل والتمور إضافة إلى الهبات والمساعدات المقدمة من طرف المتطوعين والمتبرعين.

تناقص عدد الطلبة بالزاوية حتى وصل إلى 423 طالب بعد ما كان يصل إلى 1000 قبل وفاة الشيخ، هذا التراجع يعود إلى ظروف خاصة منها إعادة بناء مسجد الشيخ الذي كان يعاني من الضيق.

ما يميز هذه الزاوية هو استقطاب العدد الكبير من الطلبة من داخل الولاية وخارجها ويمتد إشعاعها إلى خارج الوطن، تقوم بتحفيظ كتاب الله وسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم وكذا تعليم أصول الدين والفقهاء.

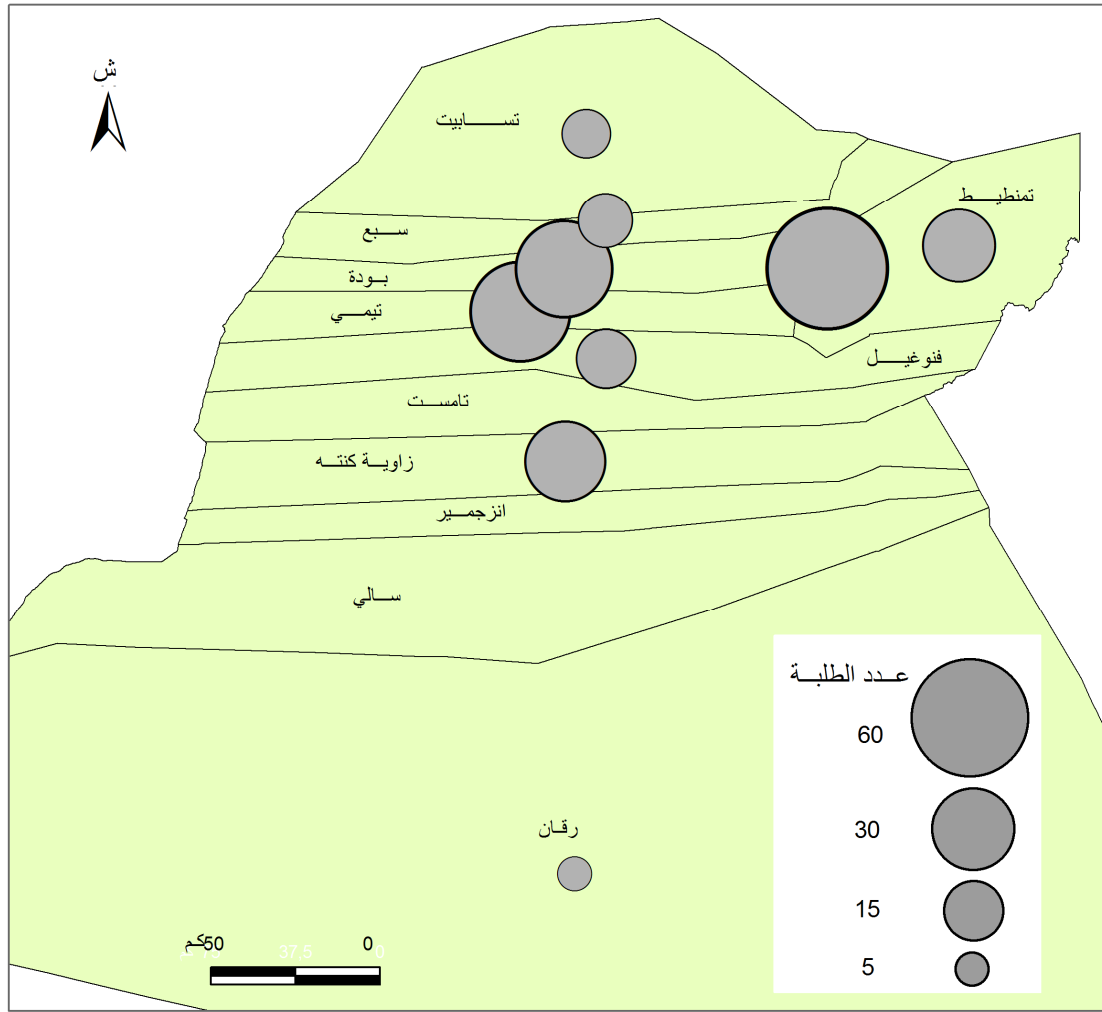
جدول رقم (27): الأصل الجغرافي للطلبة بالزاوية الكبيرة

مكان الإقامة السابق	العدد	المجموع
أدرار	59	13,9
تسابيت	9	2,22
تمنطيط	21	5
رقان	5	1,11
بودة	38	8,89
ز.كنته	26	6,11
تيمي	40	9,44
سبع	11	2,8
فنوغيل	14	3,33
خارج الإقليم	151	35,6
خارج الولاية	49	11,67
المجموع	423	100

المصدر: التحقيق الميداني 2014

يعتبر توافد الطلبة من داخل الولاية إلى الزاوية مقياسا على مدى إشعاعها الذي شمل بلديات إقليم توات ماعدا رقان التي تتواجد بها الزاوية الرقانية فتمثلت مختلف بلديات التوات من خلال أعداد الطلبة الوافدة منها بداية من البلديات القريبة: تيمي و بودة فالأولى تعد داخل مجال مجمعة أدرار جنوبا والثانية تعد مسقط رأس شيخ الزاوي، ثم تأتي البلديات الأخرى و الملاحظ ان بلدية زاوية كنته أصبحت كذلك ضمن هذا المجال بعدما كانت تشكل قطبا دينيا في السابق. يمتد إشعاع الزاوية كذلك إلى الأقاليم الأخرى لأدرار إذ تستحوذ تيميمون وشروين على نسبة كبيرة من الطلبة الوافدين إلى الزاوية من إقليم قورارة و يرجع ذلك إلى علاقات الشيخ بأهالي تيميمون حيث أقام أول مدرسة له في تيميمون في حوالي سنة 1940 ونظرا للاضطهاد الذي تعرض له من طرف المستعمر تراجع عن فكرته لتتجسد في عام 1950 لكن بأدرار بينما ما زال يحافظ أهالي شروين على علاقتهم بالشيخ حيا وميتا.

لم تنحصر الأعداد الوافدة إلى الزاوية على ولاية أدرار فقط بل تعدته إلى بعض ولايات الشمال وكذا بعض البلدان الإفريقية المجاورة (مالي، النيجر، موريتانيا). فبالنسبة إلى المناطق الشمالية نجد ولايات: تلمسان، معسكر، مستغانم، وهران كما نجد مناطق السهول العليا اذ نجد ولايات الجلفة و البيض.



الخريطة رقم (17): مجالات نفوذ الزاوية الكبيرة بتوات

2.2. زاوية رقان، قطب إشعاعي و منارة علمية بارزة

يمكن تسليط الضوء على زاوية علي ابن طالب التي تقع بمقر بلدية رقان والتي أسست سنة 1987 أشيعت الزاوية وذاع صيتها في ربوع الولاية بل تعداها إلى خارجها. تمثل نسبة المتدرسين من داخل حدود الولاية حوالي 90% من مجموع الطلبة المتدرسين وهي موزعة بين بلديات الولاية على النحو التالي تحتل رقان المرتبة الأولى من حيث عدد الطلبة 23.7% وهذا بحكم وقوع أو تواجد الزاوية بالمنطقة ثم تأتي في المرتبة الثانية البلديات المجاورة مثل سالي، زاوية كنته بنسب اقل من 10%، أما باقي البلديات فهي بنسب ضعيفة.

الجدول رقم (28): الأصل الجغرافي للطلبة بالزاوية الرقانية

النسبة (%)	العدد	مكان الإقامة السابق
4,5	6	أدرار
2,3	3	انجزمير
2,3	4	تسابيت
6,7	9	تمنطيط
23,7	32	رقان
10,4	14	ز.كنته
8,2	11	سالي
5,2	7	فنوغيل
26,7	36	خارج الإقليم
9,6	13	خارج الولاية
100	135	المجموع

المصدر: التحقيق الميداني 2014

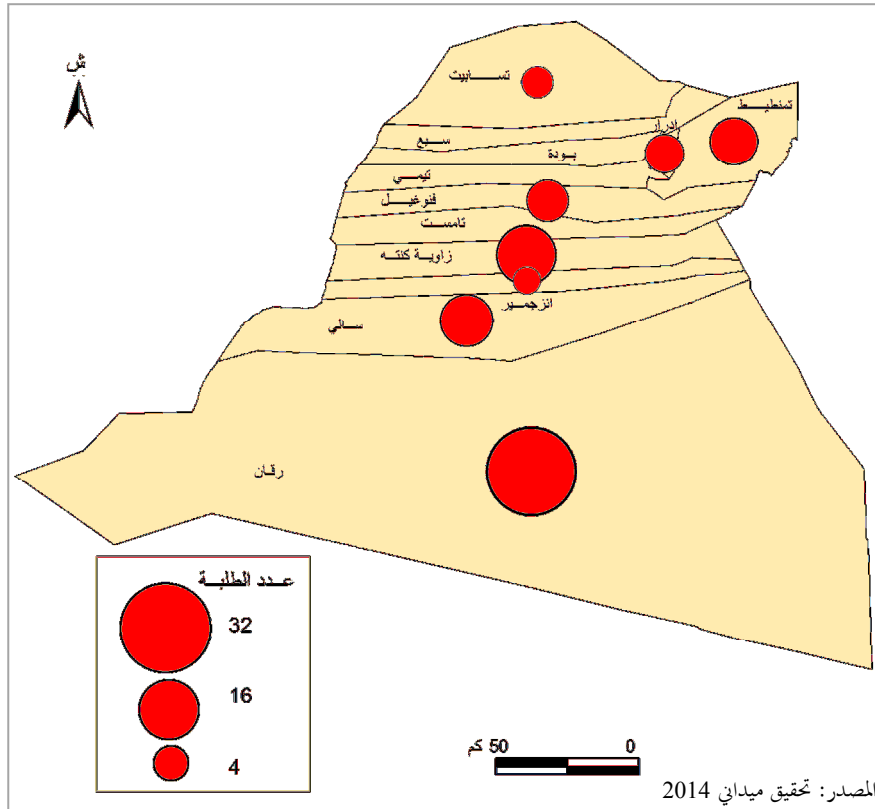
3-2- الزاوية الكنتيه الرقادية: انحصار للنفوذ بالبلديات القريبة

تعود الزاوية الكنتيه الى مؤسسها الشيخ احمد الرقاد ابن محمد الكنتي سنة 999 هجري الموافق ل 1022 م وقد فرضت الزاوية سلطتها الدينية والاقتصادية وتشكل عرش عرف بأولاد علي بلحاج، عرف فيما بعد بزاوية كنته. غالبية الطلبة في هذه المدرسة ينتمون قصور بلدية زاوية كنته بنسبة 63% وهذا بحكم القرب من مقر السكن كما يمكن حصر إشعاعها في البلديات المجاورة لها مثل تامست من الشمال وانجزمير من الجنوب.

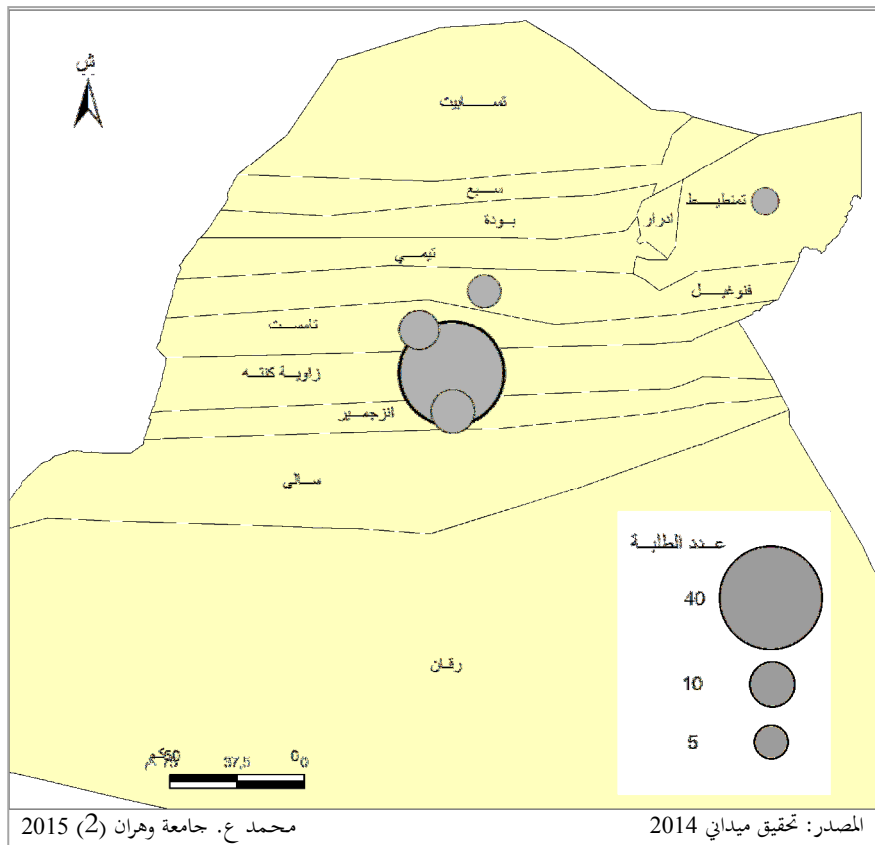
الجدول رقم (29): الأصل الجغرافي للطلبة بالزاوية الكنتية

النسبة %	العدد	مكان الإقامة السابقة
63	41	زاوية كنته
10,8	7	انجزمير
9,2	6	تامست
6,15	4	فنوغيل
6,4	3	تمنطيط
6,2	4	خارج الولاية
100	65	المجموع

المصدر: التحقيق الميداني 2014



الخريطة رقم (18): مجالات نفوذ الزاوية الرقانية بتوات



الخريطة رقم (19): مجالات نفوذ الزاوية الكنتية بتوات

3. الزيارات حركية قصورية ذات بعد جهوي و وطني

"الزيارة" مظهر من المظاهر التي تحتاج إليها الذاكرة الجماعية في بناء وحدتها التذكارية. إذ يشهد كل قصر مناسبة (زيارة) أو مناسبتين أو أكثر خلال السنة والتي تقام فيها مختلف الرقصات الشعبية الفلكلورية (البارود الحضرة، قرقابو) مع تقديم الأطعمة من طرف أفراد القصر للضيوف المدعوين. تعيد الجماعة القصورية من خلال هذا الحفل إحياء ذاكرتها وتؤكد من خلاله تضامنها الجماعي وعلاقتها الطرائقية (الصوفية) المعبر عنها من خلال الرايات .



الصورة رقم (28): مراسيم الزيارة بتوات 2015

وتاريخ توات حافل بالاحتفالات والأعياد التي تعيد تنشيط الذاكرة الجماعية، لعل أشهرها "زيارة" يوم عاشوراء المعروفة محليا بمصطلح "زيارة عاشوراء" بتمنيط والمولد النبوي الشريف بقصر بوعلي و"السبوع" بقصر زاوية كنته، "صاحب سبع حجات" ببودة، "الونقالي" بقصر اولاد اونقال، "الرقاني" المناسبة السنوية¹ التي تقام في الفاتح من ماي بقصر زاوية الرقاني الواقع على بعد (2 كم) جنوب مركز المدينة، هذه المناسبة تستقطب السكان من جميع ولايات الوطن وحتى من خارج الوطن (مالي والنيجر). تبدأ من بعد صلاة العصر، هذا الوقت الذي يقوم فيه المتوافدين بزيارة الروضة²، ويزداد عدد الزوار ليبلغ أكبر نسبة له وقت صلاة المغرب من اجل حضور ما يعرف في المنطقة بالفاخرة، هذه الأخيرة التي تمثل الحدث الأساسي في المناسبة فمن فاتته فقد فاتته كل شيء، لذا نجد من بعض الزوار من يتوافدون وقتها فقط دون حضور مختلف النشاطات الفلكلورية التي تقام في هذا اليوم (الصورة رقم 28).

¹ - مناسبة: ذكرى وفاة الشيخ مولاي عبد الله الرقاني في الفاتح من ماي لكل سنة.

² - الروضة: ضريح الولي الشيخ مولاي الرقاني

4- مجالات النفوذ التجارية: تركز الأنشطة بالمراكز البارزة

عرف إقليم توات نموا و تنوعا للنشاطات التجارية وخاصة في المراكز العمرانية البارزة على غرار مدينة أدرار التي توزعت بها النشاطات التجارية وتنوعت وشهدت تركيزات: تجارة مواد البناء، منطقة النشاطات التجارية و سوقي دينار الطيب و بودة و المحلات المنتشرة حولهما. أدى هذا التركيز و التنوع إلى استقطاب الساكنة من جميع قصور الولاية من أجل اقتناء الحاجيات الضرورية والاستفادة من الخدمات المتنوعة. كما عرفت مجمعة زاوية كتنه في الآونة الأخيرة نموا تجاريا كبيرا. ساهم في ذلك موقعها الجغرافي إذ تعتبر منطقة توات الوسطى و الطريق رقم (06) الذي يمر داخل المجمعة الذي أدى إلى استقطاب مختلف الأنشطة التجارية و الخدماتية خاصة بعد التوسع المحلي الذي عرفته. في حين برزت مجمعة رقان في جنوب المنطقة، اذ تعتبر نقطة ربط توات بالأقاليم الأخرى، تيديكلت من الشمال الشرقي و تانزروفت من الجنوب. امتازت رقان بحكم موقعها في الشبكة العمرانية لإقليم توات بتركز تجاري وخدماتي. مجسدة الدور الوظيفي و الإداري الذي تميزت به من خلال التنظيمات الادارية ابان الفترة الاستعمارية وبعد الاستقلال.



الصورة رقم (29):
سوق دينار طيب
بمدينة ادرار



الصورة رقم (30):
السوق الجواوي
(مولاي علي بلحاج)
بزاوية كتنه

جدول رقم (30): الأماكن التي يتردد عليها أرباب الأسر من اجل التسوق حسب بلديات توات

المجموع	فنوغيل		سبع		سالي		ز. كنته		رقان		تيمي		تمنطيط		تاسبيت		تامست		بودة		انجزمير		أدرار			
	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد		
54,9	192	45,0	9	87,5	7	15,0	3	20,0	8	5,0	3	90,0	18	61,1	11	83,3	20	44,4	8	94,4	17	29,2	7	96,3	77	أسواق مدينة أدرار
18,9	66	-	-	-	-	55,0	11	-	-	90,0	54	-	-	-	-	-	-	5,6	1	-	-	-	-	-	-	سوق رقان
13,1	46	15,0	3	-	-	-	-	77,5	31	-	-	-	-	-	-	-	-	33,3	6	-	-	25,0	6	-	-	سوق ز كنته
2,6	9	20,0	4	-	-	-	-	-	-	-	-	5,0	1	16,7	3	-	-	-	-	5,6	1	-	-	-	-	مقر البلدية
6,9	24	15,0	3	-	-	30,0	6	2,5	1	-	-	5,0	1	16,7	3	16,7	4	16,7	3	-	-	12,5	3	-	-	مستوى القصر
3,7	13	5,0	1	12,5	1	-	-	-	-	5,0	3	-	-	5,6	1	-	-	-	-	-	-	33,3	8	3,8	3	أماكن أخرى
100	350	20		8		20		40		60		20		18		24		18		24		25		80		المجموع

المصدر: التحقيق الميداني 2014

ما ميز مجالات النفوذ التجارية بتوات أنها تتشكل من خلال ثلاث مراكز عمرانية ذات ادوار وظيفية. جذبت حولها سكان القصور القريبة منها. فمدينة أدرار ترسم حولها مجال نفوذ واسع شمل جميع بلديات الولاية نظرا للتركز الكبير للأنشطة التجارية بها (سوق دينار طيب، وسوق بودة). كذلك لاحظنا بروز مجمعة زاوية كنته من خلال التركيز الكبير للأنشطة التجارية بها إضافة إلى توفرها على سوق جوارى. عملت هاته الخدمات على استقطاب سكان القصور القريبة من المجمعة، امتد مجال نفوذها ليلبغ قصور بلديات تامست وفنوغيل من الشمال وقصور بلدية انزجير من الجنوب. كما برزت مجمعة رقان في الجنوب من خلال تركيز الأنشطة التجارية بها فشمّل نفوذها قصور بلديات سالي و انزجير.

إضافة إلى تواجد بعض المراكز التي عرفت نمو بعض النشاطات التجارية فاحتوت محلات جذبت حولها سكان القصور القريبة منها على غرار تمنطيط، تيدماين مقر بلدية انزجير، و ز.س ع القادر مقر بلدية فنوغيل.



الخريطة رقم (20): مجالات النفوذ التجارية لمدينة ادرار بتوات

يقصد أرباب الأسر المحقق معهم أسواق مدينة ادرار بشكل كبيراً 54%. إذ تعتبر ادرار الوجهة الأقرب لأرباب الأسر المنتمين للبلديات بودة، تيمي، سبع، تساييت، تمنطيط بنسب بلغت على التوالي: 94.4%، 90%، 87.5%، 83.3%، 61.1% إضافة إلى عدم توفرها على أسواق أو محلات موازية لتلك المتواجدة بمركز ادرار، بينما لوحظ الاعتماد على بعض المحلات المتواجدة بمقرات البلديات المذكورة بنسب لم تتعدى 5%. نفس الشيء بالنسبة إلى اعتمادها على المحلات المتواجدة على مستوى القصور بنسب قليلة لم تتعدى 7% اقتصرت أغلب هاته المحلات على المواد الغذائية (الجدول 30).

كما لاحظنا اعتماد أرباب الأسر المنتمين للبلديات المتبقية (تامست، انجزمير، فنوغيل، زاوية كنته، سالي، رقان) على أسواق مدينة ادرار، نظراً لتوفرها على التنوع في السلع وتركزها بشكل كبير عكس المراكز الأخرى، إضافة إلى اعتبارات مكان العمل بالنسبة للعاملين بادرار والمنتمين للبلديات الأخرى إذ تعتبر أسواق المدينة الوجهة الأولى لتسوقهم (الخريطة رقم 20).

بينما يقصد أرباب الأسر أسواق رقان بنسبة لم تتعدى 20%، اقتصر على قاطني البلديات القريبة من المركز على غرار سالي، إضافة إلى قصور بلدية رقان (الخريطة رقم 22). في حين يقصد أرباب الأسر أسواق زاوية كنته بنسبة 13.3%. اقتصر النسبة على قاطني قصور بلدية زاوية كنته إضافة إلى البلديات المجاورة على غرار انجزمير، تامست و فنوغيل بنسب 33.3%، 25%، 15% على التوالي (الخريطة رقم 21). نظراً لاحتواء مركز زاوية كنته على سوق جوارية إضافة إلى تطور الأنشطة التجارية بما عملت على استقطاب سكان قصور البلديات المذكورة. في حين سجلنا عدم اعتماد أرباب الأسر على المحلات المتواجدة بمقر بلديات عدا مقر بلدية فنوغيل الذي يعرف تواجد لبعض المحلات التي في الواقع لم ترقى إلى المستوى. كما قل الاعتماد على المحلات المتواجدة بالقصور حيث لم تتجاوز النسبة 15%.

كما تعبر الأماكن الأخرى لقضاء الحاجيات عن المراكز التي يختارها أرباب الأسر والتي تكون خارج نطاق بلدياتهم وتعتبر كذلك عن الأماكن التي لا يقصدونها إلا في بعض الحالات.



الخريطة رقم (21): مجالات النفوذ التجارية لمجموعة زاوية كنتة بتوات



الخريطة رقم (22): مجالات النفوذ التجارية لمجموعة رقان بتوات

5- شبكة النقل ودورها في التنظيم المجالي بتوات

تعتمد شبكة النقل اعتمادا كبيرا على مجموع الطرق المترابطة التي تحدث عليها الحركة ولكن إلى جانب وظيفتها في نقل السلع والأفراد فهي تؤدي إلى ربط المواقع ببعضها البعض. كما يؤثر النقل بأنماطه وتنظيماته تأثيرا مباشرا على كل الأنشطة البشرية. تعمل وسائل النقل على فك العزلة وربط السكان بالعالم الخارجي المحيط بهم وتسمح بالتواصل الاجتماعي وقضاء الحاجيات.

من خلال شبكة النقل يمكن معرفة كيفية تنظيم وتفاعل العلاقات بين المراكز العمرانية في إقليم مترامي الأطراف. فالشبكة تعتبر أداة ترابط الأدوار الإقليمية و الأداء المجالي بين المراكز وما حولها من المجمعات ومن ثم خلق ديناميكية وحركية مجالية من خلال تلك الشرايين التي تغذيها خطوط النقل وتمدها بالحركة والنشاط الدائم.

ضرورة التنقل بين المراكز العمرانية في منطقة صحراوية تتطلب شبكة نقل يكون تشكُّلها بصفة دائمة من الخطوط البرية التي تربط تلك المراكز فيما بينها من خلال الطرق الوطنية والولائية. يشكل النقل البري الركيزة الأساسية في شبكة النقل بتوات خصوصا و ادرار عموما، وهذا من خلال النقل الجماعي الذي يفعل حركية وتردد السكان من أجل قضاء الحاجيات والاستفادة من مختلف الخدمات التعليمية والصحية والإدارية. تتركز الشبكة على عنصرين هامين، أولهما منشآت النقل ووسائله وثانيهما خطوط النقل واتجاهاته.



الصورة رقم (31): المحطة البرية للنقل ما بين البلديات 2015

وترتبط كثافة النقل بحجم وديناميكية المركز المقصود وفي بحثنا هذا وحسب التحقيقات الميدانية وجدنا أن النقل له دور فعال في التحولات والديناميكية التي تعرفها المنطقة فسكان توات يعتمدون على النقل الجماعي بشكل كبير جدا في تنقلاتهم خاصة باتجاه مدينة أدرار. ونعتمد في بحثنا هذا على دراسة خطوط النقل النشطة داخل الإقليم لمعرفة مدى تأثير الشبكة على الإقليم.

5-1- خطوط النقل المحلية بتوات: إنظام طولي أحادي القطب

من خلال دراسة خطوط النقل المحلية بتوات استنتجنا أنها تنتظم بشكل موحد إذ ينطلق أغلبها من الأطراف لتصب كلها بالمدينة أدرار التي تعتبر نقطة الالتقاء لمختلف منشآت النقل الوافدة من كل البلديات. ولضمان عمليات النقل للمسافرين على مستوى الإقليم وتغطية مجمل الحركات اليومية للسكان سواء بين مقر الولاية وبلدياتها أو بين المراكز فيما بينها أنشأت عدة خطوط تربط المدينة بمقرات البلديات.

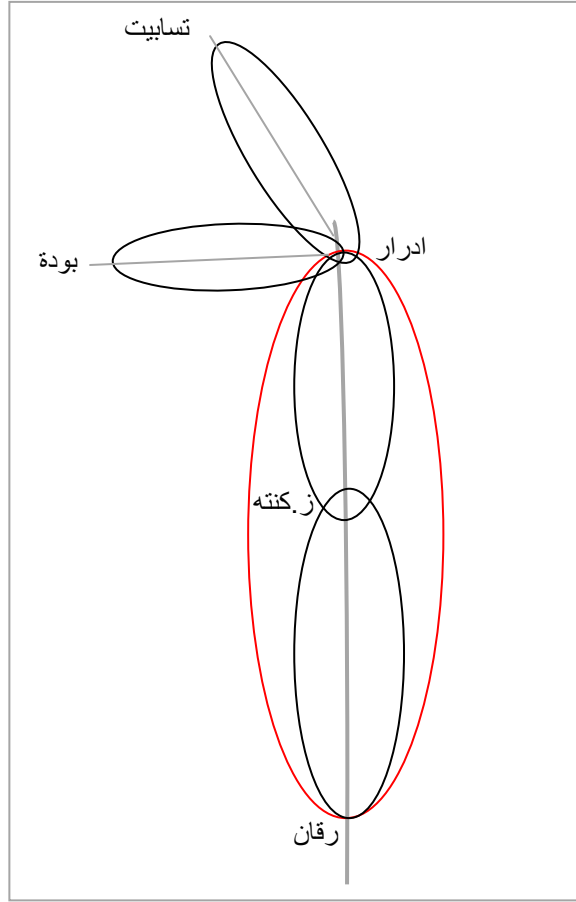
الجدول رقم (31) : خطوط نقل المسافرين المحلية على مستوى إقليم توات

الرقم	الخط	عدد المركبات	عدد المقاعد
01	أدرار - بودة	25	471
02	أدرار - تسابيت	50	839
03	أدرار - فنوغيل	33	615
04	أدرار - تامست	28	532
05	أدرار - زاوية كنته	31	552
06	زاوية كنته - رقان	3	60
07	أدرار - انجزمير	32	626
08	انجزمير - رقان	4	58
09	أدرار - سالي	22	397
10	سالي - رقان	3	40
11	أدرار - رقان	52	1301
مجموع الإقليم		283	5491

المصدر : مديرية النقل لولاية أدرار 2014

من خلال جدول توزيع خطوط نقل المسافرين المحلية على مستوى الإقليم، نجد أنها تربط اغلب بلديات توات بمقر الولاية والتي تعتبر بعيدة عنها نسبيا بمسافة تزيد عن 30 كلم تقريبا والتي تقع خارج عن نطاق مجمعة أدرار. وبهذا التقسيم يتوفر الإقليم على 11 خطا محليا، بمجموع 283 حافلة تحتوي في مجملها على 5491 مقعد.

فمن خلال عدد حافلات كل خط يمكن تفسير مدى حركية المتنقلين بالنسبة لكل بلدية من وإلى مدينة أدرار، فنجد ان خط ادرار-رقان في مقدمة ترتيب الخطوط من حيث عدد المركبات بـ 52 والتي توفر 1301 مقعد. هذا يدل على الأعداد الكبيرة للمتقلين من رقان باتجاه مدينة ادرار، و هو طبيعي نظرا لموضع الجمعية الجغرافي، فهي تعتبر همزة وصل بين إقليم توات والأقاليم الأخرى جنوبا؛ فهي تربط إقليم توات بإقليم تانزروفت من خلال الخط الرابط بين رقان- وبرج باجي المختار على امتداد الطريق الوطني رقم (06) من ناحية الجنوب. وكما أنها تربط توات بالتيديكلت بواسطة الطريق الوطني رقم (52) الرابط بين رقان -و أولف. في حين يأتي خط أدرار- تساييت في المرتبة الثانية بـ 50 حافلة أي إجمالي 839 مقعد، وهذا ما يفسر حركية سكان البلدية الكبيرة. فبالرغم من ان تساييت تقع في الشمال إلا أنها البلدية الأكثر تبعية لمدينة أدرار من خلال الخدمات. ثم تتتالي خطوط البلديات الأخرى (فنوغيل، زاوية كنته، انجزمير، تامست، بودة) بأعداد للمركبات يفوق 20 حافلة. من جهة أخرى نجد بعض الخطوط المستحدثة والتي تعتبر تدعيمية (زاوية كنته - رقان، انجزمير -رقان و سالي -رقان)، يتوفر معظمها على 4 حافلات فقط بمجموع 40 إلى 50 مقعد. يكمن دور هاته الخطوط في ربط تلك المراكز بمجمعة رقان. وهذا ما يفسر تبعية بلديات (زاوية كنته، انجزمير، سالي) لمجمعة رقان وخاصة من خلال الخدمات الصحية وبعض الهياكل الإدارية.



الشكل رقم (11):

تداخل حلقات خطوط

النقل بتوات

تختلف حلقات خطوط النقل المحلية المنطلقة من أدرار فيما بينها فنجد الحلقة الكبرى تشكلها من أدرار - رقان. التي تحتوي بداخلها جميع حلقات التنقلات التي تخص بلديات توات المحصورة بين أدرار ورقان: حلقة التنقلات من أدرار - سالي، حلقة التنقلات أدرار - انزجير، حلقة التنقلات أدرار - ز. كنته، حلقة التنقلات أدرار - تامست، حلقة التنقلات أدرار - فنوغيل وحلقة التنقلات أدرار - تمنطيط.

كما تحتوي بداخلها حلقة تنقلات صغيرة والتي تخص بلديات توات المحصورة بين رقان زاوية كنته: حلقة تنقلات ز. كنته - رقان، حلقة تنقلات انزجير - رقان وحلقة تنقلات سالي - رقان. وترجع عوامل تداخل هاته الحلقات إلى توضع مجمعات توات على امتداد الطريق الوطني رقم (06) الذي يعد محورا رئيسيا لحركة التنقلات. في حين سجلنا حلقتي منفردتين أدرار - بودة و أدرار - تسابيت. عملت هاته الحلقات على ترابط أجزاء إقليم توات شمالا وجنوبا وسهلت من حركة الساكنة بين المجمعات.

2-5- النقل شبه الحضري بتوات

تشمل خطوط النقل شبه الحضري البلديات القريبة من مقر الولاية. و المحيطة بالنطاق الحضري لمجموعة أدرار وتضم قصور بلديات: تيمي، تمنطيط و بودة. حيث لا تزيد المسافة بينها ومركز المدينة عن 20 كلم. تختلف الخطوط فيما بينها من حيث عدد الحافلات. تعتمد هاته الخطوط إضافة الى الحافلات الصغيرة على حافلات ذات حجم كبير من صنف 100 مقعد.

الجدول رقم (32): خطوط النقل شبه الحضري بإقليم توات

الرقم	الخط	عدد المركبات	عدد المقاعد
01	أدرار - مراقن	2	115
02	أدرار - اولاد ابراهيم	8	237
03	أدرار- تمنطيط	5	121
04	أدرار - بودة (المنصور)	10	256
05	أدرار- بوفادي	2	130
06	أدرار- المهديّة (تيمي)	9	266
	مجموع الإقليم	36	1125

المصدر: مديرية النقل لولاية أدرار 2014 + التحقيق الميداني

تختلف الخطوط شبه الحضرية بالمنطقة من حيث عدد الحافلات فنجد خط أدرار-بودة (المنصور) في مقدمة هاته الخطوط بـ 10 حافلات والتي تتوفر على 256 مقعد. نظرا لحجم التنقلات اليومية الكبيرة للسكان من هذا المركز أو من القصور القريبة منه باتجاه مقر الولاية. ثم يأتي خط أدرار - المهديّة (تيمي) في المرتبة الثانية بـ 9 خطوط ثم كذلك خط أدرار - اولاد ابراهيم بـ 8 خطوط تتوفر على 237 مقعد. ثم تأتي الخطوط الأخرى التي تربط المدينة أدرار بالمراكز تمنطيط، بوفادي، مراقن باعداد للحافلات تراوحت بين 5 الى حافلتين. ما يميز هاته الخطوط الحركة الدائمة وكثافة التنقلات نظرا لقصر المسافة بين مدينة أدرار و مراكز الانطلاق.

نستخلص مما سبق أن مدينة أدرار تعتبر نقطة مركزية تربط مجال توات لتعدد خطوط النقل التي تصب بها وهذا منطقي لاعتبارات وظيفية؛ إضافة إلى أنها مقر الولاية أدرار فهي مدينة أو مركز

عمراني تتركز وتتكتل فيه مختلف الأنشطة الخدماتية، الإدارية والصحية والتي لا يمكن أن توجد على مستوى المراكز العمرانية الأخرى بالإقليم.

6- ادوار وظيفية بتوات تعدت حدود الإقليم

عرف توات ادورا وظيفية ومجالية نظرا لإعتبارات منها التنظيم المجالي الذي عرفه ، إضافة إلى توسطه لإقليمي قورارة و تيديكلت. اذ لعب دور مهم في الشبكة العمرانية المكونة أساسا من تكتل هاته الأقاليم الثلاثة. إضافة لاحتواء توات لمدينة ادرار مقر الولاية، التي أصبحت مركزا عمرانيا هاما تتركز فيه مختلف الأنشطة الخدماتية، الإدارية والصحية كل هاته العوامل فعلت من الدور الوظيفي لتوات محليا وجهويا وحتى وطنيا.

تجسد الأداء المجالي لتوات من خلال الأدوار الوظيفية؛ الدينية والصحية والخدماتية داخل الإقليم وخارجه، إضافة إلى حركية الساكنة اليومية التي ترجمتها خطوط النقل المحلية والتي تصب بالمراكز البارزة على غرار مدينة ادرار. فالوظائف الدينية بتوات خلقت مجالات نفوذ واسعة تعدت حدود الإقليم. فلم تنحصر الأعداد الوافدة إلى الزاوية الكبيرة على منطقة توات بل شمل نفوذ الزاوية ربوع الولاية أدرار (تميمون، شروين، اولف، ب.ب. المختار)، بل تعدى ذلك إلى بعض ولايات الشمال (تلمسان، معسكر، مستغانم، وهران، بشار، الجلفة و البيض ...) وكذا إلى بعض البلدان الإفريقية المجاورة (مالي، النيجر، موريتانيا). كما امتد نفوذ الزاوية الرقانية حتى تيديكلت الغربي و برج باجي مختار من الجنوب، تستقطب الزاوية كذلك الطلبة من بعض البلدان الإفريقية (مالي و النيجر). فالأداء المجالي لتوات تأثر بالوظائف الدينية من خلال مجالات نفوذ الزاوية الكبيرة والرقانية جهويا وحتى وطنيا (الخريطة رقم 23).

كما فعلت الوظائف الصحية من الأداء المجالي لتوات من خلال مؤسستين بارزتين (مستشفى ابن سينا و مستشفى رقان). اذ رسمتا حولهما مجالات نفوذ محلية واسعة. فتعدى نفوذ مستشفى ابن سينا حدود "القطاع الصحي ادرار" ليشمل جميع بلديات الولاية. وهذا راجع إلى كون المستشفى يستقبل الحالات المستعجلة والحرجة. إضافة إلى انه يضم تخصصات طبية متعددة ومخابر تحليل متطورة والتي تستوجب التنقل إلى مقر الولاية لغيابها في المؤسسات الصحية الأخرى. بينما انحصر نفوذ مستشفى رقان على القطاع الصحي الذي ضم بلديات: التيديكلت الغربي، زاوية كنته، انجزمير، سالي، ب. ب. المختار).



الخريطة رقم (23): الأداء الجاهلي لتوات من خلال؛ الوظائف الدينية، الصحية، التجارية و التوزيع الجاهلي لخطوط النقل المحلية

في حين عكست الوظائف التجارية الأداء المجالي لتوات من خلال مراكز عمرانية بارزة استفادت من تطورا كبيرا في الأنشطة التجارية من خلال الأسواق والسواق الجوارية، إضافة إلى المحلات المتركزة بها على غرار مدينة ادرار التي تستقطب سكان القصور من جميع بلديات الولاية. إضافة إلى مركزي رقان و زاوية كنته، إذ يستقطبان سكان القصور المحيطة بهما، حيث شهدا نمو وتطورا للوظائف الخدمائية بشكل عام.

كما خضعت تنقلات السكان اليومية بالمنطقة لتطور خطوط النقل المحلية وهذا ما اتضح لنا من خلال تعدد الخطوط و كثافة حركة السكان. وخاصة باتجاه مدينة ادرار التي تعتبر نقطة مركزية تربط مجال توات، بل تربط بشكل أوسع إقليم قورارة و تيديكلت الغربي، لتعدد خطوط النقل التي تصب بها. وهذا منطقي لاعتبارات وظيفية؛ إضافة إلى أنها مقر الولاية أدرار فهي مدينة أو مركز عمراي تتركز وتتكتل فيه مختلف الأنشطة الخدمائية، الإدارية والصحية والتي لا يمكن أن توجد على مستوى المراكز العمرانية الأخرى بالإقليم. فاحتوت كذلك على تجهيزات ذات بعد إقليمي كالجامعة والبنوك وكذا الصحية؛ مستشفى ابن سينا ومختلف العيادات الخاصة باختلاف اختصاصاتها وكذا مخابر التحليل الطبي ناهيك عن أسواق المدينة (سوق دينار الطيب وسوق بودة) من خلال النشاط التجاري.

لاحظنا تواجد خطوط النقل من جميع البلديات تقريبا والتي اختلفت في بينها من حيث عدد مركبات النقل الدالة على عدد المتنقلين عبر كل خط. سجلنا بروز خطي رقان-ادرار وتسايت-ادرار بين الخطوط المحلية باحتوائهما على أكبر عدد لمركبات النقل. كما سجلنا بعض الخطوط التي تصب ببعض المركز العمرانية البارزة. فالخطوط المحلية التالية: زاوية كنته-رقان، سالي-رقان، أنجزمير-رقان وب.ب المختار- رقان. تصب جميعها بمركز رقان. فأصبحت بذلك نقطة حيوية تستقطب حولها السكان المحيطين بها (الخريطة 23).

خلاصة :

تقتضي دراسة الأداء المجالي بتوات تحليل بعض مجالات النفوذ البارزة بالإقليم. فتواجد الأنشطة الخدمائية وتركزها بالمراكز العمرانية تولدت عنه حركية لسكان القصور حولها من أجل قضاء المستلزمات. إعمدنا في تحليل الأداء على مجالات النفوذ التي تشكلها بعض التجهيزات الصحية فسجلنا شمول نفوذ مستشفى ابن سينا جميع بلديات توات، بل تعداها إلى بلديات الولاية الأخرى

بسبب توفره على اغلب التخصصات. كما سجلنا ان المستشفى يستقطب أكثر مرضى البلديات القريبة من مقر الولاية (بودة، سبع، تمنطيط). كما أن نفوذ مستشفى رقان شمل بلديات القطاع الصحي التابعة لرقان و يستقطب أكثر المرضى من بلديات: سالي وأنجمير بالإضافة إلى قصور بلدية رقان.

كما أن للزوايا دور وظيفي و مجالات نفوذ متباينة تمت معالجته من خلال ثلاثة زوايا بارزة بالمنطقة (الزاوية الكبيرة ، الزاوية الرقانية والزاوية الكنتية). اتسع مجال نفوذ الزاوية الكبيرة ليشمل جميع بلديات توات، مع تسجيل لاستقطاب كبير للطلبة من البلديات القريبة تيمي وتمنطيط و بلدية بودة بحكم انتماء الشيخ لها (تمثل مكان نشأة الشيخ محمد بل كبير). كما بلغ نفوذها بلديات الولاية (تيميون، شروين، طلمين..). بل تعداها إلى ولايات (البيض، بشار). كما سجلت الزاوية الرقانية مجال نفوذ شمل اغلب بلديات توات والملاحظ بأنها تستقطب أكثر الطلبة من البلديات المجاورة: سالي و ز. كنته. كما امتد نفوذ الزاوية حتى برج باجي مختار من الجنوب. و تستقطب الزاوية الطلبة من بعض البلدان الإفريقية (مالي و النيجر). أما عن الزاوية الرقادية بزواوية كنته فسجلنا تقلص نفوذها لشمّل فقط قصور البلدية و البلدات المجاورة (تامست، فنوغيل).

كما حددت النشاطات التجارية مجالات نفوذ لعدد من المراكز العمرانية إذ تمثل أدرار أهم مركز في الإقليم و الولاية من خلال الأسواق والمحلات التجارية المتواجدة بها. استخلصنا أن المدينة ترسم مجال نفوذ واسع شمل جميع بلديات الولاية نظرا لتركز الكبير للأنشطة التجارية بها (سوق دينار طيب، وسوق بودة). كذلك لاحظنا بروز مجمعة زاوية كنته من خلال التركز الكبير للأنشطة التجارية بها إضافة إلى توفرها على سوق جوازي. عملت هاته الخدمات على استقطاب سكان القصور القريبة من المجمعة فامتد مجال نفوذها ليبلغ قصور بلديات تامست و فنوغيل من الشمال وقصور بلدية أنجمير من الجنوب. كما برزت مجمعة رقان في الجنوب من خلال تركيز الأنشطة التجارية بها فشمل نفوذها قصور بلديات سالي و إنجمير.

عملت شبكة النقل على تفعيل الأداء المحلي للمراكز من خلال ربط المجمعات و تنظيم وتسهيل حركة الساكنة داخل الإقليم و خارجه و تشكلت حلقات للتنقلات داخل مجال توات، مركزها مثلته مدينة أدرار باعتبارها مقرا للولاية و تضم جميع الهياكل الإدارية و الخدمائية.

الخلاصة العامة

الخلاصة العامة:

يعتبر إقليم توات أهم حلقة في الشبكة العمرانية المتشكلة من الكتل الثلاث (توات، قورارة و تيديكلت) و يضم أكبر عدد من المجمعات القصورية المكونة لولاية أدرار. انتظمت و تراصفت قصور توات على امتداد وادي مسعود من الشمال إلى الجنوب و ساهمت في وجودها طبيعية المنطقة الصحراوية و توفر منابع المياه على حواف هضبة تادمايت و كذا الظروف التاريخية و دور القوافل التجارية و الأجناس التي سكنت المنطقة.

برزت قصور توات و عرفت علاقات تجارية و علمية بلغت أصقاع بلاد الساحل مستفيدة من توضعها على محور حركة القوافل التجارية. ضم إقليم توات 145 قصرا، أسس بعضها على يد المتصوفة و رجال الدين و البعض الآخر على يد القبائل أو العوائل.

عملت الزوايا و مجلس الجماعة على هيكلة المجتمع القصورى لعقود طويلة و مثلت هيئات للتنظيم المحلي لتوات إلى غاية الفترة الاستعمارية أين عرف التنظيم تحولات و تغيرات في الأدوار الوظيفية للقصور. فعمل الاستعمار على نقل عاصمة الإقليم من تمنطيط إلى أدرار و استحدث مراكز إدارية من أجل بسط سيطرته على المنطقة فعين "القايد" على رأس كل مقاطعة كمثل للسلطة الاستعمارية، يسهر على تطبيق القوانين و الختم على الوثائق المدنية. كما يقوم بجمع الإتاوات و نقل مطالب و شكاوى الساكنة.

مثلت عناصر الثلاثية (فقارة-واحة-قصر) المجال السكني المكون الأساسي للشبكة العمرانية بتوات. فتأثرت الشبكة بالتقسيمات الإدارية التي سمحت بإعادة هيكلتها بإرساء أدوار وظيفية جديدة للقصور مثلة مراكز رئيسية تدعمت بمختلف التجهيزات. كما تأثرت الشبكة بالنمو الديموغرافي السريع و الزيادة المستمرة في معدلات التحضر التي عرفتها المنطقة. فتباينت المجمعات من حيث الحجم السكاني حسب معطيات التعدادات المتتالية (77-87-98-08) و افرز تحليل البنية الهرمية لهذه المجمعات إلى تشكل مستويات تراتبية حافظت بها مدينة أدرار على مستواها في قمة الترتيب بحجم سكاني بلغ 64781 نسمة حسب معطيات إحصاء سنة 2008. في حين جاءت المجمعات في مستويات انحصرت بين 500-10000 نسمة مع بروز لتجمع تيلولين و إن كان مجموعة ثانوية بتركز سكاني فاق 5000 نسمة حسب تعداد 2008. كما شهدت المجمعات تحولات في

النمطية الحضرية خلال مختلف التعدادات، فمثلت مدينة أدرار المجموعة الحضرية الوحيدة إضافة إلى مجموعة شبه حضرية مثلتها مجموعة رقان بينما بقيت المجموعات الأخرى ريفية.

كما تأثرت الشبكة العمرانية بشبكة الطرق المختلفة، التي عملت على هيكلية مجال توات محليا وفعلت من دوره بين أقاليم الولاية؛ تديككت من الشمال الشرقي، قورارة من الشمال و تانزروفت من الجنوب. وتشكلت الطرق بالمنطقة من الطريق الوطني رقم (06) الذي تراصت قصور المنطقة على طول امتداداه من الشمال إلى الجنوب إضافة إلى الطرق الولائية والبلدية التي زادت من ترابط القصور بالطريق الرئيسي (الطريق الوطني).

فبالحديث عن التحولات المحلية و المورفولوجية التي عرفتها قصور توت فطبعتها حتميات التوسع خارج نطاق القصبات استجابة لجميع عمليات التوسع المحلي للبنية العمرانية في إطار البرامج السكنية التي أعقبت الاستقلال، نذكر منها برامج التجزئات العقارية، السكن الاجتماعي و السكن الريفي. ساهمت جميعها في زيادة الإطار العمراني المحلي بالقصور، آخذت بذلك شكلا منتظما للتوسع، كما حملت تلك المساكن طابع معماري حديث اختلف بشكل كلي عن الطابع المميز لها بنطاق القصة فشمّل التحديث وسائل البناء و التصميم. صاحب تتالي هاته البرامج السكنية ديناميكية محلية داخلية للمجتمع معتمدة على البناء الذاتي للمساكن، جاء هذا نتيجة للتحول في البنية المهنية للمجتمع التواتي التي عرفت التوجه نحو قطاع الأخرى بدلا من نشاط الفلاحة الذي تحول من نشاط رئيسي إلى ثانوي وبالتالي اعتمد السكان موارد اقتصادية جديدة للدخل.

فالفلاحة اعتبرت منذ عقود النشاط الأول الذي عرف بالمنطقة والتي جسدت على ارضي الواحة. كما مثلت فئة الحراثين اليد العاملة بالقطاع من خلال الطرق غير المباشرة للاستغلال (الخراسة و الخماسة) . لكن القطاع التقليدي (الواحة) عرف تراجعاً كبيراً بسبب تناقص منسوب الفقاقير وكذا هجرة اليد العاملة (فئة الحراثين) التي مثلت أغلبية المستفيدين من الأراضي في إطار سياسة الاستصلاح الزراعي.

تمثل الاستصلاح بالمنطقة بنوعيه الصغير والكبير من خلال محيطات توزعت بجانب المجمعات السكانية؛ شمل الاستصلاح الصغير 61 محيطة كما مثل الاستصلاح الكبير 7 محيطات، اعتمد الاستغلال بها على تقنيات الرش المحوري والبيوت البلاستيكية. عرفت بعض هاته المحيطات نشاطا دائما على غرار محيط سطح عزري بزاوية كنته الذي بلغت نسبة الاستغلال به 16.9%.

في حين بقي نشاط الصناعة ضعيفا واقتصر على بعض الوحدات الخاصة والعمومية على غرار مجمع سبع للصناعات البترولية، وحدة المطاحن ، المحاجر، مصنع المكيفات والإنشاءات المعدنية بالمنصورية و مصنع الطماطم برقان. أما عن التجهيزات فتنوعت وانتشرت بالمنطقة بعد سلسلة التنظيمات الإدارية التي مست المراكز التي تدعمت بموجبها بمختلف الهياكل الإدارية والخدماتية. فسجلنا تركيز مختلف التجهيزات بمقر الولاية ورقان مما أدى إلى نشوء حركية حولها للسكان من اجل الاستفادة من مختلف الخدمات الصحية والتعليمية و الترفيهية. فلعبت بعض المراكز اداءا مجاليا من خلال تلك التجهيزات و شكلت مجالات النفوذ التي يُعتمد في تحديدها على إبراز أهمية بعض المراكز من خلال مؤشرات خدماتية (دينية، صحية، تجارية). فالنسبة للخدمات الصحية، سجلنا مجال نفوذ مستشفى ابن سينا الواقع بمقر الولاية أدرار من خلال عدد المرضى الوافدين إليه فاستنتجنا أن نفوذ المستشفى شمل جميع بلديات توات بل تعدها إلى بلديات الولاية ككل باعتباره المؤسسة الوحيدة المتوفرة على اغلب التخصصات والمجهزة بأحدث الوسائل الطبية. كما سجلنا نفوذ مستشفى رقان الذي شمل بلديات القطاع الصحي لرقان فقط. قمنا كذلك بتتبع نفوذ الزوايا بتوات من خلال ثلاث زوايا معتمدين على الأصل الجغرافي للطلبة. فشمل نفوذ الزاوية الكبيرة اغلب بلديات إقليم توات بل تعدها إلى بلديات قورارة (شروين، تميمون) ليصل إلى خارج الولاية (ولايات: البيض، بشار). أما عن نفوذ الزاوية الرقانية فامتد ليشمل اغلب بلديات توات بل امتد نفوذها حتى بلديات التيدكلت وكذا برج باجي المختار جنوبا. أما عن نفوذ الزاوية الكنتية فعرف تقلصا كبيرا واقتصر على قصور بلديات زاوية كنته و البلديات القريبة منها (تامست، فونغيل).

كما شكلت الخدمات التجارية مجالات نفوذ من خلال الحركة الدائمة للسكان باتجاه أسواق مدينة أدرار التي امتد نفوذها لجميع بلديات توات من اجل اقتناء المستلزمات، المعروف بان أسواق المدينة تشهد تنوعا كبيرا واختلفت نسبة التوافد بين البلديات المجاورة للمدينة منها عن البلديات البعيدة نسبيا والتي بها أسواق جوارية على غرار (زاوية كنته و رقان). كما سجلنا كذلك بروز لسوق رقان، الذي يشهد توافدا دائما من قصور البلديات المجاورة كما يصل مجال نفوذه إقليم التيدكلت وبرج باجي المختار. سجلنا كذلك بروز مجمعة زاوية كنته من خلال تركيز للنشاطات التجارية بها من خلال المحلات والسوق الجوازي. تشهد المجمعة التوافد اليومي للسكان من قصور زاوية كنته والبلديات المجاورة (تامست، أنجمير).

استخلصنا بان الأداء المجالي بتوات يرتبط بتواجد الأنشطة الخدماتية وتركزها بالمراكز العمرانية لتتولد بذلك حركية للسكان من القصور باتجاه تلك المراكز. وبالتالي توضح مجالات النفوذ علاقات وظيفية ناتجة عن توزيع الأنشطة الخدماتية بالمركز وعلاقته بالقصور القريبة منه.

أهم المراجع:

1- المراجع بالعربية :

1-1- الكتب:

- عبد القادر حليمي. 1968، جغرافية الجزائر دراسة طبيعية، بشرية، اقتصادية. الطبعة الأولى المطبعة العربية الجزائر - 349 صفحة.
- جاكلين بوجوقارني. 1987، الجغرافيا الحضرية، ترجمة عبد القادر حليمي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر.
- عبد الفتاح وهيبة. 1980، جغرافية العمران، دار النهضة العربية للطباعة و النشر - بيروت.
- محمد الهادي لعروق. 1984، مدينة قسنطينة دراسة في جغرافيا العمران، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر.
- بشير التيجاني. 2000، التحضر والتهيئة العمرانية في الجزائر، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، بن عكنون. الجزائر.
- محمد باي بلعالم. 2005، الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، الجزء الأول والثاني. دار هومة الجزائر.
- فرج محمود فرج. 1977، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، ديوان المطبوعات الجامعية.
- احمد أبالصافي جعفري. 2008، من تاريخ توات - أبحاث في التراث - ادرار/الجزائر.
- الصديق حاج احمد. 2003، التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن 11هـ إلى 14هـ/17م إلى 20م، دار الثقافة لولاية ادرار. الطبعة الأولى.
- مقدم مبروك. 2008، التنظيم الواحي للمجتمع القصورى التواتي خلال القرن 18 و 19مىلادى. الجزء الثانى دار هومة الجزائر.
- مقدم مبروك. 2003، مدخل منوغرافى فى المجتمع التواتى. دار هومة الجزائر.
- مقدم مبروك. 2003، الاستيطان والتوطن بإقليم توات نماذج بإقليم توات، قورارة، تيديكلت دار الغرب للنشر والتوزيع وهران.
- عبد الرحمان السعدي. 1981، تاريخ السودان. طبعة هوداس باريس.

- أبو زيد عبد الرحمان ابن خلدون. 1989، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مقدمة بن خلدون، دار الكتاب اللبناني، ط2، بيروت.

1-2- المذكرات، الرسائل والأطروحات:

- الشيخ محمد وعبد اللوي عبد المالك. 2009، الشبكة الحضرية في الصحراء الجزائرية ولاية ادرار نموذجا مذكرة تخرج لنيل شهادة مهندس دولة في الجغرافيا والتهيئة العمرانية جامعة وهران.
- اعبله رمضان. 2008، تحولات السكن القصوري في منطقة توات حالة قصري تاوريت وانزقوف ببلدية رقان ولاية ادرار. مذكرة تخرج لنيل شهادة مهندس دولة في الجغرافيا والتهيئة العمرانية جامعة وهران.
- الذهبي احمد. 2009، محاولة منهجية لتحديد الفوارق المحلية في ولاية صحراوية (ادرار نموذجا). مذكرة تخرج لنيل شهادة مهندس دولة في الجغرافيا والتهيئة العمرانية جامعة وهران.
- إبراهيم عبد الله. 2010، التوسعات الحضرية الجديدة بالمدن الصحراوية حالة مدينة رقان. مذكرة تخرج لنيل شهادة مهندس دولة في الجغرافيا والتهيئة العمرانية جامعة وهران.
- اعبله جمال الدين. 2002، بوسليم عبد المالك. " التجهيزات الجماعية في قصور منطقة توات". مذكرة تخرج لنيل شهادة مهندس دولة في الجغرافية قسم الجغرافية والتهيئة العمرانية. جامعة وهران.
- بامو امحمد. 2011، تطور الشبكة العمرانية والهيكلة الحضرية في ولاية ادرار ما بين 1998 و2008 م مذكرة تخرج لنيل شهادة مهندس دولة في الجغرافيا والتهيئة العمرانية جامعة وهران.
- برباوي عائشة. 2000، من القصر إلى المدينة ديناميكية مدينة صحراوية في إقليم الساورة حالة القنادسة ولاية بشار، مذكرة تخرج لنيل شهادة مهندس دولة في الجغرافيا، جامعة وهران.
- ثياقة الصديق. 2006، النمط المعماري للمدينة الصحراوية ووظيفته الاجتماعية مقارنة أنثروبولوجية لقصر "تمنطيط" ادرار رسالة ماجستير في علم الاجتماع (أنثروبولوجيا) جامعة وهران..
- حمداوي العيد. 2013، التوسعات الحديثة للقصور القديمة الصحراوية في الجزائر وتحولاتها المحلية والإجتماعية والوظيفية حالة تمنطيط بادرار. مذكرة تخرج لنيل شهادة مهندس دولة في الجغرافيا والتهيئة العمرانية جامعة وهران.

- **حمو الزين.ع، قداوي.ن. 2002**، الفضاء القصورى ووظيفته داخل الأنسجة الحضرية وإشكالية اندماجه حالة مدينة ادرار، مذكرة تخرج لنيل شهادة مهندس دولة في الجغرافيا والتهيئة العمرانية، جامعة وهران.
- **خليفة عبد القادر.2003**، الهياكل الاجتماعية والتحويلات المحلية في النزلة -تقرت- مقارنة انثروبولوجية، رسالة ماجستير في علم الاجتماع (الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية) جامعة قسنطينة.
- **شطوف فتيحة. 2014**، ديناميكية التعمير بقصور قورارة ولاية ادرار، رسالة ماجستير في الجغرافيا والتهيئة العمرانية جامعة وهران.
- **عدون الطيب.2014**، الانماط الحضرية الجديدة بالمدن الصحراوية، حالة مدينة غرداية. رسالة ماجستير في الجغرافيا والتهيئة العمرانية جامعة وهران.
- **فارس جمال. 2006**، الديناميكية الحضرية في مدينة سيدي بلعباس مقارنة تحليلية ونقدية لأبعادها المحلية والسوسيو اقتصادية رسالة ماجستير في الجغرافيا والتهيئة العمرانية جامعة وهران.
- **فوندو قومة عبد الرحمان. 2006**، دراسة التوسعات الجديدة بمدينة ادرار. مذكرة تخرج لنيل شهادة مهندس دولة في الجغرافيا والتهيئة العمرانية جامعة وهران.
- **قومي محمد. 2005**، « نقل الرواة فيمن أبداع في قصور توات » تحقيق لمخطوط الشيخ محمد بن عمر البداوي مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس، في العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران.
- **قامو زهرة. 2011**، دراسة مجمعة محيطية ومدى ارتباطها بمدينة ادرار- حالة مجمعة تيمي- مذكرة تخرج لنيل شهادة مهندس دولة في الجغرافيا والتهيئة العمرانية جامعة وهران.
- **قامو مريم. 2013**، سيدي عمي فاطمة. التحويلات المحلية والوظيفية لمجمعة صحراوية واقعة بإقليم توات حالة مجمعة زاوية كنتة ولاية أدرار مذكرة تخرج لنيل شهادة مهندس دولة في الجغرافيا والتهيئة العمرانية جامعة وهران.
- **متوكل فاطمة و بريك نصيرة. 2003**، ديناميكية قصور بلدية تسابيت ودور مقر بلدية بن طلحة في تنظيم مجالها، مذكرة تخرج لنيل شهادة مهندس دولة في الجغرافيا، جامعة وهران.

- مدور وليد. 2010، التحولات الحضرية في منطقة جبلية حالة مراكز منطقة وادي عبدي (الاوراس) (ثنية العابد، شير، منعة، تيغرغار) رسالة ماجستير في التهيئة العمرانية جامعة منتوري قسنطينة.
- مدور يحيى. 2012، التعمير واليات استهلاك العقار الحضري في المدينة الجزائرية - حالة مدينة ورقلة- رسالة ماجستير في الهندسة المعمارية وال عمران جامعة الحاج لخضر باتنة.
- مولاي العربي. باحيني.م. 2006، الدور الإقليمي لمدينة ادرار من خلال التجهيزات والأنشطة التجارية، مذكرة تخرج لنيل شهادة مهندس دولة- في الجغرافيا والتهيئة العمرانية، جامعة وهران.
- هرياش زاجية. 2012، الوضع الاقتصادي في إقليم توات من خلال مخطوط الغنية في القرنين 12 و 13هـ/ 18 و 19م، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر جامعة وهران.

1-3- مقالات علمية:

- خلف الله بوجمعة. 2008، ملامح الاستدامة في العمارة وال عمران التقليدي الجزائري حالة قصر بوسعادة بالجزائر، مجلة العمران والتقنيات الحضارية. العدد 3
- خليفة عبد القادر. 2010، من القصر الصحراوي الى المدينة الحديثة ، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية. العدد الأول ص 126-140
- خليفة عبد القادر. 2008، مدن الصحراء الجزائرية في تحولات "قصور الأمس مدن اليوم" مجلة التفكير بالمدينة الجزائر. العدد الاول ص 10
- يوسف بدر الدين. 2011، مدينة ادرار وفق السياق الحضري الجديد: نحو تنظيم المجال الجهوي للأقاليم الصحراوية الجنوبية الغربية للجزائر ، مجلة الانسانيات مركز الابحاث الانثروبولوجية والعلوم الاجتماعية. العدد 50-51
- محمد باي بلعالم. 2000، أهداف نشأة الزوايا وواقعها في المنطقة، الملتقى الوطني الأول للزوايا بادرار، أيام 1، 2، 3 ماي ، ص 01.
- احمد جعفري. 2010 ، " الفَقَّارَة ... نظام السقي الصحراوي العجيب " مقال منشور بمجلة "تراث " الصادرة عن هيئة أبو ظبي للثقافة والإعلام .مدينة العين / الإمارات العربية العدد 131 أوت.
- ماركوت اختيار فضاء 1999.، اختيار مجتمع ،مجلة معالم المدينة وتنظيمها الحضري، العدد رقم 03، دار النشر مارينور ،ص 226.

1-4- مخطوطات:

- محمد بن عمر المبروك .نقل الرواة في من أبدع في قصور توات. خزانة كوسام .الورقة 4.
- محمد بن عبد الكريم البكراوي، درة الأقلام .المكتبة الشعبية بتمنطيط. الورقة 3.
- مولاي احمد الطاهري الإدريسي، نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات.خزانة كوسام، ادرار.

2- المراجع بالفرنسية :

- BELLIL R., 2000** : «Les oasis du Gourara (Sahara algérien) , fondation des ksours », Paris, PEETERS. Tome II .
- BELGUIDOUM S., 2002** : « Urbanisation et urbanité au Sahara », *Revue Méditerranée*, tome 99, n°3.4.
- BENDJELID A., 1999** : «Mutation sociales et adaptation d'une paysannerie ksourienne du Touat, Ouled Hadj Mamoun (wilaya d'Adrar) » *Insaniyat* n°7 (voll 11 ,1)CRASC d'Oran pp 39-53
- BISSON J. et JARIR M., 1986** : " Ksour du Gourara et du Tafilelt. De l'ouverture de la société oasienne à la fermeture de la maison ", *Annuaire de l'Afrique du Nord*, tome XXV, 1986 et *Habitat, Etat, Société au Maghreb*, CNRS-CRESM, Aix-en-provence, 1988.
- BISSON J., 1993b** : « L'oasis entre modèles et chorèmes : variations sur le Gourara (Sahara algérien) », in BISSON J. (dir.) : *Du Sahara tunisien aux rivages atlantiques*, Cahiers d'URBAMA n°8, Tours.
- CHAOUCHE-BENCHERIF M., 2006** : « La Micro-urbanisation et la ville-oasis; une alternative à l'équilibre des zones arides pour une ville saharienne durable CAS du Bas-Sahara» *Thèse de doctorat en architecteur, Universités de Constantine*.
- CHEYLAN J.-P., 1990** : « Les oasis sahariennes à *foggara* : mutations sociales sous fortes contraintes écologiques », *Mappemonde*, n°4.
- CLOUET Y., 1995** : « Les oasis », *Mappemonde*, n°4.
- COTE M., 1996b**: "Pays, paysages, paysans d'Algérie", *Espaces & Milieux*, Ed. CNRS, Paris.
- COTE M., 1998 b**: "Dynamique urbaine au Sahara", in *Insanyat* N05: "Villes Algériennes, CRASC, Oran.
- COTE M., 1999**: "Macrocéphalie et micro-urbanisation, cas du Sahara algérien". Actes 2ème Séminaire. International Biskra.
- COTE M., 2005** : (s/dir) *La ville et le désert, le Bas-Sahara algérien*, Ed. KARTHALA et l'EMAM.
- COTE M., 2002c** : « De quelques villes nouvelles au Sahara », *Revue Méditerranée*, tome 99, n°3.4.
- COTE M., 2005b** : « L'urbanisation aujourd'hui au Bas-Sahara », in COTE M. (dir.) : *La ville et le désert, le Bas-Sahara algérien*, Paris – Aix-en-Provence, Karthala – IREMAM.

FONTAINE J., 2005 : « Infrastructures et oasis-relais migratoires au Sahara algérien », *Annales de Géographie*, n°644.

FONTAINE J, KOUZMINE Y, 2006 : « Infrastructures et migrations au Sahara algérien », in *Actes du Colloque international : Migrations, urbanisation et environnement entre Méditerranée et Afrique subsaharienne* (MUREMA), Annaba (Algérie) 10- 12 décembre 2006.

FONTAINE J., KOUZMINE Y., 2006 : « Aménagement et planification spatiale au Sahara algérien, entre incohérences et durabilité », in *Actes du XLII^o Colloque international de l'ASRDLF - XII^o Colloque du GRERBAM, Développement local, compétitivité et attractivité des territoires*, Sfax (Tunisie) 4, 5 et 6 septembre 2006.

FREY J.-P., 2013 : « Adrar et l'urbanisme ou la sédentarisation erratique des oasis du Touat », Les Cahiers d'EMAM.

GAOUAR M. A., 2000 : « L'oasis et les ksours : un espace socio-territorial à redécouvrir », in *Actes du séminaire international : « Espace saharien et développement durable »*, Biskra (Algérie), CRSTRA, 14-16 novembre.

HADEID M., 2000 : « Du ksar à la ville ou la dynamique d'une petite ville saharienne du sud-ouest algérien : cas de Kenadsa (wilaya de Béchar) », in *Actes du séminaire international : « Espace saharien et développement durable »*, Biskra (Algérie), CRSTRA, 14-16 novembre.

HADEID M., 2013 : « Approche paysagère du mode croissance spatiale des ksour de l'Atlas saharien, de la Saoura et Touat » in *Actes du journée d'études : « Les Ksour du sud-ouest algérien en devenir »*, Oran (Algérie), CRASC, 18 décembre.

KOUZMINE Y., 2003 : « Villes et migrations au Sahara algérien », in *Actes de la table ronde Villes algériennes*, CRASC et laboratoire ThéMA - UMR 6049 CNRS, Besançon. 23-24 septembre.

KOUZMINE Y., 2004 : « Approche des espaces sahariens, par l'étude des phénomènes migratoires », in *Actes du Colloque international, Journées Géographiques algériennes*, Oran, 7-8 décembre 2004.

KOUZMINE Y., 2005a : « Le fait urbain au Sahara algérien, entre continuités et ruptures : vers un développement urbain durable ? », in *Actes du Colloque international, La ville au Sahara et dans le désert*, IREMAM, Aix en Provence, 15-17 décembre 2005.

KOUZMINE Y., 2005b : « Les villes sahariennes algériennes et le développement urbain durable, ville réelle, ville normative », *Bulletin de la Société neuchâteloise de géographie*, n°49.

LABII B., 2000 : « Structuration territoriale et développement durable dans l'espace oasien, cas du Bas-Sahara, in *Actes du séminaire international : «Espace saharien et développement durable* », 14-16 novembre, Biskra (Algérie), CRSTRA.

LEHURAUX L., 1934 : La Sahara, ses oasis, Ed. Baconnier, Alger

MAZOUZ S., 2005a : « Mémoires et traces : le patrimoine ksourien», in COTE M. (dir.) : *La ville et le désert, le Bas-Sahara algérien*, Paris – Aix-en-Provence, Karthala – IREMAM.

MOUSSAOUI A., 2002 : *Espace sacré au Sahara, ksour et oasis du sud-ouest algérien*, Paris, CNRS éditions.

OTMANE T., 2010 : « Mise en valeur agricole et dynamiques rurales dans le Touat, le Gourara et le Tidikelt (Sahara algérien) » *Thèse de doctorat en géographie et aménagement de territoire, Universités d'Oran et de Franche-Comté* .

TRACHE S M., 2011 : «Adrar, des ksours à la grande ville » *Insaniyat n°51-52 CRASC d'Oran* pp 149-163

VERLET B., (1984): Le Sahara. Collection Que sais je? N° 766, Paris, 123p.

YOUSFI B., 2012 : « Dynamiques urbaines, mobilités et transports dans le sud –ouest algérien » *Thèse de doctorat en géographie et aménagement de territoire, Universités d'Oran*.

ZINE A., 1994 : " Les ksour". In revue *Habitat, Tradition et Modernité*, N°2, Alger, pp.17-22.

الملاحق

الجدول رقم (01): نمو وتطور سكان إقليم توات ما بين 1987 - 2008

معدل النمو %(08-98)	معدل النمو %(98-87)	سكان 2008 (نسمة)	السكان 1998 (نسمة)	السكان 1987 (نسمة)	البلديات
1.37	3.78	50280	43903	29180	ادرار
2.02	2.86	8135	6658	4882	تامست
3.59	2.99	20176	14179	10259	رقان
1.69	3.11	16628	14062	10040	انزجير
2.13	2.88	14607	11832	8661	تسايبب
1.72	2.82	17230	14531	10707	زاوية كنتة
1.93	3.71	9,578	7912	5300	تمنطيط
1.71	3.54	11801	9962	6792	فنوغيل
1.34	2.57	12918	11304	8554	سالي
0.99	3.97	13215	11976	7802	تيمي
1.3	3.27	9860	8668	6087	بودة
1.48	2.97	2304	1989	1441	سبع
1.77	3.21	186732	156976	109705	مجموع توات
2.28	3.31	390467	311615	217700	المجموع

المصدر: الديوان الوطني للإحصاء. نتائج الإحصاءات العامة للسكن والسكان (08.98.87)

بعض المصطلحات:

- الرفاق: الممر داخل القصبية.
- السقيفة: رواق داخل المسكن ويتوسطه عادة.
- الرحبة: مجال مفتوح يتوسط القصر.
- الجنان: بستان أو قطعة الأرض بالواحة.
- الفدام: لحاف دائري يحيط بجريد النخلة.
- الكرناف: قطع خشبية من الجريد.
- البرومي: سيقان القمح بعد عملية الدرس.
- افراق: حواجز من سعف النخيل توضع لمنع زحف الرمال.
- البور: أراضي الواحة المهجورة بسبب زحف الرمال وهجرة اليد العاملة.
- القايد: ممثل الادارة الفرنسية ونائبها على المقاطعة.
- الطلبة: مصطلح يطلق على المتدربين بالزوايا والمدارس القرانية بتوات.
- الزيارة: المناسبة السنوية التي تقام في القصر ذكرى وفاة الوالي الصالح.
- الروضة: ضريح الوالي الصالح.

استمارة رقم : ...

كلية علوم الأرض والجغرافيا والتهيئة العمرانية

قسم الجغرافيا والتهيئة العمرانية

استمارة التحقيق الميداني الخاص بموضوع : الشبكة العمرانية لإقليم توات ولاية ادرار، آليات التنظيم والأداء المجالي

✓ خصائص الاسر:

- 1- الحالة العائلية : أعزب زوج مطلق(ة) رملة
- 2- مكان الإقامة (القصر): البلدية : الدائرة :
- 3- مكان الإقامة السابق : البلدية : الدائرة :
- 4- دوافع تغيير الإقامة:
- 5- مكان عمل رب الاسرة : المهنة: نشاط ثانوي:.....
- 6- وسيلة التنقل للعمل: المشي سيارة خاصة نقل مومي أخرى:.....

✓ خصائص المسكن :

- 7- ما هو نمط سكنكم : مسكن تقليدي قديم مسكن تقليدي حديث مسكن فردي حديث
- 8- طبيعة المسكن: تجزئة ريفي: سكنات اجتماعية: أخرى
- 9- الملكية العقارية للمسكن : ملكية مستأجر ارث ملك للدولة
- 10- ما هي مادة بناء المسكن ؟
- الجدران : حجارة : بربا : اسمنت : طوب : الطين :
- السقف : دالة: أخشاب النخيل + الطين : الزنك + الطين : أخرى :

✓ -التنقلات:

11- تنقلات بدوافع تعليمية و دينية.

المستوى	مدرسة قرآنية/ زاوية	الابتدائي	المتوسط	الثانوي	تكوين مهني	جامعي
مكان التمدرس						
الوسيلة المستعملة						
البعد / المسافة						

12- تنقلات من اجل التسوق :

- على مستوى القصر(البلدية):
- على مستوى أسواق مدينة ادرار:
- على مستوى سوق رقان:
- على مستوى سوق زاوية كنتة:
- أماكن أخرى :

13- الخدمات و اقتناء الحاجيات :

الخدمات	القصر(مكان الإقامة)	مقر البلدية	خارج البلدية (اسم المكان)
العناية بالأفراد	حلاقة		
	التجميل		
	ملابس جاهزة/ أحذية /عطور ومواد		
خدمات	البنك		
	مصالح سونلغاز		
	التسيير العقاري		
خدمات الأعمال الحرّة	طبيب (خاص)		
	مخبر تحليل خاص		
	مكتب دراسات		
	مدرسة تعليم السياقة		

- خدمات أخرى:

- 14- أين تجرون الفحوصات من نوع الطب العام ؟ مكان الإقامة مقر البلدية مقر الدائرة أماكن أخرى :
- 15- أين تجرون الفحوصات من نوع الطب الخاص؟ مكان الإقامة مقر البلدية مقر الدائرة أماكن أخرى:
- 16- أين تتجهون إلى عيادة التوليد؟ مكان الإقامة مقر البلدية مقر الدائرة أماكن أخرى :
- 17- من أين تشترون الدواء ؟ مكان الإقامة مقر البلدية مقر الدائرة أماكن أخرى :
- 18- اختيار مكان قضاء الحاجيات يخضع :
- لعامل القرب عامل التعود سهولة الوصول إلى المكان عامل جودة الخدمات أخرى:
- 19- ما هي الوسيلة المستعملة لقضاء اغلب هاته الحاجيات والخدمات؟ سيارة خاصة حافلة أخرى :
- 20- هل وسائل النقل التي تربطكم بأماكن قضاء الحاجيات؟ متوفرة غير كافية: غير منتظمة: غير موجودة

شكرا جزيلاً على تعاونكم.

قائمة الجداول

الصفحة	العنوان	الرقم
42	التنظيمات الإدارية بتوات بعد الاستقلال	الجدول رقم 01
45	تطور سكان توات حسب التعدادات السكانية (1966-2008).....	الجدول رقم 02
50	تطور السكان المتجمعين بإقليم توات (1977-2008)	الجدول رقم 03
52	تطور عدد التجمعات الرئيسية والثانوية بإقليم توات	الجدول رقم 04
54	نمو الحجم السكاني بالتجمعات بتوات خلال 87-98-08	الجدول رقم 05
55	ترتيب التجمعات بإقليم توات حسب الحجم السكاني خلال 66-77..	الجدول رقم 06
58	ترتيب التجمعات بإقليم توات حسب الحجم السكاني خلال 87-98-08	الجدول رقم 07
62	معدل التحضر لإقليم توات خلال 87-98-08	الجدول رقم 08
63	أنماط المجمعات بتوات خلال 1966-2008	الجدول رقم 09
64	توزيع شبكة الطرق بإقليم توات 2014	الجدول رقم 10
84	توزيع التجزئات السكنية ببلديات إقليم توات.....	الجدول رقم 11
85	تطور إعانات السكن الريفي بتوات	الجدول رقم 12
89	تطور السكن الاجتماعي بتوات	الجدول رقم 13
92	أنماط المساكن حسب بلديات توات.....	الجدول رقم 14
97	الحالة العقارية للمساكن حسب البلديات بتوات.....	الجدول رقم 15
99	طبيعة المساكن الحديثة حسب البلديات بتوات.....	الجدول رقم 16
103	تطور القوة النشطة بإقليم توات	الجدول رقم 17
105	توزيع معدلات الشغل والبطالة عبر بلديات إقليم توات 2008.....	الجدول رقم 18
107	تطور المشتغلين حسب القطاعات الاقتصادية بتوات (66-98)	الجدول رقم 19
109	مهن أرياب الأسر حسب بلديات إقليم توات.....	الجدول رقم 20
112	المهن الثانوية حسب بلديات إقليم توات.....	الجدول رقم 21
115	التوزيع العام للأراضي الزراعية المستغلة بتوات.....	الجدول رقم 22
120	توزيع أراضي الاستصلاح الصغير بتوات.....	الجدول رقم 23

122	توزيع أراضي الاستصلاح الكبير بتوات	الجدول رقم 24
135	توزيع عدد المرضى الوافدين إلى مستشفى ابن سينا حسب البلديات (2014)	الجدول رقم 25
139	توزيع عدد الوفدين الى مستشفى رقان 2014	الجدول رقم 26
142	الأصل الجغرافي للطلبة بالزاوية الكبيرة	الجدول رقم 27
144	الأصل الجغرافي للطلبة الاتون إلى الزاوية الرقانية من داخل الولاية	الجدول رقم 28
144	الأصل الجغرافي للطلبة الاتون إلى الزاوية الكنتية	الجدول رقم 29
149	الأماكن التي يتردد عليها أرباب الأسر من اجل التسوق حسب بلديات توات.....	الجدول رقم 30
154	خطوط نقل المسافرين المحلية على مستوى إقليم توات	الجدول رقم 31
157	خطوط النقل شبه الحضري باقليم توات	الجدول رقم 32

قائمة الخرائط

14	الحدود الإدارية لمنطقة الدراسة	الخريطة رقم 01
21	توضع قصور توات ضمن الوحدات الطبيعية	الخريطة رقم 02
46	تطور سكان إقليم توات خلال 1987-2008	الخريطة رقم 03
48	توزيع معدل النمو لبلديات التوات خلال 87- 08	الخريطة رقم 04
51	توزيع التجمعات عبر إقليم توات 2008	الخريطة رقم 05
74	التوسع المجالي لمدينة ادرار	الخريطة رقم 06
77	التوسع المجالي لمجمعة زاوية كنته.....	الخريطة رقم 07
79	التوسع المجالي لمجمعة تمنطيط.....	الخريطة رقم 08
81	التوسع المجالي لقصر سيدي يوسف ببلدية فنوغيل.....	الخريطة رقم 09
87	توزيع الإعانات في إطار السكن الريفي لبلديات توات.....	الخريطة رقم 10
110	مهن أرباب الأسر حسب بلديات إقليم توات	الخريطة رقم 11
113	المهن الثانوية حسب بلديات إقليم توات.....	الخريطة رقم 12
121	توزيع محيطات الاستصلاح الزراعي بتوات	الخريطة رقم 13
136	مجالات نفوذ مستشفى ابن سينا بتوات.....	الخريطة رقم 14
137	مجالات نفوذ مستشفى ابن سينا بولاية ادرار.....	الخريطة رقم 15
140	مجالات نفوذ مستشفى رقان.....	الخريطة رقم 16
143	مجالات نفوذ الزاوية الكبيرة بتوات.....	الخريطة رقم 17

145	مجاللات نفوذ الزاوية الرقانية بتوات .	الخريطة رقم 18
145	مجاللات نفوذ الزاوية الكبيرة بتوات.....	الخريطة رقم 19
150	مجاللات النفوذ التجارية لمدينة ادرار بتوات.....	الخريطة رقم 20
152	مجاللات النفوذ التجارية لمجموعة زاوية كنتة بتوات.....	الخريطة رقم 21
152	مجاللات النفوذ التجارية لمجموعة رقان بتوات.....	الخريطة رقم 22
159	الأداء المحلي لتوات من خلال؛ الوظائف الدينية، الصحية، التجارية و التوزيع المحلي لخطوط النقل المحلية.....	الخريطة رقم 23

قائمة الصور

30	اجزاء من نظام الفقارة بتوات .	الصورة رقم 01
32	بساتين الواحة تمنطيط	الصورة رقم 02
32	حدود الجنان تيطاف	الصورة رقم 03
33	توضع القصر والواحة. قصر تيلولين	الصورة رقم 04
35	خندق على حواف قصبية أولاد الحاج علي. تيطاف	الصورة رقم 05
35	السور الغربي وبرج القصبية. تيلولين	الصورة رقم 06
35	زقاق وسط القصبية. زاوية كنته	الصورة رقم 07
35	المساكن داخل قصبية الشرفاء زاوية كنته	الصورة رقم 08
78	مجموعة تمنطيط توسع عمراني على محور الطريق الوطني.....	الصورة رقم 09
83	توزيع برامج التجزئة بمجموعة رقان.....	الصورة رقم 10
86	مساكن في إطار البناء الريفي بقصر تيطاف.....	الصورة رقم 11
90	مساكن عمومية ايجارية في طور الانجاز فنوغيل 2015.....	الصورة رقم 12
90	سكن وظيفي بالتوسعات الحديثة	الصورة رقم 13
90	سكن وظيفي بقصور فنوغيل	الصورة رقم 14
93	مسكن قديم بقصر لحر 2014	الصورة رقم 15
93	سقف المسكن	الصورة رقم 16
94	مسكن تقليدي حديث بقصر زاوية كنته 2014	الصورة رقم 17
95	مسكن حديث بقصر تيلولين بلدية انجمير 2014	الصورة رقم 18
114	مشاركة المرأة في النشاط الفلاحي بالمنطقة 2015	الصورة رقم 19

114	الصورة رقم 20	فلاح يقوم بعمله اليومي (سقي المزروعات) بالواحة 2015
116	الصورة رقم 21	جنان مستغل بواحة تمنطيط 2015
116	الصورة رقم 22	تدهور الواحة. تمنطيط 2015
118	الصورة رقم 23	جنان او بستان بواحة تيطاف 2015
123	الصورة رقم 24	استعمال الطرق الحديثة بمحيطات الاستصلاح الكبير .محيط باعمور 2015...
125	الصورة رقم 25	المنطقة الصناعية بادرار
126	الصورة رقم 26	مصفاة سبع ولاية ادرار 2015
138	الصورة رقم 27	مستشفى رقان 2014
146	الصورة رقم 28	مراسيم الزيارة بتوات 2015
148	الصورة رقم 29	سوق دينار طيب بمدينة ادرار
148	الصورة رقم 30	السوق الجوارى (مولاي علي بلحاج) بزواية كنته
153	الصورة رقم 31	المحطة البرية للنقل ما بين البلديات 2015

قائمة الأشكال

53	الشكل رقم 01	تطور التجمعات الرئيسية والثانوية بإقليم توات خلال (08.98.87).....
56	الشكل رقم 02	البنية التراتبية لتجمعات توات سنة 1966
59	الشكل رقم 03	البنية التراتبية لتجمعات توات سنة 1987
61	الشكل رقم 04	البنية الهرمية لتجمعت توات سنة 2008
62	الشكل رقم 05	تطور معدل التحضر لإقليم توات خلال 08.98.87
67	الشكل رقم 06	مخطط توزيع الطرق بإقليم توات
89	الشكل رقم 07	توزيع المساكن في اطار السكن الاجتماعي بتوات خلال الخماسين الاخيرين
104	الشكل رقم 08	معدل الشغل بتوات 2008
106	الشكل رقم 09	توزيع معدلات البطالة بتوات 2008
124	الشكل رقم 10	التوزيع العام للأراضي الزراعية المستغلة بتوات
156	الشكل رقم 11	تداخل حلقات خطوط النقل بتوات

فهرس الموضوعات

4	المدخل العام
5 مقدمة عامة
6 الإشكالية
8 الهدف من الدراسة
9 المنهجية المتبعة
13 تحديد منطقة توات واصل تسميتها
17	الفصل الأول: توات: إقليم صحراوي، فرضية الحياة البشرية به تحققت بتفاعل مكونات المجال الواحي
18 مقدمة
18	1- خصائص توات الطبيعية: دورها في توضع شبكة القصور وتوزيعها الجغرافي
20	1-1- الموارد المائية
20	1-1-1. مصادر الماء السطحية
22	1-1-2. حوض جوفي: أساس وجود هذه الواحات
23	2-1- خصائص مناخ الإقليم
23	2- الاستيطان البشري بتوات
25	3- ظهور القصور في الصحراء (إقليم توات)
25	1-3- توات محور التبادلات التجارية
26	2-3- الحركة الصوفية ودورها في نشأة التجمع البشري بتوات
28	4- منظومة المجال السكني بتوات: إمكانات، تلائم وتحكم بالمجال
28	1-4- الفقارة: مصدر المياه بتوات
31	2-4- الواحة مكون أساسي من مكونات الشبكة العمرانية التواتية
33	3-4- القصر: عمارة تقليدية وواقع تعمير جديد
33	1-3-4. القصر (القصة أو النسيج القديم)
37 خلاصة الفصل الأول

الفصل الثاني: توات أرخبيل من القصور: مقارنة لتحليل الشبكة العمرانية

38

وآليات انتظامها في المنطقة

- 39 مقدمة
- 39 1- شبكة القصور وهيكله المجال: تعدد العوامل وتعاقب التنظيمات
- 40 1-1- القصر الوحدة المكانية الأساسية لنشأة المجمعات بتوات
- 41 2-1- الإدارة الاستعمارية: تنظيم مجالي وتسيير إداري للمنطقة
- 42 3-1- التقسيمات الإدارية بعد الاستقلال: اداة فاعلة من اجل تنظيم مجال توات
- 42 1-3-1. التقسيم الإداري سنة 1963
- 43 2-3-1. التقسيم الإداري سنة 1974
- 43 3-3-1. التقسيم الإداري 1984
- 44 2- ديناميكية ديموغرافية بتوات: نمو مستمر وتحضر سريع
- 44 1-2- تطور السكان العام بإقليم توات:
- 47 1-1-2. ارتفاع نسبي لمعدلات النمو في الفترة ما بين 1977-1998
- 48 2-1-2. تراجع معدلات النمو في الفترة ما بين 1998-2008
- 49 2-2- كثافة سكانية ضعيفة وفوارق مجالية كبيرة
- 50 3-2- توزيع لسكان القصور بالتجمعات الرئيسية والثانوية
- 52 4-2- تطور عدد التجمعات بتوات بعد تراكم عدة سياسات تنظيمية
- 53 5-2- التوزيع المجالي للسكان: من التشتت نحو التجمع
- 55 6-2- البنية الهرمية للتجمعات
- 56 1-6-2- البنية التراتبية للتجمعات سنة 1966
- 57 2-6-2- البنية التراتبية للتجمعات سنة 1977
- 58 3-6-2- البنية التراتبية للتجمعات سنة 1987
- 59 4-6-2- البنية التراتبية للتجمعات سنة 1998
- 61 7-2- الظاهرة الحضرية: ونمطية التجمعات بتوات
- 64 4- شبكة طرق متنوعة ومهيكله للمجال بتوات
- 65 1-4- الطرق الوطنية
- 66 2-4- الطرق الولائية
- 66 3-4- الطرق البلدية

68 خلاصة الفصل الثاني
69	الفصل الثالث: تحولات عميقة بالتجمعات القصورية: ديناميكية عمرانية متسارعة وواقع تعمير جديد
70 مقدمة
71	1- توسعات أدت إلى إنتاج أنسجة عمرانية بأشكال واتجاهات مختلفة
71	1-1- التوسع خار مجال القصبات: تحولات في الإطار العمراني للمجمعات الرئيسة والقديمة ...
78	1-2- تغيير المركزية العمرانية من القصر إلى الطريق : توسع مجالي على حواف الطرق الرئيسية ..
82	2- البرامج السكنية: الخروج عن الأسوار وبداية التعمير بمنطق جديد
82	1-2- التجزئات السكنية: مجالات توسع جديدة أحدثت توازنات اجتماعية
85	2-2- السكن الريفي: البية لإعادة التشكل القصورى
88	3-2- السكنات الاجتماعية: أنماط حضرية وعمرانية مغايرة للنمط التقليدي
91	3- التحولات المورفولوجية للمساكن الصحراوية بتوات
91	1-3- مساكن بمواد اسمنتية وطابع معماري جديد
93	1-1-3. المسكن القديم التقليدي
94	2-2-3. مسكن حديث تقليدي: بقاء التصميم القديم
95	3-2-3. مسكن حديث عصري: بتصميمه ومواد بناءه
96	2-3- الطبيعة القانونية للمسكن: أملاك عرفية في السابق
98	3-3- طبيعة المساكن الحديثة
100 خلاصة الفصل الثالث
101	الفصل الرابع: توات إقليم صحراوي باقتصاد هش: واقع، تحول و تنمية
102 مقدمة
102	1- معايير النشاط الاقتصادي
102	1-1- قوة نشطة بتوات في ارتفاع مستمر بجميع البلديات
103	1-2- المشتغلون بتوات: قوة بشرية واقتصادية جادة
105	1-3- معدل البطالة بتوات
106	1-4- تطور توزيع مشغلي القطاعات الاقتصادية بتوات
107	2- تحول في المهن بتوات حتمية فرضها تواجد قطاعات أخرى إلى جانب الفلاحة

107	1-2- عمل ماجور ومصادر اقتصادية جديدة
111	2-2- الفلاحة من نشاط رئيسي إلى نشاط ثانوي وممارسات عائلية
114	3- توات منطقة فلاحية: استغلال زراعي تقليدي وحديث.....
115	1-3- الوحات مكون اساسي للشبكة العمرانية التواتية
118	1-1-3. طرق استغلال الأرض في الواحة بتوات
120	3-2- الاستصلاح الصغير: إضعاف لإحدى مكونات الشبكة العمرانية
122	3-3- الاستصلاح الكبير
124	5- نشاط صناعي قليل بتوات
124	5-1- أهم الوحدات الصناعية المتواجدة بولاية ادرار
127	6- التجهيزات و شبكة الخدمات: تعدد في الأشكال وفعالية في رسم المجال
127	6-1- التجهيزات الصحية بتوات: توزيع متباين حسب القطاعات
129	6-2- التجهيزات التعليمية: والتكوينية
129	6-2-1. توزيع للهياكل التعليمية الابتدائية بالقصور واقتصار الطور الثانوي على مراكز البلديات
130	6-2-2. خدمات التكوين المهني
130	6-2-3. التعليم العالي: الجامعة الإفريقية
130	6-3- الخدمات الثقافية والرياضية
131	خلاصة الفصل الرابع

الفصل الخامس: مجالات نفوذ متباينة للمراكز العمرانية بتوات

132	مقدمة
133	1- مجالات النفوذ الصحي بتوات: معالم ارتسمت من خلال توزيع الوظائف الصحية.....
134	1-1- ادرار و رقان: مراكز بمستشفيات ذات ادوار محالية
134	1-1-1. مستشفى ابن سينا: مؤسسة بخدمات صحية متنوعة ودور إقليمي ومحلي
138	1-1-2. المؤسسة العمومية الاستشفائية برقان : دور محلي بارز
141	2- نفوذ ديني جهوي و حتى وطني من خلال الزوايا بتوات
141	1-1- الزاوية الكبيرة اشعاع دائم ونفوذ متسع محليا واقليميا
143	2-2- زاوية رقان، قطب إشعاعي و منارة علمية بارزة
144	2-3- الزاوية الكنتيه الرقادية: انحصار للنفوذ بالبلديات القريبة

146 3- الزيارات حركية قصورية ذات بعد جهوي و وطني
148 4- مجالات النفوذ التجارية: تركز الانشطة بالمراكز البارزة
153 5- شبكة النقل ودورها في التنظيم المحلي بتوات.
154 1-5- خطوط النقل المحلية بتوات: إنتظام طولي أحادي القطب
157 2-5- النقل شبه الحضري بتوات
158 6- ادوار وظيفية بتوات تعدت حدود الإقليم
160 خلاصة الفصل الخامس
162 خاتمة عامة
167 المراجع
175 الملاحق
184 فهرس المواضيع

الملخص

يعد توات أهم حلقة في الشبكة العمرانية المكونة للأقاليم الثلاثة (توات، تيديكلت، قورارة) بحكم موضعه والتنظيم المجالي الذي عرفه، إذ أثرت عليه خصائص المجال الصحراوي و الاستيطان البشري به؛ عملت العوامل الطبيعية على توزيع تلك المجمعات القصورية عبر مجال توات الواسع بشكل خطي على طول امتداد وادي مسعود من قصر عريان الراس شمالا إلى رقان جنوبا. توضع هاته الواحات على محور القوافل التجارية العابرة للصحراء و لعبت دور حلقات الوصل بينها. كما عملت الحركات الصوفية من خلال رجال الدين والمتصوفة على إنشاء العديد من قصور التي توسعت حول هذا الرباط وحملت العديد منها أسماءهم أو أسماء الزاوي التي أسسوها (زاوية بلال، زاوية سيدي ع القادر...).

شكلت عناصر الثلاثية (الفقارة-الواحة-القصر) المجال السكني بتوات و ارتسمت الشبكة العمرانية به من خلال سلسلة القصور الممتدة من الشمال إلى الجنوب، مترافقة بشكل طولي على امتداد الطريق الوطني رقم (06). تأثرت هذه الشبكة بالتقسيمات الإدارية التي أدت إلى إعادة هيكلتها و إرساء ادوار وظيفية جديدة للقصور ممثلة مراكز رئيسية كما تأثرت الشبكة العمرانية أيضا بالنمو الديموغرافي السريع الذي شهدته المنطقة و الذي أدى بدوره إلى تحضر عدة مراكز عمرانية و ساهم في التحولات النمطية للمجمعات السكانية. مثلت مدينة ادرار الجمعة الحضرية الوحيدة إضافة إلى مجموعة شبه حضرية مثلتها مجموعة رقان بينما بقيت العديد من المجمعات ريفية.

شهدت قصور توات تحولات عمرانية طبعها التوسعات المجالية و الخروج عن نطاق القصبات. عرفت عدة قصور بداية توسعاتها منذ التواجد الاستعماري بالمنطقة، لتنتشر بعد الاستقلال في إطار برامج سكنية (التجزئات، السكن الاجتماعي، السكن الريفي). ما ميز البنية العمرانية هو بروز تحولات مسكنية بإدخال مواد بناء جديدة وتصاميم حديثة. إضافة إلى تولد ديناميكية محلية معتمدة البناء الذاتي للمساكن والتي جاءت نتيجة للتحويل في البنية المهنية للمجتمع القصورية؛ الاعتماد على موارد اقتصادية جديدة كبديل عن الفلاحة. هذا التحول في البنية الاقتصادية للشبكة العمرانية بتوات جاء بعد إضعاف القطاع التقليدي (الواحة)، احد المكونات الأساسية في الشبكة العمرانية قديما، لتصبح شبكة تركز على تعدد الأنشطة.

اعتمد الأداء المجالي بتوات على مجالات نفوذ المراكز العمرانية الذي رسمت معالمه الوظائف التجارية، الإدارية، الصحية والدينية و ترجم بحركة سكان القصور اليومية الكبيرة نحو المراكز التي استفادت من تطور وسائل النقل المحلية. برزت مدينة ادرار كمركز عمراي أساسي، تتكامل فيه مختلف الأنشطة الخدمية، الإدارية والصحية، ليس في توات فحسب بل حتى في قورارة و تيديكلت الغربي. ظهر ذلك جليا من خلال تعدد خطوط النقل و كثافة حركة السكان. يأتي مركزي رقان و زاوية كتنه سندا لأدرار من خلال استقطاب السكان المحيطين بهما لتلبية حاجيات من الدرجة الأولى. القصور مقرات البلديات بدأت أيضا تصنع لها مكانا في الشبكة العمرانية التواتية و لو بدا محتشما.

الكلمات المفتاحية: توات، إقليم صحراوي، واحة، قصر، شبكة عمرانية، دور وظيفي.

Résumé

De par sa situation géographique et son organisation spatiale, le Touat est le plus important territoire dans les trois ensembles (Touat, Gourara, Tidikelt). Il a été influencé par les caractéristiques de l'espace saharien et par le peuplement qui s'y est installé ; les facteurs naturels ont permis une disposition linéaire de ses oasis le long de l'Oued Messaoud, de Ariane Ras au nord jusqu'à Reggane au sud. Ces oasis se sont implantées sur un axe des caravanes commerciales transsahariennes pour jouer un rôle de relai. De même, les mouvements confrériques, à travers des religieux ou des zaouïas, ont fondé de nombreux ksour dont plusieurs entre eux portent leurs noms ou les noms des zaouïas (Zouiet Sid Blel, Sidi Abdelkader...).

La foggara, la palmeraie et le ksar ont constitué le triptyque de fondation du peuplement au Touat. Le réseau d'agglomérations est ordonné du nord au sud le long de la route nationale n° 6. Ce réseau, réorganisé par le découpage administratif en assignant de nouveaux rôles aux ksour, a été influencé par une croissance démographique rapide et une urbanisation qui a abouti à des transformations typologiques des agglomérations. La ville d'Adrar est l'unique agglomération urbaine, Reggane a été admis au rang suburbain, et plusieurs agglomérations font partie de la strate rurale.

Les ksour du Touat ont connu des transformations urbaines qui sont caractérisées par l'extension spatiale et par son report au-delà des enceintes des casbahs. Cette extension a commencé durant la période coloniale, elle s'est étalée après l'indépendance dans le cadre des programmes d'habitat (lotissements, habitat social, habitat rural...). Ce qui a caractérisé la structure urbaine, c'est les transformations de l'habitat en introduisant de nouvelles conceptions et de nouveaux matériaux de construction. En plus, une nouvelle dynamique locale d'autoconstruction a eu lieu suite à la transformation de la structure socioprofessionnelle de la société oasienne ; le revenu agricole a cédé place à de nouveaux revenus économiques. Ce changement dans la structure économique au Touat est venu pour affaiblir l'agriculture, une composante essentielle de l'oasis, et introduire la pluriactivité.

Le fonctionnement spatial au Touat est régi par l'influence des centres urbains à travers les activités commerciales, sanitaires, administratives et religieuses qui s'est traduite par une forte mobilité quotidienne de population, encouragé par le développement des moyens de transport. Adrar a émergé en tant centre principal non seulement au Touat, mais aussi au Gourara et au Tidikelt occidental, dans lequel se concentre les activités commerciales, administratives et sanitaires. Ceci est apparu clairement eu égard de la convergence de plusieurs lignes de transport et de la forte mobilité des populations. Reggane et Zouiet Kounta viennent en appui à Adrar et drainent des populations environnantes pour des services de première nécessité. Les petits centres, chefs-lieux de communes, ont commencé joué leur rôle et créer une place dans le réseau d'agglomérations de Touat même s'il est timide.

Mots clés : Touat, Territoire saharien, Oasis, Ksar, Réseau urbain, Rôle fonctionnel